# الخُلاصَةُ
# في أركانِ الإيمانِ

إعداد
الباحث في القرآن والسنة
علي نايف الشحود


الطبعة الخامسة
1432هـ - 2011 م
مزيدة ومنقحة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد المرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين**
**أما بعد:**
**فهذا كتابٌ مختصر فيه خلاصة العقيدة الإسلامية الصحيحة،وذلك بأسلوبٍ معاصر سهل وجذاب.**
**وقد ذكرت فيه الخلاصة التي اتفق عليها علماء الإسلام في العقيدة الإسلامية،مشفوعةً بأدلتها من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة،وقد قسمته لأربعة أبواب :**

- **الباب الأول - مفهوم العقيدة الإسلامية**
- **الباب الثاني- أهمية العقيدة في حياة الإنسان**
- **الباب الثالث - مفهوم الإيمان**
- **الباب الرابع- الإيمان بالغيب**
- **الباب الخامس- أركان الإيمان**
- **الركن الأول "الإيمان بالله"**
- **الركن الثاني :الإيمان بالملائكة**
- **الركن الثالث:الإيمان بالكتب**
- **الركن الرابع:الإيمان بالرسل**
- **الركن الخامس:الإيمان بالقدر**
- **سادسا- الإيمان باليوم الآخر**
- **الباب السادس – أهم خصائص العقيدة الإسلامية**
- **الباب السابع- فوائد الإيمان وثمراته**

**مع تفصيل كل نقطة وتقسيمها إلى جزئيات ليسهل حفظها**

- **التركيز على آثارها السلوكية والوجدانية التي نحن بأمس الحاجة إليها**
- **الابتعاد عن تعقيدات علم الكلام**

**والآيات كلها معزوة لسورها وغالبها مشروح بشكل مختصر،والأحاديث مخرجة من مصادرها ومحكوم عليها بما يناسبها جرحا وتعديلاً،وجلُّها صحيحة.**

**وقد شرحت هذا الكتاب بكتابي (( الواضح في أركان الإيمان ))**

**هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها إنه نعم المولى ونعم النصير،قال تعالى على لسان النبي شعيب عليه السلام: { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [هود:88]**

**في ليلة الخميس 29/2/1424 هـ الموافق 1/5/2003 م**

**تمت مراجعته وتعديله بتاريخ 26 ربيع الآخر لعام 1428 هـ**

**وتم تنقيحه وتعديله في 13 شوال 1431 هـ الموافق ل 22/9/2010 م**

**وانتهيت من مراجعته وتعديله في 21 صفر 1432 هـ الموافق ل 26/1/2011 م**

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود



# الباب الأول

# مقدمات حول العقيدة

## المبحث الأول

## مفهوم العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية هي:مجموعة من الأسس والمبادئ المتعلقة بالخالق عز وجل والنبوات،وما أخبر به الأنبياء من الأمور الغيبية،مثل الملائكة والبعث واليوم الآخر وغيرها من الأمور التي أخبر بها الرسل بناءاً على ما أوحَى الله عز وجل إليهم،ومن ثمَّ دعوا الناس إلى الإيمان الجازم بها مع اعتقاد بطلان كلِّ ما يخالفها.

**ما يدخل في مفهوم العقيدة الإسلامية :**

1-ما يتعلق بالله تعالى وكل ما أخبر به عن نفسه تعالى:ذاتا،وصفاتا،وأفعالا.

2- الرسل الكرام الذين بعثهم الله تعالى برسالاته إلى البشر،وما يتعلق بأولئك الرسل عليهم السلام من صفات،وما يجب في حقهم،وما يستحيل عليهم،وما هوجائز منهم.

3- الأمور الغيبية:وهي التي لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلا بوحي من الله تعالى،بواسطة رسول من رسله- عليهم السلام- أوكتاب من كتبه.

**ويدخل في هذه الأمور:**

1- الملائكة:فيجب الإيمان بهم جملة،وبمن علمنا اسمه،ومن علمنا عمله تفصيلاً.

2- الكتب:فيجب الإيمان بأن لله كتبا أنزلها على رسله عليهم السلام.فنؤمن بما نص عليه تفصيلا كما قال الله تعالى:{..وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} (55) سورة الإسراء،وقوله { إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...} (44) سورة المائدة،وقوله تعالى:{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ...} (47) سورة المائدة،كما نؤمنُ بما لم يسمَّ منها إجمالا.

3- اليوم الآخر:وما يتعلق بوقته وكلُّ ما أخبرنا به مما يقع فبه من البعث والنشور والحساب والجنة والنار وغير ذلك.
4- أخبار بدء الخليقة وما يتعلق بذلك.

# المبحث الثاني
# أهمية العقيدة في حياة الإنسان

1-لابد لكل بناءٍ ماديا كان أومعنويا من أساسٍ يقوم عليه.والدين الإسلاميُّ بناءٌ متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته،ثم ما يصير إليه بعد موته.وهذا البناءُ الضخم يقوم على أساس متين هوالعقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقا لها،كماقال تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (162) سورة الأنعام.

فالإسلامُ يعنَى بالعقيدة ويوليها أكبر عناية،سواء من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها،أومن حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها.لذا نجد أن الرسول  مكث ثلاثة عشر سنة بمكة المكرمة ينزل عليه القرآن،وكان في غالبه ينصبُّ على البناء العقدي،حتى إذا ما تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم نزلت التشريعاتُ الأخرى بعد الهجرة إلى المدينة.

2- إن العقيدة- أيا كانت هذه العقيدة- تُعَدُّ ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها،ذلك أن الإنسان بحسب فطرته،يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القوة الخارقة،والسيطرةَ الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله.وهذا الاعتقادُ يحقق له الميل الفطري للتدين،ويشبع نزعته تلك،فإذا كان الأمر كذلك فإنَّ أولى ما يحقق ذلك هوالاعتقادُ الصحيح الذي يوافق تلك الفطرة،ويحترم عقل الإنسان ومكانته في الكون،وهذا ما جاءت به العقيدة الإسلامية.قال الله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} (82) سورة الأنعام.

3-لما كان الدين الإسلاميُّ بناءً متكاملاً اعتقادا وعبادة وسلوكا،لزم أن يكون هذا البناء متناسقا ومنسجما،لذا

نجد أن العنصر الأساسي فيه هوالعقيدةُ الإسلاميةُ التي يقوم عليها،وهي عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى،مما يكسبها مركزا مهما لفهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً.فالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات والسلوك كلُّها تتجهُ لوجهة واحدة هي إخلاصُ الدين لله تعالى،وهذا الاتجاه المتحد له أهمية قصوى في فهم الدين الإسلامي،قال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُومُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} (125) سورة النساء
4- إن إخلاص الدين لله تعالى لا يبلغ كماله إلا بإخلاص المحبَّة لله المعبود،والمحبةُ لا تكتمل إلا بتمام المعرفة.والعقيدة الإسلامية تقدم للإنسان كل ما يجب عليه معرفته في حقِّ الله تعالى،وبذلك يبلغ كمال المحبة،وبالتالي يسعى لكمال الإخلاص لله تعالى ؛لأنه أتم معرفته به،فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:كَثُرَتِ الْمَقَالَةُ مِنَ النَّاسِ،فَخَرَجْنَا حُجَّاجًا حَتَّى بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْ نَحِلَّ إِلَّا لَيَالِي،قَائِلًا:أُمِرْنَا بِالْإِحْلَالِ فَيَرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى عَرَفَةَ وَفَرْجُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا،فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ،فَقَامَ خَطِيبًا،فَقَالَ:" أَبِاللَّهِ تُعْلِمُونِي أَيُّهَا النَّاسُ فَأَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ،وَلَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ هَدْيًا،وَلَحَلَلْتُ كَمَا أَحَلُّوا،فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ،فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ،وَمَنْ وَجَدَ هَدْيًا فَلْيَنْحَرْ فَكُنَّا نَنْحَرُ الْجَزُورَ عَنْ سَبْعَةٍ" [1].
وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللهِ يَأْمُرُهُمْ بِمَا يُطِيقُونَ فَيَقُولُونَ:إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ،قَدْ غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ،مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ،وَمَا تَأَخَّرَ،فَيَغْضَبُ حَتَّى يُرَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ:ثُمَّ يَقُولُ:" وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَأَتْقَاكُمْ لَهُ قَلْبًا " (أخرجه أحمد)[2].

---

[1] - المستدرك على الصحيحين -دار المعرفة بيروت (1/ 474) برقم( 1742) صحيح ابن خزيمة (4/ 298)(2926 ) صحيح
[2] - مسند أحمد ط الرسالة (40/ 376)(24319 ) صحيح

وعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا» [3]

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُنَاسًا كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ عِبَادَةً شَدِيدَةً، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ إِنَّكَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «وَاللهِ لِأَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ» وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ الْمُدَاومَةَ، وَإِنْ قَلَّ» [4]

5- إن الإنسان هوخليفة الله تعالى في الأرض[5]، وقد وكّل إليه إعمارها، كما أمر بعبادة الله تعالى والدعوة إلى دينه. والمسلمُ في حياته كلها يستشعر أنه يؤدي رسالة الله تعالى بتحقيق شرعه في الأرض، فعقيدته تدفعه إلى العمل الجاد المخلص، لأنه يعلم أنه مأمور

---

[3] - صحيح البخاري (1/ 13)(20 )
[(أمرهم) أمر المسلمين بعمل.(بما يطيقون) بعمل سهل عليهم ويستطيعون المداومة عليه.(لسنا كهيئتك) ليس حالنا كحالك فلا تحتاج لكثرة العمل.(إن أتقاكم) أي فأنا أولى منكم بزيادة العمل لذلك]

[4] - المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي (ص:435)( 1502 ) صحيح

[5] - لا حرج في قولك "الإنسان خليفة الله في الأرض" لما رواه أحمد عن حذيفة رضي الله عن رسول الله  وفيه: فإن رأيت يومئذٍ خليفة الله في الأرض فالزمه... والحديث حسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند، والألباني في صحيح الجامع برقم 2995. ويصح قولك" الإنسان خليفة الله في الأرض" للآية الكريمة في سورة البقرة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [البقرة:30]. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى منع هذا الإطلاق (خليفة الله) أوكراهته، إلا إن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله، قال ابن القيم رحمه الله: وحقيقتها: خليفة الله الذي جعله الله خلفا عن غيره. وانظر تفصيل ذلك في معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر بن عبد الله أبوزيد ص 252. والله أعلم. المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه " فتاوى الشبكة الإسلامية: رقم الفتوى 40112 لا حرج في مقولة "الإنسان خليفة الله في الأرض" تاريخ الفتوى :18 رمضان 1424

بذلك دينا،وأنه مثاب على كل ما يقوم به من عمل جلَّ ذلك العملُ أم صغرَ قال تعالى:{ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) [النجم/39-41] }.

6- إن إفراد الله تعالى بالتوجه إليه في جميع الأمور يحقق للإنسان الحريةَ الحقيقية التي يسعى إليها،فلا يكون إلا عبدا لله تعالى وحده لا شريك له،فتصغر بذلك في عينه جميعُ المعبودات من دون الله،وتصغر العبودية للمادة والانقياد للشهوات.فإن العقيدةَ ما إنْ تتمكنْ من قلب المسلم حتى تطرد منه الخوف إلا من الله تعالى،والذل إلا لله.وهذا التحرر من العبودية لغير الله تعالى هوالذي جعل جنديا من جنود الإسلام – وهوربعي بن عامر رضي الله عنه[6] – عندما ذهب لملك الفرس حين سأله عن سبب مجيئهم،فَقَالَ:اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ،وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا،وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ،فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ،فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ،وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ.قَالُوا:وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ:الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى،وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ.فَقَالَ رُسْتُمُ:قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ،فَهَلْ لَكَمَ أَنْ تُؤَخِّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا؟ قَالَ:نَعَمْ،كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟ أَيَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ:لَا،بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ

---

[6] - ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو.قال الطبري:كان عمر أمد به المثنى بن حارثة وكان من أشراف العرب وللنجاشي الشاعر فيه مديح،وقال سيف في الفتوح عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قالا:قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن يصرف جند العراق إلى العراق وعليهم هاشم بن عتبة وعلي مقدمته القعقاع بن عمرووعلى مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر وفي ذلك يقول ربعي:

أنخنا إليها كورة بعد كورة...نقصهم حتى احتوينا المناهلا

وله ذكر أيضاً في غزوة نهاوند وكان ممن بنى فسطاطاً أمير تلك الغزوة النعمان بن مقرن وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان.

وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة.الإصابة في معرفة الصحابة - (ج 1 / ص 349) وتاريخ دمشق - (ج 18 / ص 49) ت 2136

رَأْيِنَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا.فَقَالَ:مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُؤَخِّرَ الْأَعْدَاءَ عِنْدَ اللِّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ،فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ،وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ.فَقَالَ:أَسَيِّدُهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ:لَا،وَلَكِنَّ الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ."[7].

---

[7] - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - (1 / 373) والمنتظم - (1 / 475) والبداية والنهاية ط هجر (9/ 622) وتاريخ الرسل والملوك - (ج 2 / ص 268)

# المبحث الثالث
# مفهوم الإيمان

1. الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛فهواعتقاد القلب في الله ورسوله ﷺ،وكل ما جاء به الشرع اعتقاداً جازما لا يرد عليه شك،ولا ريبةٌ.
2. ثم اتباع ذلك الاعتقاد بعمل الجوارح حتى يطابق الظاهر الباطن.قال الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (15) سورة الحجرات.

وهذا الاعتقاد الجازم لابد أن يكون في أمر مغيَّبٍ عن الناس،فالإيمانُ بهذا الغيب هوالذي يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون.

3. والإيمان يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية،قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)} [الأنفال:2 - 4]
4. وله شُعَبٌ كثيرةٌ كما أخبر الصادقُ المصدوقُ،أعلاها لا إله إلا الله،وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً،فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ،وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».أخرجه مسلم [8]0
5. وله عرى كثيرةٌ أوثقها:الحبُّ في الله والبغضُ في الله،والموالاةُ في الله والمعاداةُ في الله.فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ

---

[8] - صحيح مسلم (1/ 63) 58 - (35)
[ (إماطة الأذى) أي تنحيته وإبعاده والمراد بالأذى كل ما يؤذى من حجر أو مدر أو شوك أو غيره]

عَازِبٍ،قَالَ:كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ،فَقَالَ:" أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟ "،قَالُوا:الصَّلَاةُ،قَالَ:" حَسَنَةٌ،وَمَا هِيَ بِهَا؟ " قَالُوا:الزَّكَاةُ،قَالَ:" حَسَنَةٌ،وَمَا هِيَ بِهَا؟ " قَالُوا:صِيَامُ رَمَضَانَ.قَالَ:" حَسَنٌ،وَمَا هُوَ بِهِ؟ " قَالُوا:الْحَجُّ،قَالَ:" حَسَنٌ،وَمَا هُوَ بِهِ؟ " قَالُوا:الْجِهَادُ،قَالَ:" حَسَنٌ،وَمَا هُوَ بِهِ؟ " قَالَ:" إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ،وَتُبْغِضَ فِي اللهِ ".أخرجه أحمد[9].
وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ :«يَا ابْنَ مَسْعُودٍ»،قُلْتُ:لَبَّيْكَ ثَلَاثًا،قَالَ:«هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قُلْتُ:اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:«الْوَلَايَةُ فِي اللهِ،وَالْحُبُّ فِي اللهِ،وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»[10].
وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ , رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ  :" يَا عَبْدَ اللهِ , أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ "؟ قَالَ:قُلْتُ:اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ , قَالَ:" الْوَلَايَةُ فِي اللهِ , الْحَبُّ فِي اللهِ , وَالْبُغْضُ فِي اللهِ ".السنن الكبرى للبيهقي [11].
6. ومن انتقضَ إيمانُه بشيء من نواقض الإيمان فكفر،لم تنفعْه بقية ُشعب الإيمان إن وجدت عنده لقوله تعالى:{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (48) سورة النساء،وقال تعالى:{...وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوفِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (5) سورة المائدة.
ومن ارتكب المعاصي (غير الكفر والشرك بالله ) فهو إلى مشيئة الله،إن شاء عذبه،وإن شاء غفر له،ما دام عنده أصل الإيمان،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ

---

[9] - مسند أحمد ط الرسالة (30/ 488) (18524 ) حسن لغيره
[10] - المعجم الكبير للطبراني (10/ 171) (10357 ) حسن
[11] - السنن الكبرى للبيهقي (10/ 394)(21069 ) صحيح لغيره
رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:وَلَوْ خَصَّ امْرُؤٌ قَوْمَهُ بِالْمَحَبَّةِ مَا لَمْ يَحْمِلْ عَلَى غَيْرِهِمْ مَا لَيْسَ يَحِلُّ لَهُ فَهَذِهِ صِلَةٌ لَيْسَتْ بِعَصَبِيَّةٍ , فَقَلَّ امْرُؤٌ إِلَّا وَفِيهِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ "

عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا:«مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ».( أخرجه البخاري )[12]

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:أَتَى النَّبِيَّ ﷺرَجُلٌ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ:«مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ،وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» (أخرجه مسلم )[13].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي،فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ:بَشَّرَنِي - أَنَّهُ:مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ:وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ:«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» (أخرجه البخاري)[14].

فينبغي علينا الحرص على الطاعة والمبادرة إلى العمل الصالح.والمسابقة إلى الخيرات،ليبقى إيماننا في ازدياد،مع المحافظة دوماً على أصل الإيمان وتحصينه،فإنه رأس المال وعروة النجاة الوثقى.

[12] - صحيح البخاري (2/ 71)(1238 ) وصحيح مسلم (1/ 94) 150 - (92)

[13] - صحيح مسلم (1/ 94):151 - (93) [(الموجبتان) معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار]

[14] - صحيح البخاري (2/ 71) (1237) وصحيح مسلم (1/ 94):150 - (92) [(آت من ربي) هو جبريل عليه السلام آت اسم فاعل من أتى وأصله أتي حذفت الياء لالتقاء الساكنين]

## المبحث الرابع
## الإيمان بالغيب

إنَّ الإيمان الغيب هوالذي يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون،ولذلك يحسن بنا أن نعرِفَ ما هوالغيب،ثم ننطلق من ذلك إلى بيان أركان الإيمان.

**مفهوم الغيب في الإسلام :**

الغيب في الإسلام هو:كل ما غاب عن حسِّ الإنسان سواءٌ بقي سرًّا مكتوما يعجز الإنسانُ عن إدراكه بحيث لا يعلمه إلا اللطيف الخبير،أوكان مما يعلمه الإنسانُ بالخبر اليقين عن الله تعالى ورسوله ،وقد يعلمُ الإنسانُ بعض الغيب بتحليله الفكري أونحوذلك من الوسائل.(وذلك في بعض ما يمكن الوصول إليه بالوسائل المساعدة،على توسيع مدى الحواس مثل المناظير وغيرها من الأجهزة،وهذا مما يدخل في الغيب النسبي كما سنرى).

**أهمية الإيمان بالغيب:**

" إنَّ الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان،فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه،إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي،ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود،وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير.كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته ويتلقى أصداءه وإيحاءاته في أطوائه وأعماقه،ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود.وأن وراء

الكون ظاهره وخافيه،حقيقة أكبر من الكون،هي التي صدر عنها،واستمد من وجودها وجوده ..حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول.
وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والتمزق والانشغال بما لم تخلق له،وما لم توهب القدرة للإحاطة به،وما لا يجدي شيئا أن تنفق فيه.إن الطاقة الفكرية التي وهبها الإنسان،وهبها ليقوم بالخلافة في هذه الأرض،فهي موكلة بهذه الحياة الواقعة القريبة،تنظر فيها،وتتعمقها وتتقصاها،وتعمل وتنتج،وتنمي هذه الحياة وتجملها،على أن يكون لها سند من تلك الطاقة الروحية التي تتصل مباشرة بالوجود كله وخالق الوجود،وعلى أن تدع للمجهول حصته في الغيب الذي لا تحيط به العقول.فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها،دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة،وترك حصة للغيب لا ترتادها العقول ..فأما هذه المحاولة فهي محاولة فاشلة أولا،ومحاولة عابثة أخيرا.فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال.وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تخلق لمثل هذا المجال ..ومتى سلم العقل البشري بالبديهية العقلية الأولى،وهي أن المحدود لا يدرك المطلق،لزمه - احتراما لمنطقه ذاته - أن يسلم بأن إدراكه للمطلق مستحيل وإنَّ عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن،والغيب والشهادة ..وهذا الاحترام لمنطق العقل في هذا الشأن هو الذي يتحلى به المؤمنون،وهو الصفة الأولى من صفات المتقين.
لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة.ولكن جماعة الماديين في هذا

الزمان،كجماعة الماديين في كل زمان،يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقرى ..إلى عالم البهيمة الذي لا وجود فيه لغير المحسوس! ويسمون هذا «تقدمية» وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها،فجعل صفتهم المميزة،صفة:«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» والحمد لله على نعمائه،والنكسة للمنتكسين والمرتكسين! "[15]

**أقسامُ الغيبِ:**

**1. الغيبُ المطلقُ:**

هوالذي ليس للإنسان سبيل إلى العلم به عبر وسائل إدراكه أوحواسه،وهونوعان:

النوع الأول:ما أعلمَ اللهُ تعالى الناسَ به أوببعضهِ عن طريق الوحي إلى الرسل،الذين يبلغونه إلى الناس،ومن أمثلة ذلك الشياطينُ والجنُّ،وما جاء من أخبارهم،نحوقوله تعالى:{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآَنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) [الجن/1-3]}.

النوع الثاني.:ما استأثرَ اللهُ تعالى بعلمه،فلم يطلع عليه أحداً من خلقه،لا نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مقربٌ،وذلك هوالمقصود بقوله تعالى:{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُووَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (59) سورة الأنعام.

من أمثلته العلمُ بوقت قيام الساعة،والموت من حيثُ زمانه ومكانه وسببه،وبعضُ ما سمي الله تعالى به نفسه.قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (34) سورة لقمان،

---

[15] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط1 - ت- علي بن نايف الشحود (ص: 234)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ،فَقَالَ:اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ،ابْنُ عَبْدِكَ،ابْنُ أَمَتِكَ،نَاصِيَتِي بِيَدِكَ،مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ،عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ،أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ،أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ،أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ،أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ،أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي،وَنُورَ صَدْرِي،وَجِلَاءَ حُزْنِي،وَذَهَابَ هَمِّي،إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ،وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا "،قَالَ:فَقِيلَ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ:" بَلَى،يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا ".( أخرجه أحمد )[16]

### 2. الغيبُ المقيَّدُ النسبيُّ:

هوما كان غائبا عن البعضِ،مثلَ الحوادثِ التاريخية.فإنها غيبٌ بالنسبة لمن لم يعلمها،لذلك قال اللهِ تعالى للنبي ﷺ بعد أن ذكر قصة آل عمران:{ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } (44) سورة آل عمران.

### 3. الغيبُ المقيَّدُ غيرُ النسبيِّ:

هوكل ما غاب عن الحسِّ بسببِ بعد الزمان ( المستقبل )،أوالمكان،أوغير ذلك،حتى ينكشف ذلك الحجابُ الزمانيُّ أوالمكانيُّ،كما في قوله تعالى:{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوكَانُوا يَعْلَمُونَ

---

[16] - مسند أحمد ط الرسالة (6/ 246) (3712 )حسن لغيره
قال السندي:ناصيتي بيدك:كناية عن كمال قدرته تعالى على التصرف فيه.=ماض فى:أي:نافذ حكمك فى،لا راد لما قضيت.=عدل فى:أي:لأنك المالك من كل الوجوه،فلا يتصور الظلم في قضائك.=هو لك:صفة للاسم للتعميم،مثل:(ولا طائر يطير) لما تقرر أنه إذا أجري على شيء صفة شاملة لجنسه يعم.
في كتابك:أي:من الكتب السماوية،فالمراد بالكتاب الجنس.=أو استأثرت به:أي:اخترته واصطفيته في علمك مخزوناً عندك.=ربيع قلبي:أي:متنزهه ومكان رعيه وانتفاعه بأنواره وأزهاره وأشجاره وثماره،المشبه بها أنواع العلوم والمعارف وأصناف الحكم والأحكام واللطائف.=جِلاء،بكسر جيم ومد،أي:إزالة حزني.

الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (14) سورة سبأ.وذلك في موت سيدنا سليمان عليه السلامُ.

**ومن الأمثلة على الأمور الغيبية:**

1. **الرُّوحُ:** قال الله تعالى :{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } (85) سورة الإسراء.
2. **علاماتُ الساعة الصُّغْرَى** التي أخبر عنها النبيُّ  في حديث جبريل:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ،فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ:مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ:«الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ،وَكُتُبِهِ،وَبِلِقَائِهِ،وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ» .قَالَ:مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ:" الإِسْلاَمُ:أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ،وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا،وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ،وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ،وَتَصُومَ رَمَضَانَ ".قَالَ:مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ:«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»،قَالَ:مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ:" مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ،وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا:إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا،وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ،فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ :{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان:34] الآيَةَ،ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ:«رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا،فَقَالَ:«هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ» .( أخرجه البخاري ومسلم )[17].

---

[17] - صحيح البخاري (1/ 19) (50 ) وصحيح مسلم (1/ 39):5 - (9) [(بارزا) ظاهرا لهم وجالسا معهم.(فأتاه جبريل) أي في صورة رجل.(ما الإيمان) أي ما حقيقته وكذلك (ما الإسلام) و (ما الإحسان) .(كأنك تراه) تكون حاضر الذهن فارغ النفس مستجمع القلب كما لو كنت تشاهد الحضرة الإلهية.(متى الساعة) في أي زمن تقوم القيامة.(بأعلم من السائل) لا أعلم عنها أكثر مما تعلم وهو الجهل بوقتها لأن الله تعالى اختص بذلك.(أشراطها) علاماتها جمع شرط.(تلد الأمة ربها) الأمة المملوكة والرب السيد والمراد أنه يكثر العقوق وتفسد الأمور وتنعكس الأحوال حتى يصبح السيد مسودا والأجير الصعلوك سيدا.(تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان) تفاخر أهل البادية بالأبنية المرتفعة بعد استيلائهم على البلاد وتصرفهم في الأموال ومعنى البهم السود وهي أسوؤها عندهم.(في خمس) أي علم وقت الساعة داخل في أمور خمسة وهي المذكورة

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ،يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ،وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ،وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ،وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ،وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»،قِيلَ:وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ:«الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».( أخرجه ابن ماجة )[18].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ،وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ،وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ،وَتَظْهَرَ الفِتَنُ،وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ».(أخرجه البخاري )[19].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:" لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا اليَهُودَ،حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ وَرَاءَهُ اليَهُودِيُّ:يَا مُسْلِمُ،هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ ". ( أخرجه البخاري ومسلم )[20].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ

---

في الآية {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} / لقمان 34 /.(الغيث) المطر.(ما في الأرحام) من ذكر وأنثى]

[18] - سنن ابن ماجه (2/ 1339) (4036 ) و الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي (1/ 323)(331 ) صحيح

[ش - (سنوات خداعات) الخداع المكر والحيلة.وإضافة الخداعات إلى السنوات مجازية.والمراد أهل السنوات.وقال في النهاية سنون خداعة أي تكثر فيها لأمطار ويقل الريع فذلك خداعها.لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تخلف.وقيل الخداعة القليلة المطر من خدع الريق إذا جف.(الرويبضة) تضغير رابضة.وهو العاجز الذي ربض عن مغالي الأمور وقعد عن طلبها.وتاؤه للمبالغة.(في أمر العامة) متعلق به ينطق.]

[19] - صحيح البخاري (2/ 33) (1036 )

[ (يقبض) بموت العلماء.(الزلازل) جمع زلزلة وهي حركة الأرض واضطرابها.(يتقارب الزمان) تقل بركته وتذهب فائدته وقيل غير ذلك.(فيفيض) فيكثر حتى يفضل منه بأيدي مالكيه ما لا حاجة لهم به وينتشر حتى يعم الناس جميعا]

[20] - صحيح البخاري (4/ 42) (2926 ) وصحيح مسلم (4/ 2238):79 - ( 2921)

(لا تقوم الساعة) المراد تأكيد أن هذا الأمر واقع لا محالة وربما كان قريبا وليس المراد أنه من علامات
قيام الساعة والساعة القيامة وزلازلها

عَظِيمَةٌ،دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ،وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ،قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ،كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ».(أخرجه البخاري)[21].

وبعضها قد وقع فعلاً،وبعضها لم يقعْ بعدُ.

3. **علامات الساعة الكبرى:**

---

[21] - صحيح البخاري (4/ 200) ( 3609 )

قَوله :"فِئَتانِ"،بِكَسرِ الفاء بَعدها هَمزَة مَفتُوحَة تَثنِيَة فِئَة أَي جَماعَة،ووَصَفَهُما فِي الرِّوايَة الأُخرَى تَجَوَّزَ أَي بِالكَثرَةِ،والمُراد بِهِما مَن كانَ مَعَ عَلِيّ ومُعاوِيَة لَمّا تَحارَبا بِصِفِّينَ.

وقَولُه :"دَعواهُما واحِدَة" ؛ أَي دِينهما واحِد لأَنَّ كُلًّا مِنهُما كانَ يَتَسَمَّى بِالإِسلامِ،أَو المُراد أَنَّ كُلًّا مِنهُما كانَ يَدَّعِي أَنَّهُ المُحِقّ،وذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا كانَ إِذ ذاكَ إِمام المُسلِمِينَ وأَفضَلهم يَومَئِذٍ بِاتِّفاقِ أَهل السُّنَّة،ولأَنَّ أَهل الحَلّ والعَقد بايَعُوهُ بَعد قَتل عُثمان،وتَخَلَّفَ عَن بَيعَته مُعاوِيَة فِي أَهل الشّام.ثُمَّ خَرَجَ طَلحَة والزُّبَير ومَعَهُما عائِشَة إِلَى العِراق فَدَعَوا النّاس إِلَى طَلَب قَتَلَة عُثمان لأَنَّ الكَثِير مِنهُم انضَمُّوا إِلَى عَسكَر عَلِيّ،فَخَرَجَ عَلِيّ إِلَيهِم فَراسَلُوهُ فِي ذَلِكَ فَأَبَى أَن يَدفَعهُم إِلَيهِم إِلاَّ بَعد قِيام دَعوى مِن وَلِيّ الدَّم وثُبُوت ذَلِكَ عَلَى مَن باشَرَهُ بِنَفسِهِ،ورَحَلَ عَلِيّ بِالعَسكَرِ طالِبًا الشّام،داعِيًا لَهُم إِلَى الدُّخُول فِي طاعَته،مُجِيبًا لَهُم عَن شُبَههم فِي قَتَلَة عُثمان بِما تَقَدَّمَ،فَرَحَلَ مُعاوِيَة بِأَهلِ الشّام فالتَقَوا بِصِفِّينَ بَين الشّام والعِراق فَكانَت بَينهم مَقتَلَة عَظِيمَة كَما أَخبَرَ بِهِ ،وآلَ الأَمر بِمُعاوِيَةَ ومَن مَعَهُ عِند ظُهُور عَلِيّ عَلَيهِم إِلَى طَلَب التَّحكِيم،ثُمَّ رَجَعَ عَلِيّ إِلَى العِراق،فَخَرَجَت عَلَيهِ الحَرُورِيَّة فَقَتَلَهُم بِالنَّهرَوان وماتَ بَعد ذَلِكَ.وخَرَجَ ابنه الحَسَن بن عَلِيّ بَعده بِالعَساكِرِ لِقِتالِ أَهل الشّام وخَرَجَ إِلَيهِ مُعاوِيَة فَوقَعَ بَينهم الصُّلح كَما أَخبَرَ بِهِ  فِي حَدِيث أَبِي بَكرَة الآتِي فِي الفِتَن " إِنَّ الله يُصلِح بِهِ بَين فِئَتَينِ مِنَ المُسلِمِينَ "

قَوله :"حَتَّى يُبعَث" ؛ بِضَمِّ أَوَّله أَي يَخرُج،ولَيسَ المُراد بِالبَعثِ مَعنَى الإِرسال المُقارِن لِلنُّبُوَّةِ،بَل هُو كَقَولِهِ تَعالَى :{إِنّا أَرسَلنا الشَّياطِين عَلَى الكافِرِينَ.قَوله :"دَجّالُونَ كَذّابُونَ " الدَّجل التَّغطِيَة والتَّموِيه،ويُطلَق عَلَى الكَذِب أَيضًا،فَعَلَى هَذا " كَذّابُونَ " تَأكِيد.وقَولُه :"قَرِيبًا مِن ثَلاثِينَ"،كَذا وقَعَ بِالنَّصبِ وهُو عَلَى الحال مِنَ النَّكِرَة المَوصُوفَة.

وقَد أَخرَجَ مُسلِم مِن حَدِيث جابِر بن سَمُرَة الجَزم بِالعَدَدِ المَذكُور بِلَفظِ "إِنَّ بَين يَدَي السّاعَة ثَلاثِينَ كَذّابًا رِجالاً كُلّهم يَزعُم أَنَّهُ نَبِيّ.ورَوى أَبُو يَعلَى بِإِسنادٍ حَسَن عَن عَبد الله بن الزُّبَير تَسمِيَة بَعض الكَذّابِينَ المَذكُورِينَ بِلَفظِ "لا تَقُوم السّاعَة حَتَّى يَخرُج ثَلاثُونَ كَذّابًا مِنهُم مُسَيلِمَة والعَنسِيّ والمُختار.قُلت :وقَد ظَهَرَ مِصداق ذَلِكَ فِي آخِر زَمَن النَّبِيّ  فَخَرَجَ مُسَيلِمَة بِاليَمامَةِ،والأَسوَد العَنسِي بِاليَمَنِ،ثُمَّ خَرَجَ فِي خِلافَة أَبِي بَكر طُلَيحَة بن خُوَيلِد فِي بَنِي أَسَد بن خُزَيمَةَ،وسِجاح التَّمِيمِيَّة فِي بَنِي تَمِيم،وفِيها يَقُول شَبِيب بن رِبعِيّ وكانَ مُؤَدِّبها :

وهي عشرة كما روي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ،قَالَ:اطَّلَعَ النَّبِيُّ  عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ،فَقَالَ:«مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا:نَذْكُرُ السَّاعَةَ،قَالَ:" إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ،وَالدَّجَّالَ،وَالدَّابَّةَ،وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ،وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ،وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ:خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ،وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ،تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ ".( أخرجه مسلم )[22]
وعَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا،فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ،وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ،وَيَضَعَ الجِزْيَةَ،وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».( أخرجه البخاري )[23].
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:" لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا،فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ،فَذَلِكَ حِينَ:{لاَ يَنْفَعُ

---

أَضحَت نَبِيَّتنا أُنثَى نُطِيف بِها ...وأَصبَحَت أَنبِياء النّاس ذُكرانًا
وقُتِلَ الأَسود قَبل أَن يَمُوت النَّبِيّ  وقُتِلَ مُسَيلِمَة فِي خِلافَة أَبِي بَكر،وتابَ طُلَيحَة وماتَ عَلَى الإِسلام عَلَى الصَّحِيح فِي خِلافَة عُمَر.فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (6/ 616).

[22] - صحيح مسلم (4/ 2225) 39 - (2901)
[ (فذكر الدخان) هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريبا من قيام الساعة (والدابة) هي المذكورة في قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قال المفسرون هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا وعن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم وفي رواية تخرج من قعرة عدن) هكذا هو في الأصول ومعناه من أقصى قعر أرض عدن وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن]

[23] - صحيح البخاري (3/ 82) (2222 ) وصحيح مسلم (1/ 135):242 - ( 155)
[(ليوشكن) ليقربن وليسرعن.(مقسطا) عادلا.(يضع الجزية) يرفعها ولا يقبل من الناس إلا الإسلام وإلا قتلهم.(يفيض) يكثر ويستغني كل واحد من الناس بما في يده]

نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام:158] وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ،وَلاَ يَطْوِيَانِهِ،وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ،وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ،وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا ".( أخرجه البخاري)[24].

□□□□□□□□□□□□□□

---

[24] - صحيح البخاري (8/ 106) (6506) وصحيح مسلم (1/ 137):248 - ( 157)

[(نشر الرجلان ثوبهما) ليتبايعاه.(لقحته) هي الناقة الحلوب.(يليط) يصلح ويطين.(أكلته) لقمته.(فلا يطعمها) فلا يأكلها ويحول بينه وبين أكلها قيام الساعة فجأة وبأسرع من دفع اللقمة إلى الفم]

قالَ الطِّيبِيُّ :الآياتُ أماراتٌ لِلسّاعَةِ إِمّا عَلَى قُربِها وإِمّا عَلَى حُصُولِها فَمِنَ الأَوَّلِ الدَّجّالُ ونُزُولُ عِيسَى ويَأجُوجُ ومَأجُوجُ والخَسفُ ومِنَ الثّانِي الدُّخانُ وطُلُوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها وخُرُوجُ الدّابَّةِ والنّارُ الَّتِي تَحشُرُ النّاسَ وحَدِيثُ البابِ يُؤذِنُ بِذَلِكَ لأَنَّهُ جَعَلَ فِي طُلُوعِها مِنَ المُغرِبِ غايَةً لِعَدَمِ قِيامِ السّاعَةِ فَيَقتَضِي أَنَّها إِذا طَلَعَت كَذَلِكَ انتَفَى عَدَمُ القِيامِ فَثَبَتَ القِيامُ .

قَولُهُ لا يَنفَعُ نَفسًا إِيمانُها الآيَةَ كَذا هُنا وفِي رِوايَةِ أَبِي زُرعَةَ " وفِي رِوايَةِ هَمّامٍ " إِيمانُها ثُمَّ قَرَأَ الآيَةَ" قالَ الطَّبَرِيُّ :مَعنَى الآيَةِ لا يَنفَعُ كافِرًا لَم يَكُن آمَنَ قَبلَ الطُّلُوعِ إِيمانٌ بَعدَ الطُّلُوعِ ولا يَنفَعُ مُؤمِنًا لَم يَكُن عَمِلَ صالِحًا قَبلَ الطُّلُوعِ عَمَلٌ صالِحٌ بَعدَ الطُّلُوعِ لأَنَّ حُكمَ الإِيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ حِينَئِذٍ حُكمُ مَن آمَنَ أَو عَمِلَ عِندَ الغَرغَرَةِ وذَلِكَ لا يُفِيدُ شَيئًا كَما قالَ تَعالَى : {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} وكَما ثَبَتَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ تُقبَلُ تَوبَةُ العَبدِ ما لَم يَبلُغِ الغَرغَرَةَ وقالَ ابنُ عَطِيَّةَ :فِي هَذا الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ المُرادَ بِالبَعضِ فِي قَولِهِ،تَعالَى طُلُوعُ الشَّمسِ مِنَ المُغرِبِ وإِلَى ذَلِكَ ذَهَبَ الجُمهُورُ وأَسنَدَ الطَّبَرِيُّ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ أَنَّ المُرادَ بِالبَعضِ إِحدَى ثَلاثٍ هَذِهِ أَو خُرُوجِ الدّابَّةِ أَوِ الدَّجّالِ قالَ وفِيهِ نَظَرٌ لأَنَّ نُزُولَ عِيسَى ابنِ مَريَمَ يُعقِبُ خُرُوجَ الدَّجّالِ وعِيسَى لا يَقبَلُ إِلاَّ الإِيمانَ فانتَفَى أَن يَكُونَ بِخُرُوجِ الدَّجّالِ لا يُقبَلُ الإِيمانُ ولا التَّوبَةُ.فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (11/ 352)وراجع **كتابي الخلاصة في أشراط الساعة الكبرى**

# الباب الثاني
# أركان الإيمان

هذه الأركانُ هي الركائز الأساسية التي يقوم عليه البناءُ الإيمانيُّ،وكلها تتعلق بأمور يعتقدها المؤمن اعتقادا جازما بناء على ما ورده من خبر صادقٍ بخصوصها.كما أنَّ هذه الأركان متفق عليها بين جميع الرسالات المنْزلة من عند الله تعالى،حيث دعا كلُّ رسول قومه للإيمان بها كما قال الله تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} (13) سورة الشورى.

أي شَرَعَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا شَرَعَ لِنُوحٍ،وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَرْبَابِ الشَّرَائِعِ وَأُوْلِي العَزْمِ مِنَ الرُسُلِ،وَأَمْرَهُمْ أَمْراً مُؤَكَّداً مِمَّا هُوأَصْلُ الإِيْمَانِ،وَأَصْلُ الشَّرَائِعِ،مِمَّا لاَ يَخْتَلِفُ بِاخْتَلافِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ :كَالإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَالإِيْمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ،وَالإِيْمَانِ بِالمَلاَئِكَةِ وَالكُتُبِ والرُّسُلِ.وَقَدْ أَوْصَاهُمْ تَعَالَى جَمِيعاً بِإِقَامَةِ دِينِ التَّوْحِيدِ والتَّمْسُّكِ بِهِ،وَبِحِفْظِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِيهِ زَيغٌ أواضْطِرَابٌ،وَبِألاَّ يَتَفَرَّقُوا فِي أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَبَادِئِهَا. ( أَمَّا فِي التَّفَاصِيلِ فَقَدْ جَاءَ كُلُّ مُرْسَلٍ بِمَا يُنَاسِبُ قَوْمَهُ وَزَمَانَهُ ( لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ).

وَقَدْ شَقَّ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ،وَتَركِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ،وَمَا أَلْفَوْا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ،وَاللهُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُقَرِّبُهُمْ إِلَيهِ،وَيُوَفِّقُهُمْ لِلعَمَلِ بِطَاعَتِهِ،وَأَتِّبَاعِ رُسُلِهِ.[25]

---

[25] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص:4164،بترقيم الشاملة آليا) وانظر التفسير الميسر (1/ 484) وتفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص:754)

فهذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده،أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها،وأزكاها وأطهرها،دين الإسلام،الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده،بل شرعه الله لخيار الخيار،وصفوة الصفوة،وهم أولوالعزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية،أعلى الخلق درجة،وأكملهم من كل وجه،فالدين الذي شرعه الله لهم،لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم،موافقا لكمالهم،بل إنما كملهم الله واصطفاهم،بسبب قيامهم به،فلولا الدين الإسلامي،ما ارتفع أحد من الخلق،فهوروح السعادة،وقطب رحى الكمال،وهوما تضمنه هذا الكتاب الكريم،ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب.[26]
ولا يصحُّ إيمان المسلم إلا باعتقاده الجازم بجميع هذه الأركان اعتقادا صحيحا بعيدا عن الشكِّ.
وهذه الأركان هي:الإيمان بالله،والإيمان بالملائكة،والإيمان بالكتب،والإيمان بالرسل،والإيمان باليوم الآخر،والإيمان بالقضاء والقدر.،وهي جميعها متعلقةٌ بالغيب،حيثُ إن اعتقادها مبنيٌّ على ما بلغنا من نصوص الوحي بخصوصِها.

==================

[26] - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص:754)

# الرَّكنُ الأولُ
# الإيمانُ بالله تعالى"

هوأن يعتقد المرء اعتقادا جازما بقلبه بأن الله تعالى موجودٌ وجودا حقيقيا بذاته،وأنه هوالذي خلق الكون بما فيه بلا شريكٍ،وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الكمال كلِّها،ومنزهٌ عن صفات النقص والعيوب،وأنه لا شبيهَ ولا مثيلَ له من خلقهِ قال تعالى:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوالسَّمِيعُ البَصِيرُ} (11) سورة الشورى.
وأنه وحده المستحقُّ للعبادة بكل أنواعها دون أن يشرك معه في ذلك أحدٌ غيره،قال تعالى:{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (5) سورة البينة
ما يتضمنهُ الإيمان بالله تعالى:
الأول-  الإيمانُ بوجودهِ وجودا ذاتيا حقيقيا،وقد دلَّتِ الأدلةُ الفطرية والكونية والشرعية والعقلية على ذلك :

**التدين فطرة:**

مفهوم الدين في الاصطلاح الإسلامي:الإيمانُ بذاتٍ إلهيةٍ جديرةٍ بالطاعة والعبادة،من خلال النصوص التي تحدد صفات تلك الذات،وتبينُ القواعدَ العملية التي ترسم طريق عبادتها،والشواهد على ذلك كثيرة منها:

***الشواهد العقلية:**

1-  إن فطرة التدين أصيلةٌ في الإنسان،وهذا أمر لا يقبل المراءَ بناءً على الشواهد التاريخية والواقعية.ومع أن علماء المقارنة  بين الأديان -على اختلاف مللهم - متفقونَ على تأصُّل العقيدة الدينيةِ في طبائع بني الإنسان.

2- إن ظاهرة التدينِ- المتمثلة في البحث عن قوةٍ عليا- تعمُّ البشرَ جميعَهم،ولا يستغنون عنها بغريزة من الغرائز الأخرى كحبِّ البقاءِ،أوحبِّ النوع،أوحبِّ المعرفة،أوحبِّ الوطن أوغير ذلك من الغرائز.
3- إن الدينَ لم يكن لازماً من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحةٌ وطنيةٌ أوحاجةٌ حياتيةٌ حيويةٌ،لأنَّ الدين قد وجد قبل وجودِ الأوطان،ولأن الحاجةَ الحيوية تتحقق أغراضها في كل زمنٍ،وتتوافر أسبابها في كل حالةٍ،ولا يزال الإنسانُ بعد تحقق هذه الأغراضِ في حاجةٍ إلى الدين.لكنَّ الدينَ كان لازماً؛لأنه يقرر مكانَ الإنسان الفردِ في الكونِ أوفي الحياةِ،ويبيّن للإنسان العلاقاتِ بين الكائنات جميعاً،ويبيّن مصدر الحياةِ،ولأن الإنسانَ لا يقنعُ بالحياة المحدودةِ،فهويسعى إلى حياةِ الخلودِ،ويريدُ لنفسه أن تتصلَ بالكونِ كلِّه في أوسع مداهُ.

00000000000000000

إن هناك قواعد وحقائق مقرره اتفق عليها جميع العقلاء من بني آدم وهذه القواعد هي:
1-بطلانُ الرجحان بدونِ مرجحٍ 2- بطلانُ التسلسل
3- بـطــلان الــدَّور 4- قانون العـلـَّةِ
وهذه القواعد تقيم الأدلة العقلية المباشرة لوجود الله تعالى.

**أولا:بطلان الرجحان بدون مرجح:**

إن هذا الكون الموجود لا يخلومن أحد احتمالات ثلاثة:
1.أن يكون واجبَ الوجود.
2.أن يكون ممتنعَ الوجود.
3.أن يكون ممكنَ {جائز} الوجود.
أما الاحتمالُ الأول:فباطل.لأنه يترتب عليه امتناع انعدام الكون،وذلك محال عقلا،فإننا نرى أعيان المخلوقات

تموت وتحيا،وتوجد وتنعدم فلا مانع عقلا من انعدام الكون.
أما الاحتمال الثاني:فباطل أيضا.لأن الكونَ موجودٌ حقيقة،فلوكان ممتنع الوجود لما أمكن وجوده.
إذاً لم يبق إلا الاحتمالُ الثالث:وهوأنه ممكن الوجود،أي أنه جائز فيه أن يوجد أولا يوجد على حدٍّ سواء.ولكنَّ الكونَ موجودٌ فعلا،فإذاً لابد من وجود مرجح خارجي لأحد الأمرين المستويين:الوجود والعدم.فإنْ قال قائل:إن الكون هوالذي أوجد نفسه.قلنا هذا يستلزم الترجيحَ بدون مرجح،لأنه لوأوجد نفسه لكان واجبَ الوجود،ولكننا اتفقنا على أنه ممكن الوجود،فلزم أن يكون قد أوجدته قوة أخرى خارجة عنه ومباينةٌ له في ذاتهِ وصفاتهِ.قال تعالى:{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) [الطور/35،36] }
فإن قال القائل:يمكن أن تكون قوةٌ أخرى- سوى الله تعالى - هي التي أوجدته،قلنا سترى بطلان هذا الفرض في الأدلة التالية:
**ثانيا:بطلان التسلسل:**
إن احتمال أن تكون قوة أخرى- سوى الله تعالى-  قد أوجدت هذا الكون باطلٌ،لأنه يؤدي إلى التسلسل،وهوأن تطردَ الاحتمالات بصورة مستمرةٍ دون أن يصل العقلُ إلى شيءٍ يستقر عليه في حكمه.فلوقال القائل:إن الكونَ يحتمل أن يوجده  سوى الله تعالى.قلنا له:وهذا الموجد المفترَضُ،من الذي أوجده ؟ فإن قالَ:أوجده موجدٌ غيره.قلنا:إن هذا سيؤدي إلى أن يكون كل واحد في السلسلة علةً لوجود غيره إلى ما لانهاية،وهذا باطلٌ.فإذاً هذه السلسلة لابد أن تنتهي إلى ذاتٍ موجودةٍ واجبةِ الوجودِ،أوجدتْ نفسها،حتى ينتهيَ التسلسلُ،وهذه هي الذاتُ الإلهيةُ.
**ثالثا:بطلانُ الدور:**

الدورُ هوتوقف وجودِ أمرٍ على أمرٍ آخر،إلا أنَّ هذا الأخير متوقف في وجودهِ على وجودِ الأول،وهذا باطلٌ غير مستقيم عقلا.مثاله:لوقلنا إن وجودَ البيضة متوقفٌ على وجود الدجاجة،إلا أن الدجاجةَ متوقفةٌ على وجود البيضة،لما وجد كلاهما لاستحالة ذلك.وهذا هوالدور.فلوقال القائل:إن الكون حادث وله علة،إلا أن هذه العلة المؤثرة في وجوده عبارةٌ عن التفاعلات الذاتية لذراتهِ الأولى،والتي استمرت لملايين السنين حتى انتهت إلى هذا الكون،أي أن الطبيعةَ هي التي أوجدته.

فنقول له:ما هي العلة الأولى في إيجاد الذراتِ الأولى المتفاعلة ؟ وما علةُ التفاعل الذاتي ؟ فإن قال:العلة في ذلك الذرات ذاتها،أي أنها أوجدت نفسها ثم تفاعلت لتوجد الكون.قلنا له:إن هذا هوالدور الممنوع ذاته،لأنك جعلت الشيء علة لوجود غيره وهذا الغير علة لوجوده هوفي ذاته،حيث إنه لما كان في العدم المطلق،كان وجوده متوقفا على أن يخرج من العدم،فإذا خرج أصبح علةً لا يجاد نفسه.ثم نقول له:إنك قلت إن الكونَ محدثٌ غير أزلي،فكيف يكون المحدث علةً لنفسهِ وهولم يكن موجودا من قبلُ،والعدم المحضُ لا يوجِدُ شيئا.فإن الشيءَ يمتنع أن يكون خالقا ومخلوقاً في الوقت نفسه!!!!

**رابعا:قانون العلَّة:**

إن التخصيصَ والنظامَ يدلان على العلةِ والحكمةِ من وراء ذلك التخصيص والنظام.ولا يعقَلُ أن توجدَ علةٌ أوحكمةٌ بدون مؤثرٍ مدبرٍ لها،فلوقلنا:إنَّ هذه الشمس إنما وجدت اتفاقا،وليس من وراء وجودها حكمة،وكلُّ ما تقوم به من وظائف َحياتيةٍ في الكون إنما جاءت بطريقِ الاتفاقِ ومحضِ الصُّدفةِ.لوقلنا ذلك لما شك أحدٌ –في عصرنا الحاضر- في جنونِ القائلين به.كما أننا لوقلنا لعالم في وظائف الأعضاء:إن الأجهزةَ العضويةَ

في الإنسان مثل المخ والكبد والبنكرياس وغير ذلك إنما جاءت اتفاقا وتهيأت لوظائفها صدفة لما شكَّ ذلك العالم لحظة في جنوننا.فإذا كنا نستنكر أن تكون هذه الجزئيات قد وجدت اتفاقا،فكيف نصدِّقُ من يقول:إن الكون بكل موجوداتهِ قد وُجد اتفاقا.وأن النظام الذي فيه ليس له مدبرٌ من ورائهِ،وأن الأحداثَ المعللة والحكم النافذةَ في أجزائهِ قد جاءت اتفاقا بدون قصدٍ لغايتها ؟هل يُعقل أن يكون مثل هذا الكون المعجز في نظامهِ وترتيبهِ وضبطِ مقاديرهِ قد وُجِدَ عبثاً،وأن كل تلك الدقة قد جاءت اتفاقا؟؟!!.
إن المصدِّقَ لهذا يكون كالمصدِّقِ لمن يقول له:إنه لوأتينا بستةٍ من القرود وأجلسناها إلى ست آلاتٍ طابعة لملايين السنين،فإنه لا يستبعد أن يخرج لنا أحدُها بقصيدةٍ رائعة من روائعَ المتنبي مثلا.هل تصدق هذا القائل؟ إنه- بلا شك - أعقلُ من القرود الستة،ولكنْ للأسف ليس حظُّ القرود في إخراج قصيدة المتنبي بأوفرَ من حظِّهِ هوفي أن يكون مثل المتنبي.أليس كذلك ؟

***-شواهد من الطبيعة:**

1- إن من طبيعة الإنسان أنه عندما يقع في مأزق- ولا يجد في القوى المادية معيناً ومنقذاً له- فإنه يلجأ إلى الله تعالى متضرعاً إليه بالدعاء حتى ينقذه مما هوفيه.قال تعالى:{ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا {67} الإسراء

2-إن النفوس مجبولةٌ على حبِّ من يحسن إليها،لذلك تعظمه وتتقرب إليه،وهذه الفطرة ثابتة حتى في الحيوان.أما ترى أن الكلبَ يكون وفياً لصاحبه،حتى إنه يدافع عنه بنفسه ويموت دونه! لذلك فإنَّ الإنسان مفطورٌ على معرفة ربه الذي خلقه،وعلى عبادته لذا قال الله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

{6} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {7} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ {8} [سورة الانفطار ].

***-دليل الفطرة**

إن فطرةَ الإنسان تشهد بوجود الله تعالى- مهما حاول الإنسان إخفاءها- فكم من إنسان ينكر وجود الله تعالى،فإذا ضاقتْ به السبلُ المادية في الأزمات لم يجدْ إلا أن يتوجهَ بقلبهِ إلى السماء،وربما يرفع يديهِ في خضوع وتذللٍ لعله يجد من القوَّة العليا مخرجاً مما هوفيه من ضيق.ألم تجرب ذلك بنفسك ؟ ربما حدث لك شيء منه فنسيت بعد زوال الكربة.ولكن لاشك أنك لازلت تذكر حكاية من هذا النوع حدثت لغيرك.قال تعالى:{هُوالَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (22) سورة يونس.

وقال تعالى:{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} (65) سورة العنكبوت.

وقال تعالى:{أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) } [النمل:61 - 63]

**نظرة الإسلام للفطرة:**

أولاً:إن الله تعالى خلق الإنسان وجعله مفطوراً على معرفة ربه وعبادته،وقد ثبت ذلك في نصوص كثيرة ؛ منها:

1- قوله تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {172} أَوتَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ { 173}سورة الأعراف .

2-وقال الله تعالى:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {30}سورة الروم .

3- عَنِ الزُّهْرِيِّ،أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ،فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ،وَيُنَصِّرَانِهِ،أَوْ يُمَجِّسَانِهِ،كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ،هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم:30] أخرجه البخاري ومسلم )[27].

ثانياً:إنَّ هذه الفطرة توصل الإنسان إلى المعرفة الإجمالية بخالقه،وتشعره بصلته به وأنه إلههُ وخالقه،لذا:فإنه لا بد لهذه الفطرة من تزكيةٍ وتنميةٍ وذلك لا يكون إلا بوحي من الله تعالى بواسطة رسله.قال تعالى:{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) [الشمس/7-10] }

---

[27] - صحيح البخاري (2/ 95)(1359 ) وصحيح مسلم (4/ 2047):22 - ( 2658)

[ش (الفطرة) قال المازري قيل هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وإن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين وقيل هي ما قضى عليه من سعادة أو شقاوة يصير إليها وقيل هي ما هيئ له (كما تنتج البهيمة بهيمة) بضم التاء الأولى وفتح الثانية ورفع البهيمة ونصب بهيمة ومعناه كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء أي مجتمعة الأعضاء سليمة من نقص لا توجد فيها جدعاء وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء ومعناه أن البهيمة تلد بهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها]

ثالثاً:إن لهذه الفطرة في الإنسان - حتى تقوم بدورها الطبيعي - ركنان :
**1- القلب السليم:**وهوالقلب المؤمن الذي لم يتأثر بالشياطين من الجن والإنس،بل ظلَّ على فطرته وسلامته التي ينتج عنها الاعتقاد الصحيح.وكلما كان التأثر والانحراف أقل في هذا القلب كلما ازداد قبوله للحقِّ وتعلقه به.قال تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوشَهِيدٌ} (37) سورة ق
**2-العقل الصحيح:**وهوالعقل النقيُّ الصافي غير المنساق لمؤثرات الهوى والشهوة،المهيأُ لاحترام الحقائق وقبول الحق،الرافضُ للوهم والخرافة.قال تعالى:{ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوأَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {19} الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ {20} وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ {21} وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ {22}سورة الرعد
رابعاً:إن الإنسان بطبعه قد فطر على أمورٍ وغرائزَ تعدُّ من دعائم حياته المادية والمعنوية مثلُ حبِّ الحياة وحبِّ المال والولد وحبِّ الملذات،وحبِّ النساء وحبِّ الاختلاط ببني جنسه،وغير ذلك.غير أن الإسلامَ وضع ضوابطَ لهذه الغرائزَ حيث لا يتجاوز المرء مداه فينغمس فيها.
ففي شهوة الأكل والشرب جعل ضابطاً عاما هوعدم الإسراف.قال تعالى:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {31} الأعراف:31]
ولقضاء شهوة الجنس والعاطفة شرع الزواج.قال تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {21} [الروم ]
ولشهوة التملك جعل اللهِ السبيل لذلك التعامل المشروع:قال تعالى:{ وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ { 275} [البقرة ].
خامساً:إن الله تعالى أنزل شريعته وجعلها مناسبةً للفطرةِ السليمةِ،ولم يرد فيها شيء يصادمُ الفطرة البشرية

**منهج المعرفة في أمور الاعتقاد (مصادر التلقي )**

قدمنا فيما مضى أن مجالات المعرفة بالنسبة للإنسان تتمثل في عالم الشهادة - العلم الماديِّ- وعالم الغيب أوما وراء الطبيعة.
وقد سبق أن معرفة الإنسان تكون بالحواس والأجهزة المخترعة عن طريق العقل الذي يقوم بتحليل المعارف التي يتلقاها للوصول إلى العلم.
أما ما يتعلق بما وراء المادة فإنه ليس مما يقع في حدود الحواس،فمن المنطقي ألا تكون تلك الحواسُ قادرةً على إدراك ما يقع في ذلك المجال،كما أن العقل- وهويتمتع بقدرات محدودةٍ -مقيد بعاملي الزمان والمكان لا يستطيع أن يحيط علما بما هوخارج عن حدوده،فضلا عن أن يحيط بما لا حدَّ له.غير أن ذلك لا يعنى إلغاءَ دورِ العقل في معرفة عالم الغيب،فالمعرفة الإجماليةُ من أعظم واجبات العقل،حيث يستدل بالشهادة على علم الغيب،كما قال الله تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ

وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {164} [سورة البقرة ].
أمَّا أن يخوضَ العقل فيما ليس من مجاله،فهذا مما لا يستقيمُ مع المنهج المعرفي الصحيح،حيث إن العلمَ بالشيء فرعٌ من تصورهِ،وما لا يستطيع العقل تصوُّرَه ُلا يسعه إدراكه بمجرده،لذا قال الله تعالى:{ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً } [الإسراء:36]
أي لا تتبع ما ليس لك به علم يثبت عندك بالرؤية البصرية،أوبالروايات السمعية أوالبراهين القطعية،فإن الله يسألك عن ما أعطاك من آلات هذا العلم الثلاث.
وقال تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه:110].
وقال تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة:255]
وقد نفى الإحاطة بالعلم هنا عن البشر لأنه ليس في مقدورهم بلوغ ذلك،فهوليس واقعا في مجال معرفتهم المتعلقة بالأمور المادية كما قال تعالى:{ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } [الروم:7].
والفرق ظاهر بين علم الخالق وعلم المخلوق،إذ لوتساوى علمُ المخلوق بعلم الخالق لتساوى الخالقُ والمخلوقُ،وهذا لا يعقل،بل الفارق بين العلمين كالفرق بين الذاتين،فإذا كان الأمر متعلقا بعالم الغيب والاعتقاد فيه - وقد قررنا أن مسألة الإيمان بالخالق الواحد وعبادته أمر فطري -فإذاً لا بد من تحديد السبل إلى معرفة الأمور الغيبية التي لا تدركها حواسنا ولا تحيط بها عقولنا من أمور الاعتقاد بالدين.

**مصادر التلقي:**

**المصدر الأول:الخبر الصادق من الله تعالى أومن رسوله:**

يكون الله تعالى مصدراً مباشراً للمعرفة البشرية في أمور الاعتقاد وغيرها بثلاثة طرق،كما في قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَومِن وَرَاء حِجَابٍ أَويُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ {51} الشورى }،فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاث مراتب للإخبار لا تكون إلا للأنبياء،وهذه المراتب هي:

1- تكليم الله تعالى عبده يقظة بلا واسطة،كما كلَّم موسى عليه السلام { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا {164 [النساء ].

2- مرتبة الوحي المختص بالأنبياء كما قال تعالى:{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا {163} [النساء ].

3- إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري،فيوحي إليه عن الله تعالى ما أمره أن يوصله إليه قال تعالى:{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {194}سورة الشعراء

وقال تعالى عما يخبر به الرسول :{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوإِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) [النجم/3،4]

فكلُّ ما أخبر به الرسول  حقٌّ وصدقٌ،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ  أُرِيدُ حِفْظَهُ،فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا:أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ،وَالرِّضَا،فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ،فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ،فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ،فَقَالَ:«اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ».(أخرجه أبوداود)[28].

---

[28] - سنن أبي داود (3/ 318) (3646 ) صحيح

**المصدر الثاني:الفطرة التي جعلها الله تعالى غريزة في الناس**

وقد سبق أن بيان الفطرة لمسائل الاعتقاد إجمالي يهيئ المرء لقبول ما يأتيه من الله تعالى من تفصيل.

**المصدر الثالث:العقل**

وهوأيضا يوصل الإنسان إلى معرفة إجمالية في بعض المسائل،مثل وجود الخالق تعالى،وأنه ليس كمثله شيء.أما تفاصيل ذلك وما حجبَ عن الإنسان من علم الغيب وغير ذلك فلا بدَّ فيه مع العقل من نور الوحي الذي يرشد العقلَ ويدلُّهُ عليه.

***- الشواهد العقلية**

1-إن الأمور المتعلقة بما وراء المادة (الغيبيات) ليس مما يقع في حدود الحواس،فمن المنطق ألاّ تكون تلك الحواس قادرة على إدراك ما يقع في ذلك المجال،كما أن العقل- وهويتمتع بقدرات محدودة،ويتقيد بعاملي الزمان والمكان - لا يستطيع أن يحيط علماً بما هوخارج عن حدوده،فضلاً عن أن يحيط بعلم ما لا حدَّ له

2- إن صانع الآلة هوأدرى الناس بها ؛فالله ُتعالى هوخالق الكون وما فيه،وهوخالق الإنسان ؛ولذلك فإنه تعالى أعلم بخلقه وما يصلحهم،كما أنه أعلم بنفسه وما غيبّه عن خلقه.وبناء على ذلك فإنَّ أصدق خبر فيما يخص ذلك إنما يكون من اللهِ تعالى كماقال تعالى: { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ {14} [فاطر ]

***- شواهد من الطبيعة:**

إن من المشاهد أن الإنسان عندما يحتاج إلى معرفة أمر من الأمور فإنه يتجه بسؤاله إلى الجهة أوالشخص الذي يظن أن عنده علم بذلك.فالمريض يسأل الطبيب حتى يصف له دواء مرضه.وكذلك الطفل يظن أن أباه هوأعرف الناس،لذا يتوجه إليه بكل سؤال يخطر بباله.فإذا كان كذلك فإن من الطبيعي أن يكون مصدرُ

التلقي في الأمور المتعلقةِ بالعقائدِ والغيبياتِ هوالخبر الصادق من اللهِ تعالى ورسوله ﷺ.
إن هناك كثيراً من الأمور الغائبة عن علم الإنسان مع اتصاله بها،كالروح وكثير من الظواهر الطبيعية التي يعجز الإنسان عن تفسيرها،فمن الأولى أن يعجز عن تفسير الغيبياتِ،أوإدراكها.

***- العلاقة بين الدين والعلم:**

تتمثل مجالات المعرفة في عالمي الغيب والشهادة،أوالعالم المادي المحسوس وعالم ما وراء المادة.والإنسان في معرفته يعتمد على ما يتوفر لديه من الأدوات والوسائل المستخدمة للوصول إلى المعرفة،والمتمثلة في الحوادث والأجهزة التي توسع من مدارك الحواس،ومن المعلوم ضرورة أن الحواسَّ تتمتعُ بقدرات محدودة،وقد عمل الإنسان على زيادة تلك القدرات بالأجهزة العلمية التي أعانت على توسيع مجال إدراك حواسه،إلا أنه مع ذلك يظلُّ مقيدا في معرفته بقدرات تلك الأجهزة،وهي أيضا محدودة القدرات بالضرورة..وبناءا على هذا فإن المعرفة الإنسانية- عن طريق الحواس والأجهزة - تظل محدودة في عالمِ الشهادة،وهي مع ذلك لم تبلغ من العلم إلا قليلا،إذ أن المجال الذي تعيش فيه،والمجال الذي استطاع الإنسان أن يكتشفه من مجرتنا الشمسية لا يمثل سوى قطرةٍ من بحرٍ لجيٍّ.
فمعرفة الإنسان التي يحصل عليها في عالم المادة تتوقف على منهجيته المعرفية عن طريق الحواس،وهومحكوم بالزمان والمكان في الإطار الممكن.
أما عالمُ الغيبِ فتتوقف معرفة الإنسان فيه على الخبرِ الصادق الذي يبلغه عن مصدرٍ يتمتع بالعلمِ المطلق،الذي يتجاوز محدودية الحواس وحاجزي الزمان والمكان،وهذا المصدر هوالله سبحانه وتعالى.

فإذا ثبت للإنسان صحة الخبر من حيث نسبته إلى مصدره،وهوالله تعالى،أورسوله المبلغ عنه،فإن ذلك الخبر يقتضي صدقَ المخبَرِ به

وعلمُ الإنسان- في علم المادة - عبارةٌ عن اكتشاف سنن الله تعالى في خلقه،وعلى هذا فإنه يستحيلُ أن تتناقضَ الحقيقةُ العلميةُ اليقينيةُ مع الحقيقةِ الدينيةِ اليقينية،لأن كليهما من الله تعالى،فهذه آياته في الآفاق وتلك آياته في التنزيل،وقد قال الله تعالى:{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {53} [فصلت ]،وقال تعالى:{ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوالْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {6} [سبأ ].

**الخـلاصـة:**

إن الأدلة العقلية تثبت بيقين بأن الله تعالى موجود وجودا حقيقيا،وأنه تعالى الذي خلق هذا الكون بكلِّ ما فيه،وأن القول بخلاف ذلك لا يتفقُ مع العقلِ ولا مع الفطرة ِالسليمةِ،قال تعالى:{ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (102) سورة الأنعام،وقال تعالى:{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (16) سورة الرعد،وقال تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوفَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (3) سورة فاطر

--------------

**آيات الكون والأنفس شاهدة على وجود الله:**

إن الكون المشهود كتابٌ مفتوح يشهد بوجود الله تعالى الذي خلقه.فالنظام الدقيق والدقة الفائقة في كل أجزائه وموجوداته،تقرُّ بأنه من صنع مدبرٍ عليمٍ حكيم ٍعظيمٍ قويٍّ متينٍ.وهذه بعض النماذج التي تنقلك في سياحة مع الكون:

1- آيات الآفاق في الأفلاك
2- آيات الأنفس في الإنسان ذلك المجهول
3- عالم الحيوان - الكائنات المجهرية- المخلوقات العظيمة - النحل.أمة أمثالكم - ماذا تعرف عن البحار وما فيها ؟
4- عالم النبات

## الله الخالق يتجلى في عصر العلم[29]

إن كبار الباحثين يمتازون عن غيرهم بأنهم – في غالبهم -يبحثون في الأمور بعقل مدرك ونظر ثاقب متجرد.لذا فإن شهاداتهم تعدُّ ذاتُ اعتبار كبير في الأمور التي يدلون فيها بآرائهم.ونحن هنا نذكر أقوال بعض من العلماء المشهورين في قضية الوجود والخلق.

1.ماذا قال عالم الرياضيات مكتشف قانون الجاذبية إسحاق نيوتن؟قال نيوتن:إنه لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود مباهج عالم الطبيعة الزاهرة ومنوعاتها هذه بدون إرادة واجب الوجود،أعني به الإله القادر قدرة مطلقة،السميع البصير المكتمل الذي يسع كل شيء.

2.قال هيرشل عالم الفلك الإنجليزي:كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حدَّ لقدرته ولا نهاية،فالجيولوجيون والفلكيون والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم،وهوفي الواقع صرح عظمة الله وحده.

3.ويقول وولتر أوسكار لندبرج عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية الأمريكي:أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلديهم متعة كبرى يحصلون عليها

---

[29] - انظر كتاب الله يتجلى في عصر العلم -المؤلف :كريسى موريسون -المترجم :محمود صالح الفلكي

كلما وصلوا إلى كشف جديد في ميدان من الميادين،إذ إن كل كشف جديد يدعم إيمانهم بالله ويزيد إدراكهم وأبصارهم لأيادي الله في هذا الكون.
4.أما العالم الأمريكي الفسيولجى أندروكونواى ايفى فقد قال:إن أحدا لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول أن الله موجود،كما أن أحدا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول أن الله غير موجود،وقد ينكر منكر وجود الله تعالى ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل.وأحيانا يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء،ولابد في هذه الحالة أن يستند شكُّه إلى أساس فكري،ولكنني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحدا على عدم وجوده تعالى،وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده،كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين،وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين.

--------------

**منهج الإسلام في تقرير حقيقة وجود الله تعالى:**

تبيِّنُ النصوص الثابتة في الكتاب والسنة بأن الإقرار بوجود الخالق الذي خلق الإنسان وجميع الكائنات أمرٌ فطري لا يسع الإنسان إنكاره في قرارة نفسه،وإن حاول إبداء ما يخالف ذلك.فما من إنسان إلا ويجد نفسه مضطرا للجوء إلى الله تعالى كلما ألمَّ به ضررٌ تنقطع به الأسباب المادية الظاهرة،فهنا تطفوفطرته وتحمله إلى اللجوء إلى الله تعالى.أما دعوى الملحدين عدم وجود إله خالق لهم ولهذا الكون فإنما هي مكابرة وعناد،مثل دعوى فرعون وقومه،وقد حكى الله علام الغيوب عما في أنفسهم بقوله:{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (14) سورة النمل

وقد أظهر فرعون ذلك حين أحاطت به الأمواج وأدركه الغرق فقال:{..آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوإِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (90) سورة يونس

**منهج القرآن في تقرير وجود الله تعالى:**

لم تنصرف نصوص القرآن الكريم إلى إثبات وجود الله تعالى وتقرير وجوده كقصدٍ أساسي،وإنما جاءت لتقرير ألوهية الله تعالى،وأنه لا إله غيره- وإن كانت تأتي بذلك ضمنا أوصراحة في أحيان قليلة- ذلك أن البشر كما ذكرنا مقرين بوجود الله تعالى،إلا قليلا ممن شذ جحودا ومكابرة.ولذلك حكى الله تعالى عن الرسل عليهم السلام قولهم لأقوامهم :{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} (10) سورة إبراهيم،ولقد كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى،قال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (61) سورة العنكبوت،وقال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (25) سورة لقمان.

وقد اشتمل القرآن الكريم على أساليبَ متعددةٍ في قضية الوجود والألوهية،وأهم تلك الأساليب ما يلي:

**أولا:القرآن يتوجه بالخطاب إلى المشاعر:**

إن القرآن الكريم يخاطب في الإنسان قلبه ووجدانه حتى يثير تلك الفطرة الكامنة فيه،وحتى لا يكون خطابه جافا مجردا متجها للعقل المجرد.وقد أشار الله تعالى إلى هذه الميزة بقوله :{لَوأَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (21) سورة الحشر،ولما كان القرآن يحمل بين طياته وألفاظه قوة

التأثير الذاتي،أمر الله تعالى بإجارة المشركين.قال تعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} (6) سورة التوبة،وبسبب هذه القوة الذاتية كان مشركوا العرب يوصي بعضهم بعضا بعدم سماع القرآن حتى لا يتأثروا به {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} (26) سورة فصلت،ولتحريك المشاعر وانفعالها سلك القرآن مسالك شتى منها:

**1- توجيه المشاعر إلى التأمل في الكون والحياة:**

ذلك أن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق،وأن هذا الكون الفسيح القائم على الدقة والانتظام لا يمكن أن يوجد إلا بقدرة فائقة وعلم تامٍّ.والإنسان المتبلد لا تلفِت نظره السماء الكائنة فوقه،ولا الأرض الساكنة تحته،لذا يخاطب القرآن المشاعر ويوجهها إلى هذه الآيات كما في قوله تعالى :{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) [آل عمران/190-192]}

**2- التذكير بالنِّعَم وأن الله هورازق الإنسان:**

فالإنسان مقرٌّ بأنه لم يخلق من هذه النعم شيئا،مع أنه أكبر المستفيدين منها،بل جُعلت لأجله.غير أن الإنسان بحكم الألف والاعتياد تبلَّد حسُّه،فينسى الله الخالق.لذلك يذكره الله تعالى بهذه النعم التي لا تحصى،ومن أعظمها الماء والهواء.قال تعالى:{وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (34) سورة إبراهيم.

**3-تذكير الإنسان بخلقه وأصله:**

إن الإنسان هوأكرم خلق الله تعالى لما ميزه به من عقل وإدراك،وهذا الإنسان قد أوجده الله تعالى بعد أن لم يكن شيئا قال تعالى:{ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) [الإنسان/1-3]}،هذا الإنسان بعد أن خلقه الله تعالى أحسَّ بأنه قد استغنى عن خالقه،فطغى وألهته شواغله وأهواؤه عن ربه،كما قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) [الإنفطار/6-8] }،وقال تعالى:{ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (7) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (8) [العلق/6-8] }،لذلك نجد أن الله تعالى يخاطب الإنسان داعيا إياه لينظر في نفسه،والحكم والآيات الكامنة فيه كما في قوله تعالى:{ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) [الذاريات/20-21] }،وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) [المؤمنون/12-16] }،وقد جاء العلم الحديث ببيان وصدق ذلك كله.

**4- التذكير بالموت والحياة:**

يوجه الله تعالى خطابه إلى البشر مذكرا إياهم بأنه هوالذي خلقهم وبثَّ فيهم الروح.ذلك السرُّ المعجز في بقائهم،وأنهم لا يملكون شيئا من ذلك.كما يذكّرهم بالموت وأنه لا مفر لأحد منه.وفي هذا إثارةٌ للمشاعر حتى تتساءل:من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا أتيت ؟ وأين سأمضي ؟وما مصيري ؟ هذه الأسئلة الكبرى التي يبحث لها كل إنسان عن جواب،قد أجاب عليها القران

بقوله تعالى:تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوالْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) [الملك/1-2]،وبقوله تعالى: { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ( 84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ( 87) [الواقعة/83-87]}.

**ثانيا:مخاطبـة العقـل:**

إن منهج الخطاب القرآني للبشرية ليس قائما على إثارة المشاعر ومخاطبة الوجدان فحسب،بل إنه مع ذلك يتوجه بالخطاب إلى العقل،فيحثه على التدبر والتأمل،ويثير فيه التساؤلات التي ترشد وجهته،ومن تلك التساؤلات:هل يمكن أن يوجد هذا الكون الهائل بلا خالق ؟ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ( 38) [الطور/35-38]

--------------

**منهج القرآن في أدلته العقلية:**

تهدف الأدلة التي يأتي بها القرآن إلى تقرير وجود الله تعالى وتفرده بالخلق والملك والتدبير.وهوفي ذلك يأتي بالبراهين البدهية السهلة التي يدركها العقل بدون خوض في الجدال العقيم الجاف.وعلة ذلك:حتى تكون هذه الأدلة متاحةً لجميع العقول بكل مستوياتها كما في قوله تعالى:{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (35) سورة الطور،وقوله تعالى:{أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} (17) سورة النحل،وقوله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُواللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (14) سورة الملك،وقوله تعالى:{أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا} (67) سورة مريم.

## الله تعالى في العقيدة الإسلامية:

لقد عني القرآن الكريم منذ ابتداء نزوله بمكة بتصحيح الأفهام،وتعريف الناس بالله رب العالمين حتى يعرفوه معرفة صحيحة،ومن ثم يتم البناء الإيماني لهم على أساس سليم.لذا كانت جلُّ السور المكية تركز تركيزا تاما على مسائل الاعتقاد توضيحا صحيحا،وتدعوا الناس إلى الإيمان بالله تعالى انطلاقا من ذلك.

**الأول- الإيمان بربوبيته تعالى:**

وذلك بالإيمان بأنه الخالق المالك المدبر للكون وما فيه،وحده لا شريك له ولا معاون له في ذلك،قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} (3) سورة يونس،وقال تعالى:{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} (31) سورة يونس،كما أنه تعالى وحده صاحب الأمر والنهي في التشريع كله،فلا مشرع سواه،قال تعالى :{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} (13) سورة الشورى،وكذلك يجب الإيمان بكل ما تستلزم الربوبية من صفات الكمال قال تعالى:{ وَهُواللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُولَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ { 70} القصص

**الثاني- الإيمان بألوهيته تعالى:**

إن مما يتطلبه الإيمان بالله تعالى:الإيمان بأنه الإله الحقُّ الذي يستحق العبادة،وألا يتخذ غيره إلها بأيِّ وجهٍ

من وجوه الألوهية المقتضية للعبادة.فكما أنه لا ربَّ سواه فكذلك فإنه لا معبودَ بحقٍّ سواه،كما قال تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (163) سورة البقرة.
هذا وقد بين الله تعالى قضية الإيمان به تعالى في سورة قصيرة من سور القرآن يحفظها كل مسلم حتى يتقرر لديه مقتضى الإيمان بالله وحده ألا وهي سورة الإخلاص:{ قُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)}سورة الإخلاص
تفرّد بصفات الجلال والكمال التي وصف بها نفسه في كتابه،أووصفه بها نبيه  في سنَّته،فلا نَصِفُ أحداً من خلقه بشيء من صفاته،ولا نُلحدُ في أسماء ربنا وصفاته،قال تعالى:{وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (180) سورة الأعراف.
بل نؤمن بما وصف سبحانه به نفسه،وبما وصفه به رسوله  من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ،ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ،قال تعالى:{وَهُوالَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوأَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (27) سورة الروم.
**الثالث- الإيمانُ بحاكميته تعالى:**
فالحاكميةُ مصدرٌ صناعي يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر القياسي (الحكم)،ومعنى توحيد الحاكمية:أي إفراد الله سبحانه بالحكم والتشريع،وأنه سبحانه هوالحكمُ والمشرع،وأنه لا يشرك في حكمه أحداً.
ولا شك أن الحاكمية بهذا المفهوم من أصول الدين ومقتضيات "لا إله إلا الله" ومن توحيد الألوهية الذي نزلت به الكتب،وأرسلت لأجله الرسل،وهي قضية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.
قال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان عند قوله تعالى:{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (10) سورة الشورى [30]:
" وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْحَلَالَ هُومَا أَحَلَّهُ اللَّهُ،وَالْحَرَامَ هُومَا حَرَّمَهُ اللَّهُ،وَالدِّينَ هُومَا شَرَعَهُ اللَّهُ،فَكُلُّ تَشْرِيعٍ مَنْ غَيْرِهِ بَاطِلٌ،وَالْعَمَلُ بِهِ بَدَلَ تَشْرِيعِ اللَّهِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِثْلُهُ أَوخَيْرٌ مِنْهُ - كُفْرُ بَوَاحٍ لَا نِزَاعَ فِيهِ.
وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ عَلَى أَنَّهُ لَا حُكْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ،وَأَنَّ اتِّبَاعَ تَشْرِيعِ غَيْرِهِ كُفْرٌ بِهِ،فَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى -:إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [12 \ 40].وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ الْآيَةَ [12 \ 67].وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوخَيْرُ الْفَاصِلِينَ [6 \ 57].وَقَوْلُهُ:وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [5 \ 44].وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا [18 \ 26].وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [28 \ 88].وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [28 \ 70].وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.
وَقَدْ قَدَّمْنَا إِيضَاحَهَا فِي سُورَةِ «الْكَهْفِ» فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ - تَعَالَى -:وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا [18 \ 26].
وَأَمَّا الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ اتِّبَاعَ تَشْرِيعِ غَيْرِ اللَّهِ الْمَذْكُورِ كُفْرٌ،فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا،كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -:إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ [16 \ 100].وَقَوْلِهِ - تَعَالَى -:وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [16 \ 121].وَقَوْلِهِ - تَعَالَى -:أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ الْآيَةَ [36 \ 60].وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا،كَمَا تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ فِي «الْكَهْفِ».".انتهى.

[30] - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (7/ 48)

فمن حكم بغير ما أنزل اللهُ فهوكافرٌ ظالمٌ فاسقٌ،كما حكم الله بذلك.فإن كانَ معتقداً صوابَ ما حكم به أوجوازَه فقد كفرَ كفراً مخرجاً من الملة،وإنْ حكمَ بغير حكم اللهِ لشهوةٍ أوهوىً فكافرٌ كفراً أصغرَ،وهومعصيةٌ وإثم كبيرٌ.وأما التشريعُ الوضعيُّ وسنُّ القوانين وإخضاعُ الناس لذلك فهذا كفرٌ مخرجٌ من الملَّةِ،وإن قال صاحبُه:إنَّ شرعَ الله أعدلُ وأحسنُ،لأنه مضاه بذلك شرع الله تعالى ناعيا على بني إسرائيل:{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوسُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (31) سورة التوبة.
وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:أَتَيْتُ النَّبِيَّ ،وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ،قَالَ:فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:" {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} [التوبة: 31] "،قَالَ:قُلْتَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ قَالَ:" أَجَلْ،وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ،فَيَسْتَحِلُّونَهُ،وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ،فَيُحَرِّمُونَهُ،فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ " (أخرجه البيهقي في السنن الكبرى)[31].
وعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ،قَالَ:سُئِلَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:" {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونَ اللهِ} [التوبة:31]،أَكَانُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ؟ " قَالَ:" لَا،وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ،فَيَسْتَحِلُّونَهُ،وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ،فَيُحَرِّمُونَهُ،فَصَارُوا بِذَلِكَ أَرْبَابًا ". (السنن الكبرى للبيهقي )[32].
فلابد أن تكون شريعة الله هي التي تحكم الأرض،وإليها رجوع الناس في شؤونهم وأحوالهم وتقاضيهم

**الرابع- الإيمان بتوحيد بالأسماء والصفات :**

---

[31] - السنن الكبرى للبيهقي (10/ 198) (20350 ) صحيح لغيره

[32] - السنن الكبرى للبيهقي (10/ 198)(20351 ) وفيه انقطاع ولكنه صحيح لغيره

وهو اعتقاد أن الله تعالى له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى الكاملة،التي ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، ولا يماثله فيها أحد من خلقه، ولا يماثل فيها سبحانه أحداً من خلقه.

وأهل السنة والجماعة:يعرفون ربهم بصفاته الواردة في القرآن والسنة، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبت لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، وقاعدتهم في كل ذلك قوله تبارك وتعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: 11] ,وقوله: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: 180].

وأهل السنة والجماعة:يؤمنون أن الله - سبحانه وتعالى - هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء،والظاهر الذي ليس فوقه شيء،والباطن الذي ليس دونه شيء، كما قال سبحانه: { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الحديد: 3] .

وكما أن ذاته -سبحانه وتعالى- لا تشبه الذوات،فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؛ لأنه - سبحانه - لا سمي له،ولا كفء له ولا ند له،ولا يقاس بخلقه؛فيثبتون لله ما أثبته لنفسه إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل؛ فحين يثبتون لله ما أثبته لنفسه لا يمثلون،وإذا نزهوه لا يعطلون الصفات التي وصف نفسه بها.

ويؤمنون أن الله -سبحانه وتعالى- محيط بكل شيء،وخالق كل شيء،ورازق كل حي، قال تعالى: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك: 14] .

وقال:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)} [الذاريات: 56 - 58].[33]

قال ابن كثير رحمه الله:"وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} فَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَام مَقَالَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا،لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا،وَإِنَّمَا يُسلك فِي هَذَا الْمَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مَالِكٌ،وَالْأَوْزَاعِيُّ،والثوري،وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ،وَالشَّافِعِيُّ،وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا،وَهُوَ **إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ**.**وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ إِلَى أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِينَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ**،وَ{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشُّورَى:11] بَلِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَئِمَّةُ -مِنْهُمْ نُعَيْم بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ -:"مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ".وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولَهُ تَشْبِيهٌ،فَمَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ تَعَالَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ الصَّرِيحَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ،عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى النَّقَائِصَ، فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْهُدَى." [34]

______________

**لقد قام البناء الإسلامي على الأسس الآتية:**

**أولا:تقرير عقـيدة التوحيد:**

إن الناظر في القرآن الكريم ليجد أن أعظم ما اهتمت به نصوصه قضية توحيد الله تعالى توحيدا كاملا خالصا

[33] - [الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ص: 120]

[34] - [تفسير ابن كثير ت سلامة 3/ 426] وانظر [تفسير ابن كثير ت سلامة 1/ 682] و[تفسير ابن كثير ت سلامة 7/ 113]

من الشرك في جميع صوره،وقد بينت النصوص أن التوحيد يتناول ثلاثة مسائل أساسية:
1- توحيد الله تعالى في ربوبيته وأنه تعالى وحده الخالق المالك المدبر للكون وشئونه.
2- توحيده تعالى – ترتيبا على ما سبق – في صفاته التي تجب له وتليق بعظمته وجلاله،وكذلك توحيده في أسمائه التي سمى بها نفسه من أسماء حسنى تتضمن كماله وجلاله.
3- إفراده تعالى بالعبادة حتى لا يتخذ معبودا سواه بأي وجه من وجوه العبادة.

**أسباب التركيز على عقيدة التوحيد:**

تعتبر عقيدة التوحيد هي الأساس الفاصل بين الإيمان والشرك أوالكفر.ولما كان البناء الإسلامي كله يقوم عليها،فقد عني القرآن الكريم والرسول  بتأسيس ذلك وتوضيحه غاية التوضيح.
كانت المجتمعات البشرية قد اعترى تصورها لله الخالق انحراف كبير سببه التحريف الذي حدث للديانات السابقة مما فتح الباب أمام الانحرافات والتخيلات الفاسدة في العقيدة الإلهية،فأصبح الناس بين طرفي نقيض:
الطرف الأول:قوم غلوا بعقولهم فجعلوا إلههم صورة خيالية تجريدية لا محل لها من الواقع.فكان الإله عندهم صورة ذهنية مجردة.
الطرف الثاني:قوم فرطوا في إلههم فشبهوه بالمخلوق،ووصفوه بصفات المخلوق من حيث التعدد واتخاذ الولد والتجسيد،وكونه يعتريه ما يعتري البشر من الآفات والنقائص،وأنه يمكن أن يخفى عليه شيء من الخلق.

**المسالة الأولى:توحيده تعالى في ربوبيته خلقا وملكا وتدبيرا:**

بين القرآن الكريم بأن الله تعالى هووحده الخالق لهذا الكون بكل ما فيه بلا شريك ولامعين له في ذلك.فالله تعالى أوجده من العدم،ووضع له النواميس التي يسير عليها،وخلق فيه المخلوقات المختلفة التي تعيش فيه.ولأنه تعالى المتفرد بخلقه،فهوكذلك المتفرد بملكه لكل ما في الكون،وليس لسواه ملك على أي شيء أصالة،كما أنه تعالى هوالمتصرف المدبر للكون.وقد جعل الله تعالى آياته في الكون وانتظام أمره ونفاذ قدرته أدلة على وجوده وتفرده وعظيم سلطانه وقدرته،ذلك أن البشر جميعا -إلا من شذ منهم- يقرون بأن الله تعالى هوالخالق لهذا الكون المالك له والمدبر لأمره،قال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (87) سورة الزخرف،والإيمان بالربوبية يزيد النفس خشوعا ورهبة،لأن الإنسان ضعيف بطبعه وخلقته،فإذا ظهرت قوة خارقة وقف أمامها مبهوراً كما قال الله تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (67) سورة الزمر.

**المسألة الثانية:إفراد لله تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله:**

**1.ذات الله تعالى:**

إن لله تعالى في العقيدة الإسلامية ذاتاً متميزة مستقلة،لها وجود حقيقي لا خيالي،إلا إنها ذات لا تشبه ذوات المخلوقين لا من حيث الوجود ولا من حيث الصفات.فوجود الله تعالى وجود كامل لم يسبق بعدم ولا يدركه فناء ولا عدم،فهوالأول وليس قبله شيء،كما أنه الآخر وليس بعده شيء،قال تعالى:{هُوالْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (3) سورة الحديد،عَنْ سُهَيْلٍ،قَالَ:كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا،إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ،أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ،ثُمَّ يَقُولُ:«اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ،رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ،فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى،وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ،أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ،اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ،اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ،وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ  (أخرجه مسلم )[35].

ولما كانت هذه الذات بالحال التي ذكرنا،فإن العقل البشري يستحيل عليه إدراك كنهَ هذه الذات،لأنه لا يتصور إلا الأشياء التي تدركها حواسه المحددة.فذات الله تعالى جلت عن أن تدركها البصائر النافذة فضلا عن الأبصار،وعظمت عن أن تتوهمها الظنون أوتتصورها الأفكار،قال تعالى:{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَيُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُواللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (103) سورة الأنعام.

**2.صفات الله تعالى وأسمائه:**

لما كانت ذات الله تعالى مما تعجز الأفهام عن إدراكها،وتحار العقول في بلوغ فهمها لمخالفتها لسائر المخلوقات،كان السبيل إلى التعريف بها هوالتعريف بصفاته تعالى.وقد سلك القرآن الكريم ذلك المنهج،وكذلك الرسول ،فقد اتخذ القرآن الكريم في التعريف بالله تعالى منهج الاستدلال بالشاهد الموجود على الغائب.فجعل آياته الكونية الدالة على عظمته وجلاله وفائق قدرته وسلطانه منطلقا لبيان صفاته وأسمائه المتضمنة لكماله وجلاله.فالناظر في صنعة يستدل بها على كثير من صفات صانعها.لذا نجد أن القرآن كثيرا ما يضرب الأمثال للناس،مع أنه جعل قاعدة عامة لذلك تفيد نفي المماثلة والمشابهة بين

---

[35] - صحيح مسلم (4/ 2084):61 - (2713)
 [ش (شر كل شيء أنت آخذ بناصيته) أي من شر كل شيء من المخلوقات لأنها كلها في سلطانه وهو آخذ بنواصيها (اقض عنا الدين) يحتمل أن المراد بالدين هنا حقوق الله تعالى وحقوق العباد كلها من جميع الأنواع]

الخالق والمخلوق كما في قوله تعالى :{لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (60) سورة النحل،وقوله:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوالسَّمِيعُ البَصِيرُ} (11) سورة الشورى،فكل ذات من الذوات لابدَّ لها من صفات تتصف بها.وإذا كان الإنسان يتصف بصفات هي في حقه صفات كمال كالعلم والسمع والبصر والعدل والإرادة والحكمة وكل صفات الكمال،فالله تعالى أولى بذلك وأعلى،مع العلم بالفارق التام بين صفات الخالق وصفات المخلوق.ومن أسماء الله تعالى وصفاته التي وردت بها النصوص قوله تعالى:{ هُواللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُواللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوالْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُواللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24) [الحشر/22-24]}

**فوائد التعريف بالصفات:**

1- تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق كما قال الله تعالى :{...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوالسَّمِيعُ البَصِيرُ} (11) سورة الشورى،وقوله تعالى:{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (4) سورة الإخلاص

2- تعريف الخلق بربهم وإلههم حتى يعبدوه حق عبادته بناءا على معرفتهم به،لأن كمال العبادة يكون بكمال المعرفة كما قال الله تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (19) سورة محمد

3- قطع الطمع عن إدراك كيفية تلك الصفات،كما قال الله تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (110) سورة طـه

**أفعال الله تعالى:**

أفعال الله تعالى تقوم على كمال القدرة وتمام العلم المحيط بكل شيء،فالله تعالى لما كان متفردا في ذاته وصفاته،استلزم ذلك أن يكون متفردا في أفعاله،فلا يشبهه أحد من خلقه في فعل من أفعاله.لذا نجد أن الله تعالى كثيرا ما تحدَّى البشر بأن يأتوا بشيء من أفعاله،فقد تحدَّاهم بأن يخلقوا ذبابة،أوينزلوا ولوأقصر سورة من القرآن،ولكن هيهات أن يقدر على شيء من ذلك أحد في اللاحق وقد عجز عنه السابقون.قال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَواجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (73) سورة الحـج,وقال تعالى:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (23) سورة البقرة

**المسألة الثالثة:إفراد الله تعالى بالعبادة حتى لا يتخذَ إلهٌ غيره بأي وجهٍ من الوجوه المقتضية للعبادة:**

وهذه قضية جوهرية من قضايا التوحيد،بل هي الركن الأساسي الذي تقتضيه عقيدة التوحيد الإسلامية المتقررة في كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله ) أي لا معبود بحق إلا الله.فهذه هي الكلمة الفاصلة بين عقيدة التوحيد في الإسلام وغيرها من العقائد الأخرى.فلما كان الله تعالى متفردا في ذاته وصفاته وأفعاله- وكانت النفوس مفطورة على اتخاذ إله تعبده وتعظمه- كان الله تعالى هوالمعبود بحق،والمستحق الوحيد لهذه العبادة مهما تعددت الآلهة المتخذة.

بل إن المتقرر حتى لدى كثير من المشركين المتخذين لأكثر من إله أنهم يعتقدون بأن هناك إلها واحدا يسيطر على جميع الآلهة الأخرى،وأنه هوعظيمها وإمامها،وأن ما

دونه وسيلة إليه.ومن النصوص في ذلك قوله تعالى : {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوكَاذِبٌ كَفَّارٌ} (3) سورة الزمر،وقال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (25) سورة لقمان.

--------------

**الأسس التي يقوم عليها توحيد الذات والصفات:**

يعد مبحث توحيد الذات والصفات أدق مباحث العقيدة الإسلامية،وذلك لأنه المحك الذي انزلقت فيه كثير من الفرق،وضلّت في مسالكه العديدُ من الفلسفات والأفكار.لذا عنيت العقيدة الإسلامية بوضع الأسس السليمة للخروج بمعتقد صحيحٍ صريحٍ في هذا الباب يأمن فيه السالكُ الانزلاقَ والضلالَ.وتتمثل هذه الأسس فيما يلي:

**الأساس الأول:أنه لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أووصفه به رسوله ﷺ:**

وكذا في باب الأسماء لا يسمَّى الله سبحانه وتعالى إلا بما جاء به الشرع.ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره،فإذا كانت الذات الإلهية لا تدركها العقول والأبصار.فإن الواجب أن لا توصف تلك الذات إلا بما تصف به نفسها أوبما يصفها به من وكّل إليه شيء من ذلك،وهم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.قال الله تعالى:{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (36) سورة الإسراء،وقال تعالى:{وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (180) سورة الأعراف،وقال تعالى:{..لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوالسَّمِيعُ البَصِيرُ} (11) سورة

الشورى،وقوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (65) سورة مريم .

**الأساس الثاني:تنزيه الله تعالى عن أن يشبه شيئا من خلقه أوأن يشبهه أحد من خلقه في ذاته أوصفاته أوأفعاله:**

فقد تقرر لدينا أن ذات الله تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين.لذا كان اللازم ألا تشبه صفاته صفات المخلوقين،لأن الكلام في الصفات يبنى على الكلام في الذات.ويدل على ذلك قوله تعالى:{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) [مريم/65]}

**الأساس الثالث:أنه لا سبيل لإدراك الكيفيات والهيئات فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله:**

وهذا الأساس يقوم أيضا على اختلافه سبحانه وتعالى عن المخلوقات.فالإنسان محدود القدرات في إدراكه للأمور الغائبة عنه،وحتى قدرته التي يحاول بها الخروج عن حدود الواقع،وهي قوة التخيل،فإنه لا يتجاوز بها المدركات المادية المتصورة لديه مهما حاول تشكيل صورها وتوسيع مداها.أما حينما يحاول الخروج عن ذلك فان عقله يقع في التناقض أوعدم القدرة على تصور ذلك.

□□□□□□□□□□□

# ثمراتُ الإيمان بالله تعالى

**1**- استشعارُ الإنسان عظمةِ الله سبحانه وتعالى وجلاله وكماله،مما يدفع الإنسان إلى الخوف واللجوء إليه والتقرب إليه حبا وتعظيما ومهابة وإجلالا،وكل ذلك يؤثر في حياة المؤمن تأثيرا كبيرا يدفعه إلى السلوك القويم رجاء ثواب الله تعالى وخوف عقابه،كما أنه يملأ قلبه حبا للخير فيسعى إلى دعوة غيره بالتي هي أحسن حتى يشترك معه في تحصيل هذا الخير،لذا قال الله تعالى في وصف الرسول  :{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (128)سورة التوبة }

2.استعلاءُ نفس المؤمن وتحرره من العبودية لغير الله تعالى،فلا يخاف إلا إياه،ولا يطمع إلا في رضاه،وهذا ما يربي فيه الخصال الحميدة من العزة والكرامة والصدق والشجاعة والسخاء،لأنه صار عبدا لله حقا يستمد عزه من عزته كما قال تعالى:{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)سورة المنافقون}،وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام:{ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (81)سورة الأنعام }

3.إضفاءُ الحياة معنى أكبر وأبعد من المعاني القاصرة المتصفة بالذاتية والأنانية،حيث إن المؤمن يعتقد جازما بأن هذه الدنيا مزرعةٌ للآخرة،وأن له بكل ما يبذل في هذه الدنيا حسنةً،قال تعالى:{ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) [النجم/39-43] }

4.تنزيهُ الله تعالى عن مشابهة خلقه،وبيان أنه المتفرد بصفات الكمال والجلال،فلا يتطرق إلى قلب المؤمن شيءٌ من أوهام تشبيه أحد من الخلق بالله عز وجل،أووصف ذلك المخلوق بصفات الكمال الواجبة لله تعالى
5 - يثمر للعبد محبةَ الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره،واجتناب نهيه،وإذا قام العبد بذلك نال بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة.قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (54) سورة المائدة
6 - إنَّ الإيمان بالله ينشئ في النفس الأنفة والعزة ؛ لأنه يعلم أن الله هوالمالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون،وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو،وهذا العلم  يغنيه عن غير الله،وينزع من قلبه خوف سواه،فلا يرجوإلا الله،ولا يخاف سواه.قال تعالى:{  الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُوفَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175) }   [آل عمران/173-175]
7 - إنَّ الإيمان بالله ينشئ في نفسه التواضع ؛لأنه يعلم أن ما به من نعمة فمن الله،فلا يغره الشيطان،ولا يبطر ولا يتكبر،ولا يزهوبقوته وماله.قال تعالى:{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (53) سورة النحل.
8 - إنَّ المؤمن بالله يعلم علم اليقين أنه لا سبيلَ إلى الفلاحِ والنجاةِ إلا بالعمل الصالح الذي يرضاه الله،قال

تعالى:{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} (37) سورة سبأ،في حين يعتقد غيره اعتقادات باطلة كاعتقاد أن الله أمر بصلب ابنه تكفيرا عن خطايا البشر،أويؤمن بآلهة ويعتقد أنها تحقق له ما يريد،وهي في حقيقتها لا تنفع ولا تضر،أويكون ملحدا فلا يؤمن بوجود خالق..وكل هذه أماني،حتى إذا وردوا على الله يوم القيامة وعاينوا الحقائق أدركوا أنهم كانوا في ضلال مبين.قال تعالى:{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) سورة الأنعام.}

9 - إنَّ الإيمان بالله يربي في الإنسان قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل،حينما يضطلع بمعالي الأمور في الدنيا ابتغاء لمرضاة الله،ويكون على يقين تام أنه متوكل على ملك السماوات والأرض،وأنه يؤيده ويأخذ بيده،فيكون راسخا رسوخ الجبال في صبره وثباته وتوكله

10-الأمن التام والاهتداء التام،فبحسب الإيمان يحصل الأمن والإهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة،قال الله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} (82) سورة الأنعام.

11-الاستخلافُ في الأرض والتمكين والعزة،قال الله تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (55)سورة النــور.

12-دخولُ الجنان والنجاة من النيران،قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} (12) سورة محمد
13-الحياةُ الطيبة،فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هوطيب-إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله-عز وجل- قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوأُنثَى وَهُومُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (97) سورة النحل.
14-حلولُ الخيرات ونزولُ البركات:قال تعالى:{وَلَوأَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (96) سورة الأعراف.
15-الهدايةُ لكل خير،قال تعالى:{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (11) سورة التغابن.وقال:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (9) سورة يونس.وقال تعالى:{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ } (24) سورة الحـج.
16-السلامةُ من الخسارة،قال تعالى:[وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ] (العصر:1-3).
17-الإيمانُ بالله سببٌ لدفاع الله عن أهله:قال عز وجل {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (38) سورة الحـج.
18-تكفيرُ السيئات،قال تعالى:[وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوالْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ] (محمد:2).

19-الرفعةُ والعلو،قال تعالى:{...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (11) سورة المجادلة.
20-إخلاصُ العمل،فلا يمكن للعبد أن يقومَ بالإخلاص لله،ولعباد الله،ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان الحقيقي.فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ  حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ:يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي،قَالَ:«أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ» (أخرجه الحاكم في المستدرك )[36].
21-قوةُ التوكل،فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله،{..وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوحَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (3) سورة الطلاق،وقال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) [الأنفال/2-5] }
22-الشجاعةُ،فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله،والخشية له،وتعظيمه،وإجلاله.قال تعالى:{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (23) سورة الأحزاب
23-حسنُ الخلق،فالإيمان يدعوإلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس،وإذا ضعف الإيمان أونقص أوانحرف أثَّر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعْده عن الإيمان.قال تعالى:{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (90) سورة النحل

---
[36] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 341) (7844 ) حسن

24-الإعانةُ على تحمل المشاقِّ،فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق،والقيام بالطاعات،وترك الفواحش والمنكرات.
25-الذكرُ الحسن،فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.
26-عزةُ النفس،فالإيمان يوجب للعبد العفة،وعزة النفس،والترفع عن إراقة ماء الوجه؛تذللاً للمخلوقين.
27-إنَّ الإيمان هوالسبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهوالجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.
28- ولايةُ الله لعبده المؤمن،قال تعالى:{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (257) سورة البقرة
عَنْ نَافِعٍ،قَالَ:قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ،وَتَابَعَهُ أَبُو عَاصِمٍ،عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ،عَنْ نَافِعٍ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ،قَالَ:" إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ:إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ،فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ:إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ،فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ ".(أخرجه البخاري )[37].
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ :" إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ:إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ،قَالَ:فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ:إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ،فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ،وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ:إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ،قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ،ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا

---

[37] - صحيح البخاري (4/ 111)(3209 )
[(القبول في الأرض) المحبة في قلوب من يعرفه من المؤمنين ويبقى له ذكر صالح وثناء حسن]

فَأَبْغِضُوهُ،قَالَ:فَيُبْغِضُونَهُ،ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ"[38].
29- استغفارُ الملائكة لهم،يقول الله تعالى:{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9) } [غافر/7-9]
30- السعادةُ التي يجدها المسلم في لذة العبادة،وهي الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين يقول الله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوأُنثَى وَهُومُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (97) سورة النحل.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي،وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي،فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي،وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا،وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ".(أخرجه الشيخان )[39].

---

[38] - صحيح مسلم (4/ 2030):157 - (2637)
[39] - صحيح البخاري (9/ 121) (7405 ) وصحيح مسلم (4/ 2067):21 - ( 2675)
[(أنا عند ظن عبدي بي) أجازيه بحسب ظنه بي فإن رجا رحمتي وظن أني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك لأنه لا يرجوه إلا مؤمن علم أن له ربا يجازي.وإن يئس من رحمتي وظن أني أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك لأنه لا ييأس إلا كافر.(معه) بعوني ونصرتي وحفظي.(ذكرته في نفسي) أي إن عظمني وقدسني ونزهني سرا كتبت له الثواب والرحمة سرا وقيل إن ذكرني بالتعظيم أذكره بالإنعام.(ملأ) جماعة من الناس.(ملأ خير منهم) جماعة من الملائكة المقربين وهم أفضل من عامة البشر.(شبرا) مقدار شبر وهو قدر بعد ما بين رأس الخنصر ورأس الإبهام والكف مبسوطة

وقال العلامة ابن القيم رحمه في مدارج السالكين [40]:"
فَإِنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ وَلَا لَذَّةَ،وَلَا ابْتِهَاجَ،وَلَا كَمَالَ،إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ،وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ،وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ،وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ،فَهَذِهِ جَنَّتُهُ الْعَاجِلَةُ،كَمَا أَنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ،وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِجِوَارِهِ فِي دَارِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ الْآجِلَةِ،فَلَهُ جَنَّتَانِ لَا يَدْخُلُ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا إِنْ لَمْ يَدْخُلِ الْأُولَى.
وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ:إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.
وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ:إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ،أَقُولُ:إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا،إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ:مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا،قَالُوا:وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ:مَحَبَّةُ اللَّهِ،وَالْأُنْسُ بِهِ،وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ،وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ،وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ.وَكُلُّ مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ يَشْهَدُ هَذَا وَيَعْرِفُهُ ذَوْقًا."
31- التخلُّصُ من سلطان الشيطان.ذلك أن الشيطانَ يوسوسُ لكل أحد ويدلُّه إلى ما يهلكه،وقد جعل الله لعباده المؤمنين حصوناً يمتنعون فيها من وسوسته،يقول الله تعالى:{ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) } [النحل:98 - 100]
32- يمدُّ الإنسان بقدرةٍ كبيرةٍ على تحمُّل المصائب،قال تعالى:{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ

---

مفرقة الأصابع.(ذراعا) هي اليد من كل حيوان وهي من الإنسان من المرفق إلى أطراف رؤوس الأصابع.(باعا) هو مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالا.(هرولة) هي الإسراع في المشي ونوع من العدو وهذا والذي قبله مجاز عن قبوله سبحانه وسرعة إجابته للعبد ومزيد تفضله عليه]

[40] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 452)

لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } (146) سورة آل عمران.

وعَنْ صُهَيْبٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ □:«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ،فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ،صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» رواه مسلم )[41] .

□□□□□□□□□□□□□

---

[41] - صحيح مسلم (4/ 2295):64 - (2999)

# الركنُ الثاني
# الإيمانُ بالملائكة

**تعريفه:**

هوالتصديق الجازم بأن لله ملائكةً موجودين،مخلوقين من نور،وأنهم عبادٌ مكرمون يسبحون الله في الليل والنهار لا يفترون،وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،ثم إنهم ليسوا كالبشر،فهم لا يأكلونَ ولا يشربونَ ولا ينامون ولا يتناسلون،وإنهم قائمون بوظائف متنوعة أوكلَ الله تعالى إليهم القيام بها.

**صفات الملائكة:**

إن العلمَ بالملائكة من الأمور الغيبية التي لا يصل إليها العقلُ المجرد،وإنما السبيل لمعرفتهم هوالخبر الصادقُ عن الله عز وجل أوعن رسوله ﷺ.وقد جاءت الأخبار التي تفيد بوجود الملائكة وتذكر بعض صفاتهم بصورة مجملةٍ دون تفصيل ومما ورد في ذلك:

**1- أنهم مخلوقون من نور:**

فعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ،وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ،وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».( أخرجه مسلم) [42]

لكنه لم يبين لنا النور الذي خُلقوا منه،لذا فإننا لا نستطيع الخوض في ذلك وإنما الواجب الاعتقاد بصحته وصدقه والتوقف عنده.

أما متى خُلقوا فليس هذا أيضا مما ذكر،بل الذي جاءت به النصوص أن خلقهم كان قبلَ خلقِ آدم عليه السلام لأنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم عند خلقه،قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (30) } سورة البقرة،وقال أيضا:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

[42] - صحيح مسلم (4/ 2294):60 - (2996) [ش (الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار]

لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ (29)سورة الحجر }

**2- عِظمُ خلقهم:**

لقد ذكر الله تعالى بعض صفات الملائكة في القرآن العظيم،ومن ذلك عِظم خلقهم فقد قال تعالى عن ملائكة النار:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (6) سورة التحريم،وقال تعالى عن جبريل عليه السلام:إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوبِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) [الحاقة/40،41].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ،إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ».( أخرجه أبوداود)[43].

فهذه النصوص وغيرها تبين عظمة الملائكة،فالواجب علينا الإيمانُ بكل ما جاء في ذلك،مع أننا لا نستطيع تصور كيفياتهم،إذ كيف نتصور مخلوقات ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع والجناحُ الواحد يسد الأفقَ،وجبريل عليه السلام له ستمائة جناح كما ورد بذلك الحديث.فعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:" رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ،وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ،كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ " .(أخرجه أحمد )[44]

**3- قدرتهم على التشكل في مادة كثيفة جسمانية:**

---

[43] - سنن أبي داود (4/ 232)(4727 ) صحيح

[44] - مسند أحمد ط الرسالة (6/ 294) (3748 ) حسن

قوله:"التهاويل":قال ابن الأثير:أي الأشياء المختلفة الألوان،ومنه يقال لما يخرج في الرياض من ألوان الزهر:التهاويل،وكذلك لما يعَلق على الهوادج من ألوان العِهْنِ والزينة،وكأن واحدها تَهْوَال،وأجملها مما يَهول الإنسانَ ويحيره.

لقد أعطيت الملائكةُ القدرةَ على التشكل والخروج عن صورتهم الحقيقية،فقد جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله  في صورة رجلٍ شديد بياضِ الثيابِ،شديد سواد الشعر[45]،كما جاء إلى مريم عليها السلام في صورة رجل،وغير ذلك من المواقف التي ظهر بها بعض الملائكة للرسل عليهم السلام..

**4-كثرةُ الطاعة والعبادة:**

إن الملائكة كثيروالطاعة والعبادة لله تعالى:حمدا وتسبيحا وتنزيها وطاعةٌ لأوامره دون كللٍ أوملل،قال الله تعالى:وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20) [الأنبياء/19-20]،وقال الله تعالى:{فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (38) سورة فصلت،ومع هذا فهم لا يأكلونَ ولا يشربونَ ولا ينامون،ولا يتناسلون،كما أنهم لا يوصفون بالذكورة أوالأنوثة.

**وظائفهم:**

للملائكة وظائفُ عديدةٌ لا تحصى،وقد جاءت الأخبار ببعض تلك الوظائف ومن أهمها:

**(1)- إبلاغ كلام الله تعالى وحكمه إلى عباده المرسلين:**

قال الله تعالى مخبراً عن القرآن:وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) [الشعراء/192-195]،وقال تعالى:{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُوالْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} (15) سورة غافر،وقد ثبت بالسنة أن هذه وظيفة جبريل عليه السلام.

**(2)- حمل العرش:**

---

[45] - انظر صحيح مسلم برقم( 102 )

فقد نصَّ القرآن الكريم على أن عرش الرحمن تحمله الملائكة،قال الله تعالى:{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (17) سورة الحاقة.وقال تعالى:{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا } (غافر:7).

**(3)- رعايةُ الجنة وأهلها،والقيامُ على النار ومن فيها:**

وقد أطلق القرآن الكريم على القائمين بهذه الوظائف اسم الخزنةِ قال تعالى:{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ( 73) [الزمر/71-73] }،وقال تعالى:{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) [الرعد/23،24] }

وقال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50) [غافر/49 -50] }.

وخصَّ أصحاب النار باسم الزبانية.قال تعالى:{ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18)  [العلق/17-18]}

ورؤساء خزنة جهنم تسعة عشر،قال تعالى:{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُووَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31) [المدثر/27-31]} .

وزعيمهم مالك قال تعالى:{ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ } (الزخرف:77)

وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار،فعَنْ سَمُرَةَ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالاَ الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ،وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ» (أخرجه البخاري)[46].

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ:«مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ:فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا،فَيَقُولُ:«مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ:«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟»

قُلْنَا:لاَ،قَالَ:«لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي،فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ،فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ،وَرَجُلٌ قَائِمٌ،بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى:" إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ،ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ،وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا،فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ،قُلْتُ:مَا هَذَا؟

قَالاَ:انْطَلِقْ،فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ،فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ،فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ،فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ،فَعَادَ إِلَيْهِ،فَضَرَبَهُ،قُلْتُ:مَنْ هَذَا؟ قَالاَ:انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ،أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا،فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا،فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا،وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ،فَقُلْتُ:مَنْ هَذَا؟ قَالاَ:انْطَلِقْ،فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا

---

[46] - صحيح البخاري (4/ 116) (3236 )

عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ - قَالَ يَزِيدُ،وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ:عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ -وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ،فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ،فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ،فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ،فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ،فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ،فَقُلْتُ:مَا هَذَا؟
قَالاَ:انْطَلِقْ،فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ،فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ،وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ،وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا،فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ،وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا،فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ،وَنِسَاءٌ،وَصِبْيَانٌ،ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ،فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ،وَشَبَابٌ،قُلْتُ:طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ،فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ،قَالاَ:نَعَمْ،أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ،فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ،فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ،فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ،فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ،فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ،يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ،وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا،وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ،فَأَوْلاَدُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ،وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ،وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ،وَأَنَا جِبْرِيلُ،وَهَذَا مِيكَائِيلُ،فَارْفَعْ رَأْسَكَ،فَرَفَعْتُ رَأْسِي،فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ،قَالاَ:ذَاكَ مَنْزِلُكَ،قُلْتُ:دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي،قَالاَ:إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ "(أخرجه البخاري)[47].

---

[47] - صحيح البخاري (2/ 101)(1386 )
[ش (كلوب) الحديدة التي ينشل بها اللحم ويعلق ومثله الكلاب.(شدقه) جانب فمه.(يلتئم) يصح ويبرأ.(بفهر) بحجر ملء الكف.(فيشدخ) من الشدخ وهو كسر الشيء الأجوف.(تدهده) تدحرج]

**(4)- مراقبةُ أعمال الخلق وتصرفاتهم وإحصاؤها:**

وذلك أن مع كلِّ إنسان مكلف ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله،قال تعالى:{ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) [ق/17-18]}

وقال تعالى :{ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) [الإنفطار/10-12] }

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ:" مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَانِ:مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ،وَمَلَكٌ عَنْ يَسَارِهِ؛قَالَ:فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ،فَيَكْتُبُ الْخَيْرَ،وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِهِ فَيَكْتُبُ الشَّرَّ ".أخرجه الطبري [48]

**(5)- المحافظةُ على الإنسان خلال حياته كلها:**

قال الله تعالى:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ..} (11) سورة الرعد

**(6)- قبض الأرواح عند الموت (ملك الموت):**

قال تعالى:{ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ {11} السجدة

ولملك الموت أعوان من الملائكة،يأتون العبد بحسب عمله،وإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة،وإن كان مسيئًا ففي أبشع هيئة.قال تعالى:{وَهُوالْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} (61) سورة الأنعام }

**(7)-حضور مجالس الذكر:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ،قَالَ:" إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً،فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ،فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ،وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ،حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا،فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ،قَالَ:فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ:مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ:جِئْنَا

---

[48] - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (21/ 425) وهوحسن

مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ،يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ،قَالَ:وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا:يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ،قَالَ:وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا:لَا،أَيْ رَبِّ قَالَ:فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟
قَالُوا:وَيَسْتَجِيرُونَكَ،قَالَ:وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا:مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ،قَالَ:وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا:لَا،قَالَ:فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا:وَيَسْتَغْفِرُونَكَ،قَالَ:فَيَقُولُ:قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا،وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا،قَالَ:فَيَقُولُونَ:رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ،إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ،قَالَ:فَيَقُولُ:وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ".(أخرجه مسلم )[49]
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  :" إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ،فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا:هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ "
قَالَ:«فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ:" فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ،وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ،مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا:يَقُولُونَ:يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ:" فَيَقُولُ:هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ:" فَيَقُولُونَ:لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ:" فَيَقُولُ:وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ:"

---

[49] - صحيح مسلم (4/ 2069):25 - (2689)
[ش (سيارة) معناه سياحون في الأرض (فضلا) ضبطوه على أوجه أرجحها وأشهرها في بلادنا فضلا والثانية فضلا ورجحها بعضهم وادعى أنها أكثر وأصوب والثالثة فضلا قال القاضي هكذا الرواية عند جمهور شيوخنا في البخاري ومسلم والرابعة فضل على أنه خبر مبتدأ محذوف والخامسة فضلاء جمع فاضل قال العلماء معناه على جميع الروايات أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم وإنما مقصودهم حلق الذكر (يتبعون) أي يتتبعون من التتبع وهو البحث عن الشيء والتفتيش والوجه الثاني يبتغون من الابتغاء وهو الطلب وكلاهما صحيح (وحف) هكذا هو في كثير من نسخ بلادنا حف وفي بعضها حض أي حث على الحضور والاستماع وحكى القاضي عن بعض رواتهم وحط واختاره القاضي قال ومعناه أشار إلى بعض بالنزول ويؤيد هذه الرواية قوله بعده في البخاري هلموا إلى حاجتكم ويؤيد الرواية الأولى وهي حف قوله في البخاري يحفونهم بأجنحتهم ويحدقون بهم ويستديرون حولهم (ويستجيرونك من نارك) أي يطلبون الأمان منها (خطاء) أي كثير الخطايا]

يَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً،وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا،وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ:" يَقُولُ:فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ:«يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ:" يَقُولُ:وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ:" يَقُولُونَ:لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ:" يَقُولُ:فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ:" يَقُولُونَ:لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا،وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا،وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً،قَالَ:فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ:" يَقُولُونَ:مِنَ النَّارِ " قَالَ:" يَقُولُ:وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ:" يَقُولُونَ:لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ:" يَقُولُ:فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ:" يَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا،وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ:" فَيَقُولُ:فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ:" يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ:فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ،إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ.قَالَ:هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " (أخرجه البخاري)[50]

وعَنْ الأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ،أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ،وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:«مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ المَلَائِكَةُ،وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» ..(أخرجه الترمذي )[51]

---

[50] - صحيح البخاري (8/ 86)(6408 )
(يطوفون) يمشون ويدورون حول الناس.(يلتمسون) يطلبون.(فيحفونهم) يطوقونهم ويحيطون بهم بأجنحتهم.(فيسألهم) الحكمة من السؤال إظهار فضل بني آدم وأن فيهم المسبحين والمقدسين كالملائكة على ما هم عليه من الجبلة الشهوانية والفطرة الحيوانية.(يمجدونك) يعظمونك.(لحاجة) دنيوية
(لا يشقى بهم جليسهم) ينتفي الشقاء عمن جالسهم]

[51] - سنن الترمذي ت شاكر (5/ 460)(3378 ) صحيح
قَوْلُهُ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَيْ أَحَاطَتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ أَيْ غَطَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ أَيِ الطُّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ لِقَوْلِهِ تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَوَقَعَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ الْحَدِيثَ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ:«مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ،إِلَّا حُفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ،وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِي الْمَلَأِ عِنْدَهُ»[52]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ :«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا،نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ،يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا،سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ،وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا،سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ،يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ،إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ،وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ،وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ،لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[53]

**(8)- وضع أجنحتها لطالب العلم والاستغفار له:**

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ،قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ،فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ،فَقَالَ:يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ:إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ  لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي،أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ،قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  يَقُولُ:«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ،وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ

---

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ:قِيلَ المراد بالسكينة ها هنا الرَّحْمَةُ وَهُوَ اخْتَارَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِعَطْفِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ وَقِيلَ الطُّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ وَهُوَ أَحْسَنُ

قَالَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ لِفَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ مَذْهَبُنَا ومذهب الجمهور وقال في مَالِكٌ يُكْرَهُ وَتَأَوَّلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَيَلْتَحِقُ بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ الِاجْتِمَاعُ فِي مَدْرَسَةٍ ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى" تحفة الأحوذي (9/ 225)

[52] - السنن الكبرى للنسائي (10/ 425)(11931 ) صحيح

[53] - صحيح مسلم (4/ 2074) 38 - (2699)

[ش (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) معناه من كان عمله ناقصا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل]

أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ،وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ،وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ،وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ،كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ،وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ،وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا،وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ،فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (أخرجه أبوداود)[54].

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ،قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ،فَأَتَاهُ رَجُلٌ،فَقَالَ:يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ،إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ فِي حَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ،أَمَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ،أَمَا جِئْتَ إِلَّا لِهَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا،سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ،وَالْمَلَائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ،وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ،وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،وَالْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ،وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ،كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ،إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ،إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا،وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ،فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».[55].

**(9) - ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهوميكائيل عليه السلام :**

وقد ورد ذكره في القرآن،قال تعالى:{ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌلِلْكَافِرِينَ } (البقرة:98)

وهوذومكانه عالية،ومنزلة رفيعة عند ربه،ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل،وعطفهما على الملائكة،مع أنهما من جنسهم لشرفهما،من قبيل عطف الخاص على

---

[54] - سنن أبي داود (3/ 317) (3641 ) صحيح

[55] - صحيح ابن حبان - مخرجا (1/ 289) (88 ) حسن

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا،هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ،دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ،أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ:«الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَّا الْعِلْمَ،وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺ سُنَّتُهُ،فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

العام،فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا:يَا أَبَا الْقَاسِمِ «نَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ،فَإِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَآمَنَّا بِكَ» قَالَ:فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا:{اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف:66] قَالُوا:أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ قَالَ:«تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ» قَالُوا:وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤْنِثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ يُذْكِرُ الرَّجُلُ؟ قَالَ:«يَلْتَقِي الْمَاءَانِ،فَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ،وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ» قَالُوا:صَدَقْتَ قَالُوا:فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ:«مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،مُوكَلٌّ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ» قَالُوا:فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ قَالَ:«زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا:صَدَقْتَ قَالُوا:أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ:كَانَ يُسْكُنُ الْبَدْوَ فَاشْتَكَى عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَاوِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا قَالُوا:صَدَقْتَ قَالُوا:أَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا يَأْتِيَهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالرِّسَالَةِ وَبِالْوَحْيِ فَمَنْ صَاحِبُكَ؟ فَإِنَّهُ إِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ حَتَّى نُتَابِعَكَ قَالَ:«هُوَ جِبْرِيلُ» قَالُوا:ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَبِالْقَتْلِ ذَاكَ عَدُوُّنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَوْ قُلْتَ:مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ،وَالرَّحْمَةِ تَابَعْنَاكَ،فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [البقرة:97] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ {فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:98].(أخرجه النسائي )[56]

وقد ورد ذكره في حديث آخر فعن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ،قَالَ:سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ،بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ:كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ:«اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ،وَمِيكَائِيلَ،وَإِسْرَافِيلَ،فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ

---

[56] - السنن الكبرى للنسائي (8/ 218) (9024 ) والمعجم الكبير للطبراني (12/ 45)(12429 ) صحيح

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ،اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ،إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (أخرجه مسلم )[57].
خصهم بِالذكر لأَنهم أَشْرَاف الْمَلَائِكَة ورءوسهم مَعَ ملك الْمَوْت " [58].

**(10) – ومنهم الموكل بالصُّور :**

وهوإسرافيل عليه السلام وهوثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم.وهوأحد حملة العرش.والصور:قرن عظيم ينفخ فيه،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ،قَالَ:جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:مَا الصُّورُ؟ قَالَ:قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ..(أخرجه الترمذي )[59]
وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ قَالَ المُسْلِمُونَ:فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ رَبِّنَا وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ:عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا.(أخرجه الترمذي )[60].
وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات:نفخة الفزع،ونفخة الصعق،ونفخة البعث.قال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } (النمل:87).
وهذه هي نفخة الفزع وقد دلَّ على النفختين الأخريين قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (الزمر:68).

**(11)- ومنهم الموكل بالجبال وهوملك الجبال:**

---

[57] - صحيح مسلم (1/ 534):200 - (770)
[ش (اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك) معناه ثبتني عليه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم]
[58] - شرح السيوطي على مسلم (2/ 377)
[59] - سنن الترمذي ت بشار (4/ 198) (2430) وهوصحيح
[60] - سنن الترمذي ت بشار (5/ 226)(3243) والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (3/ 852) (396 ) وهوصحيح لغيره

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ،قَالَ:حَدَّثَنِي عُرْوَةُ،أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ،حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ:هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ،قَالَ:" لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ،وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ،إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ،فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ،فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي،فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي،فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي،فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ،فَنَادَانِي فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ،وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ،وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ،فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ،ثُمَّ قَالَ:يَا مُحَمَّدُ،فَقَالَ،ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ،إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ،لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " (أخرجه البخاري ومسلم )[61].

**(12)- ومنهم الملك الموكل بالرحم:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا،يَقُولُ:يَا رَبِّ نُطْفَةٌ،يَا رَبِّ عَلَقَةٌ،يَا رَبِّ مُضْغَةٌ،فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ:أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى،شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ،فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ،فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ " (أخرجه البخاري)[62].

---

[61] - صحيح البخاري (4/ 115) (3231 ) وصحيح مسلم (3/ 1420):111 - (1795)

[(ما لقيت) أي لقيت الكثير من الأذى.(يوم العقبة) أي كان ما لاقاه عندها وقيل المراد بالعقبة جمرة العقبة التي بمنى وقيل مكان مخصوص في الطائف ولعل هذا أولى.(على وجهي) باتجاه الجهة المواجهة لي.(بقرن الثعالب) اسم موضع بقرب مكة وأصل القرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير والثعالب جمع ثعلب وهو الحيوان المشهور ولعله سمي الموضع بذلك لكثرة الثعالب فيه.(ذلك) أي ذلك كما قال جبريل وكما سمعت منه.(الأخشبين) جبلي مكة أبي قبيس ومقابله قعيقعان سميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما يقال رجل أخشب إذا كان صلب العظام قليل اللحم.(أصلابهم) جمع صلب وهو كل ظهر له فقار]

[62] - صحيح البخاري (1/ 70)(318 ) وصحيح مسلم (4/ 2038):5 - ( 2646)

**(13)- ومنهم زوار البيت المعمور:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،لَعَلَّهُ قَالَ:عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ،رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ:قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ:" بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ،إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ:أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ،فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي،فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ،فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا - قَالَ قَتَادَةُ:فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي مَا يَعْنِي قَالَ:إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ - فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي،فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ،ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ،ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً،ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ،يُقَالُ لَهُ:الْبُرَاقُ،فَوْقَ الْحِمَارِ،وَدُونَ الْبَغْلِ،يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ،فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ،ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا،فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ،فَقِيلَ:مَنْ هَذَا؟
قَالَ:جِبْرِيلُ،قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَفَتَحَ لَنَا،وَقَالَ:مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ "،قَالَ:«فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ﷺ»،وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ،وَذَكَرَ أَنَّهُ «لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى،وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ،وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ،وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ ﷺ»،قَالَ:" ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَقَالَ:مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ،فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى،فَنُودِيَ:مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ:رَبِّ،هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي "،قَالَ:«ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»،وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ:وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ،" أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ،وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ،فَقُلْتُ:يَا جِبْرِيلُ،مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ:أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ،وَأَمَّا

---

[(بالرحم) موضع تكوين الولد لدى المرأة.(نطفة) أي هو نطفة وهو الماء الذي ينعقد منه الإنسان والنطفة الماء الصافي قل أو كثر ونطف سال.(علقة) هو علقة وهي قطعة دم جامدة.(مضغة) هو مضغة وهي قطعة لح صغيرة قدر ما يمضغ.(شقي أم سعيد) هل سيكون في عداد الأشقياء أم سيسلك سبيل السعداء.(الرزق والأجل) أي فما رزقه وما أجله.(فيكتب في بطن أمه) يسجل له ذلك وهو ما زال في بطن أمه]

الطَّاهِرَانِ:فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ،ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،فَقُلْتُ:يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ:هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ،ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ،وَالْآخَرُ لَبَنٌ،فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ،فَقِيلَ:أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ أُمَّتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ،ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً " (أخرجه مسلم )[63]

وعند البخاري عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،وفيه..،فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ،قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ:جِبْرِيلُ،قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ:مُحَمَّدٌ،قِيلَ:وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ،مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَقَالَ:مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ،فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ،فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ،فَقَالَ :هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ " [64]

**(14)- تبليغ الرسول  السلام من أمته:**

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  :«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ».(أخرجه ابن حبان )[65].

---

[63] - صحيح مسلم (1/ 150) 264 - (164)
[ش (ولنعم المجيء جاء) قيل فيه حذف الموصول والاكتفاء بالصلة والمعنى نعم المجيء الذي جاءه (آخر ما عليهم) قال صاحب مطالع الأنوار رويناه آخر ما عليهم برفع الراء ونصبها فالنصب على الظرف والرفع على تقدير ذلك آخر ما عليهم من دخول قال والرفع أوجه (أصبت أصاب الله بك) أي أصبت الفطرة ومعنى أصاب الله بك أي أراد بك الفطرة والخير والفضل وقد جاء أصاب بمعنى أراد قال الله تعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي حيث أراد (أمتك على الفطرة) معناه إنهم أتباع لك وقد أصبت الفطرة فهم يكونون عليها]

[64] - صحيح البخاري (4/ 110) (3207 )
[(فرفع) كشف لي وقرب مني.(البيت المعمور) بيت في السماء مسامت للكعبة في الأرض.(آخر ما عليهم) أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم.]

[65] - صحيح ابن حبان - مخرجا (3/ 195) (914 ) صحيح

**(15)- ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما مُنْكَر ونَكِير**

وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ،وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ،أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ،فَيَقُولاَنِ:مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ،فَأَمَّا المُؤْمِنُ،فَيَقُولُ:أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،فَيُقَالُ لَهُ:انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ،فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ:وَذُكِرَ لَنَا:أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ،ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ:وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ:مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ:لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ،فَيُقَالُ:لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ،وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً،فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ " (أخرجه البخاري)[66].

وعَنْ قَتَادَةَ،حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ:«إِنَّ الْعَبْدَ،إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ،وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ،إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ:" يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ:مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ " قَالَ:" فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ،فَيَقُولُ:أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ " قَالَ:" فَيُقَالُ لَهُ:انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ،قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ:«فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ:وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا،وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا،إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"[67].

---

[66] - صحيح البخاري (2/ 99) (1374 )

[67] - صحيح مسلم (4/ 2200):70 - (2870)

[ش (ما كنت تقول في هذا الرجل) يعني بالرجل النبي ﷺ وإنما يقوله بهذه العبارة التي ليس فيها تعظيم امتحانا للمسئول لئلا يتلقى تعظيمه من عبارة السائل ثم يثبت الله الذين آمنوا (يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا) الخضر ضبطوه بوجهين أصحهما بفتح الخاء وكسر الضاد والثاني بضم الخاء وفتح الضاد والأول أشهر ومعناه يملأ نعما غضة ناعمة وأصله من خضرة الشجرة هكذا فسروه قال القاضي يحتمل أن يكون هذا

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الْإِنْسَانُ،أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ،يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا:الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ:النَّكِيرُ،فَيَقُولَانِ لَهُ:مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ،فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ:هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،فَيَقُولَانِ لَهُ:إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ إِنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ،ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا،وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ،فَيُقَالُ لَهُ:نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ،وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ:لَا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا،فَكُنْتُ أَقُولُهُ،فَيَقُولَانِ لَهُ:إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ،ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ:الْتَئِمِي عَلَيْهِ،فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ،فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».( أخرجه ابن حبان )[68]

## (16) – ومنهم من يحضر صلاة الجماعة ويبلغ الله تعالى بمن حضرها :

---

الفسح له على ظاهره وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا ردت إليه روحه قال ويحتمل أن يكون على ضرب المثل والاستعارة للرحمة والنعيم كما يقال سقى الله قبره والاحتمال الأول أصح]

[68] - صحيح ابن حبان - مخرجا (7/ 386) (3117 ) صحيح
عذاب القبر ثبت متواتراً،متواتر القدر المشترك،وقال به أهل السنة والجماعة قاطبة،ومنكر التواتر هذا لا ريب في تبديعه،ومنكر التواتر بالقدر المشترك كافر إن كان التواتر بديهياً،وفاسق مبتدع إن كان نظرياً،ونسب إلى المعتزلة أنهم ينكرون عذاب القبر،ويرد عليه أن المعتزلة المختار عدم إكفارهم،وإذا كانوا أنكروا عذاب القبر فكيف يكونوا أهل القبلة؟ أقول:يقال أولاً:لعل التواتر نظري،وثانياً:أنه لم ينكر أحد منهم إلا ضرار بن عمرو وبشر المريسي،وإني في هذا أيضاً متردد ما لم ير عبارتهما.ثم لأهل السنة قولان؛ قيل:إن العذاب للروح فقط،وقيل:للروح والجسد والمشهور الثاني،اختاره أكثر شارحي الهداية وهو المختار،وإن صار البدن ذرة ذرة في الدنيا فإن الشعور لكل شيء عند جمهور الأمة،وتفرد ابن حزم الأندلسي وقال:لا شعور إلا للثقلين،وقال الصوفية:العذاب للبدن المثالي،وقال الفلاسفة:لا شعور للطبيعة،وقال صاحب الشمس البازغة:لكل طبيعة شعور " العرف الشذي شرح سنن الترمذي (2/ 349)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ،فَإِذَا كَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ،فَشَهِدُوا مَعَكُمُ الصَّلَاةَ،وَصَعِدَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ،وَمَكَثَتْ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ،فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ:مَا تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟،فَيَقُولُونَ:جِئْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،فَإِذَا كَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ فَشَهِدُوا مَعَكُمُ الصَّلَاةَ،ثُمَّ صَعِدَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ،وَمَكَثَتْ مَعَكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ " قَالَ:" فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُ:مَا تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ " قَالَ:" فَيَقُولُونَ:جِئْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ قَالَ:فَحَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ:«فَاغْفِرْ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ»[69]

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

===============

[69] - الرد على الجهمية للدارمي (ص:61) (92 ) وصحيح ابن خزيمة (1/ 165) (321) صحيح

# ثمراتُ الإيمان بالملائكة

إنَّ الله -عز وجل- لم يطلع الناس على شيء من غيبه إلا وكان فيه نعمة عظيمة لهم،ومن فضل الله علينا أنْ عَرَّفَنَا بهذه المخلوقات الكريمة.وجعل الإيمان بها من الإيمان بالغيبِ الذي يعد أول صفة للمتقين.قال تعالى:{ الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) } [البقرة:1-3].

**ومن هذه الثمرات:**

1.وقوف المؤمن على عظيم قدرة الله تعالى،وذلك واضح في عظم خلق الملائكة.

2- اطمئنان المؤمن إلى أنه محاطٌ برعاية الله تعالى له،بهؤلاء الخلق العظام الذين يرعون شؤونه،ويسيرون كثيرا من شؤون الكون بإذن الله تعالى.

3- حثُّ المؤمن على العمل الصالح وزجره عن السيئات،حيث أن الملائكة يترصدون جميع أعماله ويسجلونها عليه.

4- إغلاقُ باب الخرافة والتخيلاتِ الباطلة والاعتقاد الزائف في الملائكة،وذلك ببيان الحقِّ في شأنهم،وتوضيح ما يخص البشر وينفعهم العلم به من أمر الملائكة.

5 - أنْ تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشركِ وأدرانه،لأنَّ المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله بهذه الأعمال العظيمة تخلَّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهميةٍ تسهمُ في تسيير أمورِ الكون.

6 – أنْ يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعونَ ولا يضرون،وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم،ويفعلون ما يؤمرون،قال تعالى:{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29) [الأنبياء/26-29] } فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم،ولا يتعلقُ بهم.

7- شكرُ الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده،حيث وكَّلَ بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك،مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

8- محبةُ الملائكة على ما هداهم الله إليه،من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.قال تعالى:{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (12) سورة الأنفال،وقال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ(9)} سورة غافر7-9

9- الاستقامةُ على أمر الله عز وجل:فإن من يستشعر وجود الملائكة معه وعدم مفارقتها له،ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه،ليستحي من الله ومن جنوده،فلا يخالفه في أمر ولا يعصيه في العلانية أوفي السرِّ،فكيف يعصى الله مَنْ علم أن كل شيء محسوبٌ ومكتوبٌ؟

10- الطمأنينةُ،فالمسلمُ مطمئن إلى حماية الله له،فقد جعل الله عليه حافظًا يحفظه من الجن والشياطين

ومن كل شرٍّ:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ...} (11) سورة الرعد.

11- حبُّ الله عز وجل،فالمسلم عندما يؤمن بالملائكة وأعمالهم ويرى كيف أن الله -عز وجل- وكَّل ملائكة بالسماء،وملائكة بالأرض،وملائكة بالجبال،وملائكة بالسحاب..إلخ وكل ذلك من أجل الإنسان وراحته يتوجه إلى الله بالشكر فتزداد محبة الله في قلبه ويعمل على طاعته.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  قَالَ:" يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ،ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ،فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ:كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ:تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ".(أخرجه البخاري )[70]

12- الصبر على طاعة الله،ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الصبر،ومواصلة الجهاد في سبيل الله،وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة،فعندما يصبح المؤمن غريبًا في وطنه وبين أهله وقومه حينما يدعوهم إلى الله ويجد منهم الصدَّ والاستهزاء يجد المؤمن من ملائكة الله أنيسًا ورفيقًا يصحبه ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير في طريق الهدى،لأن جنود الله معه،يعبدون الله كما يعبد المؤمن ربه،ويتجهون إلى خالق السموات والأرض كما يتجه،فيشعر بأنه لا يسير وحده إلى الله دائمًا بل يسير مع موكب إيمانى مع الملائكة ومع الأنبياء عليهم السلام،ومع السماوات والأرض وباقى مخلوقات الله التي تسبح بحمده.



[70] - صحيح البخاري (1/ 116) (555 ) وصحيح مسلم (1/ 439):210 - ( 632)
[ (يتعاقبون فيكم) تأتي طائفة بعد الأخرى.(يعرج) يصعد إلى السماء. (فيسألهم وهو أعلم بهم) أي فيسأل الله تعالى الملائكة عن حال المصلين وهو أعلم بحالهم والحكمة من سؤالهم إظهار شهادتهم لبني آدم بالخير]

# الإيمانُ بالجنِّ

الجنُّ من مخلوقات الله -عز وجل- والمسلم يؤمن بأن الجنَّ خلقوا من النار،قال تعالى:{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} (15) سورة الرحمن.

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ  :«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ،وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ،وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (أخرجه مسلم)[71].

وعَنْ عَائِشَةَ،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ:«خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ بَنِي آدَمَ مِمَّا وَصَفَ»[72].

وقد خلق الله -عز وجل- الجن قبل الإنس،قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) [الحجر/26،27]

والمسلمُ يؤمن بأن الجنَّ مأمور مثل الإنسان بطاعة الله،وأن يجعلوا حياتهم كلَّها طبقًا لما أراده الله،قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (56) سورة الذاريات،وقال سبحانه مخاطبًا الجن والإنس:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ} (130) سورة الأنعام

والمسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- أرسل نبيَّه محمدًا  إلى كلٍّ من الإنس والجن،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ  قَالَ:" فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ:أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ،وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ،وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ،وَجُعِلَتْ لِيَ

---

[71] - صحيح مسلم (4/ 2294) 60 - (2996)[ش (الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار]

[72] - الرد على الجهمية لابن منده (ص:49) قال :وَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ بِاتِّفَاقٍ

الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا،وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً،وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " (مسلم)[73].
وقوله تعالى:{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32) [الأحقاف/29-32].

## طوائف الجن:

والمسلمُ يؤمن بأن الجن طوائفُ كثيرة مثل الإنس تمامًا،فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون،ومنهم الصالحون ومنهم المفسدون،ومنهم الشياطين،ومنهم العفاريت،قال تعالى:{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} (14) سورة الجن،وقال تعالى أيضًا:{وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} (11) سورة الجن،وقال تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } (112) سورة الأنعام.

والجنُّ أنواعٌ مختلفة،لكل نوع ميزات يتميز بها عن غيره،فهناك الجنُّ الطيار والغواصُ وغير ذلك.

## قدرات الجن:

والمسلمُ يؤمن بأن الله -عز وجل- منح الجنَّ قدرات خاصة لم يمنحها للإنس جميعًا،ومن هذه القدرات

---

[73] - صحيح مسلم (1/ 371):5 - (523)
[ش (أعطيت جوامع الكلم) وفي رواية الأخرى بعثت بجوامع الكلم قال الهروي يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه  كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني]

سرعة التنقل الفائق،والقوة العظيمة التى تدل على عظمة الخالق -سبحانه-،كما جاء فى قصة سليمان عليه السلام،عندما أراد أن يثبت لملكة سبأ عظم ما أعطاه الله -عز وجل- له من نعم عظيمة وآلاء جليلة،قال تعالى:{ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) [النمل/38-40].

والمسلمُ يؤمن بأن الجن يستطيعون التحليق في الفضاء الخارجي،وكانوا يستمعون إلى السماء،وينقلون أخبارها إلى الكهنة بعد إضافة كثير من الأكاذيب إليها،فلما بعث الله -عز وجل- النبي ﷺ حُرِسَت السماء بالشهب والملائكة،يقول الله -عز وجل- على لسان أحد الجن:{ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) [الجن/8،9]

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،يَقُولُ:" إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ:وَهُوَ السَّحَابُ،فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ،فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ،فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ،فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ " (أخرجه البخاري) [74].

والمسلمُ يؤمن بأن الله -عز وجل- قد سخر الجنَّ لسليمان،يغوصون في البحر،ويستخرجون له من خيراته،ويبنون له القصور الشامخات،وقد جعلهم الله -

---

[74] - صحيح البخاري (4/ 111) (3210 )
[ش (فتسترق) تختلس وتستمع ستخفية كالسارق.(فتوحيه) فتلقيه. (الكهان) جمع كاهن وهو الذي يتعاطى الإخبار عن الكائنات في المستقبل ويدعي معرفة الأسرار]

عز وجل- من جنود سليمان عليه السلام،قال تعالى:
{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (17) سورة النمل
وقال تعالى:{ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) [سبأ/12،13]
وقال تعالى:{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} (82) سورة الأنبياء
والمسلمُ يؤمن أن للجنِّ قدرةً على تغيير أشكالهم،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ،فَأَتَانِي آتٍ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ،فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ:لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ،فَخَلَّيْتُ عَنْهُ،فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،شَكَى حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا،فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ،فَقَالَ:«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ،وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:إِنَّهُ سَيَعُودُ،فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَقُلْتُ:لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ،فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ،فَأَصْبَحَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ،مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا،فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ،فَقَالَ:أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ،وَسَيَعُودُ " فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ:لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ،قَالَ:دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا،قُلْتُ:مَا هِيَ؟ قَالَ:إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة:255] حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ،فَإِنَّهُ لَنْ

يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ،وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ،فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ:«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ،قَالَ:«مَا هِيَ؟» قَالَ لِي:إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَهَا {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255] وَقَالَ:لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تُصْبِحَ،وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَمَا إِنَّهُ كَذُوبٌ وَقَدْ صَدَقَكَ،تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ،يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ:لَا،قَالَ:«ذَلِكَ الشَّيْطَانُ» (أخرجه البخارى)[75].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:«إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي،فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ،فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ،فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا» {عِفْرِيتٌ} [النمل:39] مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ،مِثْلُ زِبْنِيَةٍ جَمَاعَتُهَا الزَّبَانِيَةُ ".(أخرجه البخاري)[76].

---

[75] - صحيح البخاري (3/ 101) (2311 ) معلقا والسنن الكبرى للنسائي ( 9/ 351) (10729 ) صحيح

[ش (آت) اسم فاعل من أتى وأصله آتي فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. (يحثو) يأخذ بكفيه.(علي عيال) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء.(أسيرك) سمي أسيرا لأنه ربطه بحبل وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل.(البارحة) أقرب ليلة مضت.(فرصدته) ترقبته. (آية الكرسي) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا وهي قوله تعالى {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} .إلى آخر الآية / البقرة 255 /. (وكانوا) أي الصحابة يحرصون على تعلم الخير فيأخذونه حيثما صدر ويبذلون في سبيله كل شيء من متاع الدنيا.(قد صدقك) أخبرك بما يوافق الواقع والحق.(وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب]

[76] - صحيح البخاري (4/ 162) (3423 ) وصحيح مسلم (1/ 384):39 - ( 541)

[ش (عفريت) يشير إلى قوله تعالى {قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك} / النمل 39 /.(به) أي بعرش بلقيس.(مقامك) مجلس قضائك.(جماعتها) أي جمعها.قيل أشار بقوله (زبنية..) إلى أنه قال

## مساكنُ الجن:

المسلمُ يؤمن بأن للجنِّ مساكنَ يسكنون فيها،مثل:الأماكن الخربة،والصحارى،والأماكن النجسة،والأماكن المظلمة.فعَنْ صَيْفِيٍّ - وَهُوَ عِنْدَنَا مَوْلَى ابْنِ أَفْلَحَ - أَخْبَرَنِي أَبُو السَّائِبِ،مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ،قَالَ:فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي،فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ،فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ،فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا،فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ،فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ،فَقَالَ:أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ:نَعَمْ،قَالَ:كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ،قَالَ:فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ  إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ  بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ،فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ  خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ،فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ،فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ،ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ،فَقَالَتْ لَهُ:اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي،فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ،ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ،فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى،قَالَ:فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ،فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ:«اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ» ثُمَّ قَالَ:«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا،فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا،فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ،فَاقْتُلُوهُ،فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» (أخرجه مسلم)[77].

---

في عفريت عفرية ويجمع على عفارية]

[77] - صحيح مسلم (4/ 1756) 139 - (2236)

[ش (عراجين) أراد بها الأعواد التي في سقف البيت شبهها بالعراجين والعراجين مفرده عرجون وهو العود الأصفر الذي فبه شماريخ العذق وهو فعلون من الانعراج والانعطاف والواو والنون زائدتان (بأنصاف النهار) أي منتصفه وكأنه وقت لآخر النصف الأول وأول النصف الثاني فجمعه

# طعامُ الجنِّ:

والمسلم ُيؤمن بما أخبر به الرسول  عن طعام الجنِّ،وهوالعظم والروثة،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ  إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ،فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا،فَقَالَ:«مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ:أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،فَقَالَ:«ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا،وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ» .فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي،حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ،ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ،فَقُلْتُ:مَا بَالُ العَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ:«هُمَا مِنْ طَعَامِ الجِنِّ،وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ،وَنِعْمَ الجِنُّ،فَسَأَلُونِي الزَّادَ،فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ،وَلاَ بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا» (أخرجه البخاري)[78].

وعَنْ عَامِرٍ،قَالَ:سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ  لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ:فَقَالَ عَلْقَمَةُ،أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ:هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ  لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ:لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ.فَقُلْنَا:اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ.قَالَ:فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ.قَالَ:فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ.فَقَالَ:«أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ:فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ:" لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ

---

(فآذنوه) هو من الإيذان بمعنى الإعلام (فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه) قال العلماء معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيت ولا ممن أسلم من الجن بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم]

[78] - صحيح البخاري (5/ 46):(3860 )

[ش (ما بال العظم والروثة) أي نهيتني عن الإتيان بها للاستنجاء.(وجدوا عليها طعاما) حقيقة بخلق الله تعالى أو أنها هي تكون طعاما أو العظم طعام لهم والروث علف لدوابهم كما ورد والله تعالى ورسوله أعلم]

عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ.فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ» (أخرجه مسلم )[79].
ولكي يحترسَ المسلمُ من وجود الشيطان معه عند الطعام،فعليه أن يلتزم بآداب الإسلام في تناول الطعام بأن يبدأ باسم الله -تعالى-،ويأكل بيمينه،ولا يأكل بشماله؛حتى لا يشاركه الشيطان في أكله،وعَنْ سَالِمٍ،عَنْ أَبِيهِ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ،وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا،فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ،وَيَشْرَبُ بِهَا»،قَالَ:وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا:«وَلَا يَأْخُذُ بِهَا،وَلَا يُعْطِي بِهَا»،وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ:«لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ» ( أخرجه مسلم)[80].
والمسلمُ يؤمن بأن مصيرَ الكافرين من الجنِّ هونفس مصير الكافرين من الإنس،فهم مكلفون بالإيمان بالله وطاعته،وسوف يحاسبون على ما يعملون فى الدنيا،قال تعالى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (179) سورة الأعراف.
وقال تعالى:{وَلَوْشِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ( 13) سورة السجدة

**العلاقة بين الجن والإنس:**

المسلمُ يؤمن بأن الكافرين من الجن يوسوسون إلى الإنسان،ويزينون له المعاصي،ويشككون المسلم في الله -عز وجل- عَنِ ابْنِ شِهَابٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ:مَنْ خَلَقَ كَذَا،مَنْ خَلَقَ

---

[79] - صحيح مسلم (1/ 332):150 - (450)
[ش (الأودية والشعاب) في المصباح الأودية جمع الوادي وهو كل منفرج بين جبال يكون منفذا للسيل والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل (استطير أو اغتيل) معنى استطير طارت به الجن ومعنى اغتيل قتل سرا والغيلة بالكسر هي القتل خفية]
[80] - صحيح مسلم (3/ 1599):106 - (2020)

كَذَا،حَتَّى يَقُولَ:مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ " (متفق عليه)[81].

والمسلمُ يؤمن بأن الله -سبحانه- يحفظه من مسِّ الجن وإيذائه،بالتزام الطاعات،قال تعالى:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ...} (11) سورة الرعد.

أما الذين يبتعدون عن طريق الله،فمن السهل على الجن أن يؤذوهم بالصرع والجنون،فعن أُبَيَّ بْنُ كَعْبٍ،قَالَ:كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ  فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ،إِنَّ لِي أَخًا وَبِهِ وَجَعٌ قَالَ:"وَمَا وَجَعُهُ؟ " قَالَ:بِهِ لَمَمٌ،قَالَ:"فَأْتِنِي بِهِ " فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَوَّذَهُ النَّبِيُّ  بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ،وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،وَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ:{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [البقرة:163] وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ،وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: 18]،وَآيَةٍ مِنَ الْأَعْرَافِ {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ}،وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ {فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [المؤمنون:116]،وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} [الجن:3]،وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ،وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ،وَقُلْ هُوَ

---

[81] - صحيح البخاري (4/ 123) (3276 ) وصحيح مسلم (1/ 119):212 - ( 134)

[ (بلغه) بلغ قوله من خلق ربك.(فليستعذ بالله) من وسوسته بأن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.(ولينته) عن الاسترسال معه في هذه الوسوسة]

قَالَ الْإِمَام الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّه :ظَاهِر الْحَدِيث أَنَّهُ  أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَوَاطِر بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا،وَالرَّدّ لَهَا مِنْ غَيْر اِسْتِدْلَال وَلَا نَظَر فِي إِبْطَالهَا.قَالَ :وَالَّذِي يُقَال فِي هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ الْخَوَاطِر عَلَى قِسْمَيْنِ :فَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقِرَّةٍ وَلَا اِجْتَلَبَتْهَا شُبْهَة طَرَأَتْ فَهِيَ الَّتِي تُدْفَع بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا،وَعَلَى هَذَا يُحْمَل الْحَدِيث،وَعَلَى مِثْلهَا يَنْطَلِق اِسْم الْوَسْوَسَة ؛ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَمْرًا طَارِئًا بِغَيْرِ أَصْل دُفِعَ بِغَيْرِ نَظَر فِي دَلِيل إِذْ لَا أَصْل لَهُ يُنْظَر فِيهِ.وَأَمَّا الْخَوَاطِر الْمُسْتَقِرَّة الَّتِي أَوْجَبَتْهَا الشُّبْهَة فَإِنَّهَا لَا تُدْفَع إِلَّا بِالِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَر فِي إِبْطَالهَا.وَاللَّه أَعْلَم.شرح النووي على مسلم - (ج 1 / ص 253)

اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ.فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْتَكِ قَطُّ ". (أخرجه أحمد )[82].
ومن ذلك ما روي عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِىِّ - ﷺ- مَعَهَا صَبِىٌّ لَهَا بِهِ لَمَمٌ فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « اخْرُجْ عَدُواللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ».قَالَ فَبَرَأَ.قَالَ فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ كَبْشَيْنِ وَشَيْئاً مِنْ أَقِطٍ وَشَيْئاً مِنْ سَمْنٍ.قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « خُذِ الأَقِطَ وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ وَرُدَّ عَلَيْهَا الآخَرَ » ( أخرجه أحمد في مسنده )[83].
وقال تعالى:{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ( 275) سورة البقرة.
والمسلمُ يعلم أنه في معركة مستمرةٍ مع الشياطين وأعوانهم من شياطين الإنس والجن،الذين يفسدون فى الأرض ولا يطيعون الله -عز وجل-.
والمسلمُ يعرف أعداءه جيدًا،وأول عدويجب أن يحترس منه هوالشيطان،قال تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوفَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوحِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (6) سورة فاطر،وقال:{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُومُّبِينٌ} (60) سورة يــس.
فالمسلمُ لا يتبع الشيطان في طريق غوايته،بل يحذر دائمًا من وسوسته؛لأنه سبب الضلال في كل وقت وفي

---

[82] - مسند أحمد ط الرسالة (35/ 106)(21174 ) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 458)(8269 ) وفيه ضعف = اللمَم:طرف من الجنون يعترى الإنسان،وانظر كتابنا (( **الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل** ))

[83]- برقم(18014 ) السلسلة الصحيحة برقم(485 ) والمستدرك للحاكم برقم ( 4232) وصححه ووافقه الذهبي وهوحسن = الأقط :اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أويطبخ به

أي مكان،فهوالذي زين للأمم السابقة طرق الشرك بالله -تعالى-،ودعاهم إلى تكذيب الرسل،وقد أخذ على نفسه العهد أن يضلَّ الناس جميعًا إلا المخلصين المؤمنين،فقال:{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) [ص/82،83] }
وقال -سبحانه- عن إضلال إبليس للأمم السابقة:
{وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} (24) سورة النمل،وقال تعالى:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} (38) سورة العنكبوت.
والشيطان يلازم الإنسان في كل حركاته وسكناته،فكلَّما همَّ بطاعة الله صرفه عنها،وكلما ابتعد عن معصية الله قَرَّبَهُ منها،فهويكره أن يرى الإنسان في طاعة لله -عز وجل-،ويوسوس للإنسان في صلاته ودعائه وقراءة القرآن،بل وفي كل طاعة.
فعلى المسلم أن يتعوذ بالله من الشيطان حينما يشعر بوسوسة منه،قال تعالى:{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (200) سورة الأعراف.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  قَالَ:" إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ،وَلَهُ ضُرَاطٌ،حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ،فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ،حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ،حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ،حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ،يَقُولُ:اذْكُرْ كَذَا،اذْكُرْ كَذَا،لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى " (أخرجه البخاري)[84].

[84] - صحيح البخاري (1/ 125) (608 )
[(وله ضراط) تمثيل لشدة خوفه عند إدباره أو يكون ذلك حقيقة لشدة خوفه أيضا.(ثوب) أقم للصلاة وهو المراد هنا.(النداء) الأذان.(يخطر) يوسوس ويشغل المصلي عما هو فيه]

والمسلمُ يعلم أن الشيطان يحاول أن يوقعه في الشرك بالله،وهى أكبر جريمة يرتكبها الإنسان في حق الله،فإن لم يستطع أن يوقعه في الشرك أوقعه في كبائر الذنوب،والبدع،وإن لم يستطع حاول أن يوقعه في صغائر الذنوب،فهولا يمل أبدًا من إضلال الإنسان،قال تعالى:{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (268) سورة البقرة].
وقال تعالى:يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُومُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)  [البقرة/168،169].
والشيطانُ يسعى بين الناس بالفساد،وتقطيع الأرحام،ونشر الحقد والحسد والضغينة بينهم،قال تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} (91) سورة المائدة.
والمسلمُ يعلم أن إبليس يبعث جنوده من الشياطين للفساد في الأرض،ويكون أكثرهم فسادًا أقربهم إليه منزلة.فعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ،ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ،فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً،يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ:فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا،فَيَقُولُ:مَا صَنَعْتَ شَيْئًا،قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ:مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ،قَالَ:فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ:نِعْمَ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ:أُرَاهُ قَالَ:«فَيَلْتَزِمُهُ» ( أخرجه مسلم)[85].
فالشيطان يفرح بخراب البيوت العامرة،وتشريد النفوس الآمنة.
والمسلمُ يعلم ملازمة الشيطان له وإصراره على غوايته،فعليه أن يذكر الله عند دخوله إلى بيته حتى لا

[85] - صحيح مسلم (4/ 2167):67 - (2813)  [ش (فيلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه]

يدخل الشيطان معه،وعند طعامه حتى لا يأكل الشيطان معه،وفى كل أمور حياته ليبعد عنه الشيطان،والمسلمُ يعلم أنه إن لم يفعل ذلك أكل وشرب ونام معه الشيطان،فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ،فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ،قَالَ الشَّيْطَانُ:لَا مَبِيتَ لَكُمْ،وَلَا عَشَاءَ،وَإِذَا دَخَلَ،فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ،قَالَ الشَّيْطَانُ:أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ،وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ،قَالَ:أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ " ( أخرجه مسلم)[86].

والمسلمُ يعلم أن الشيطان عدوللأنبياء والمرسلين.قال تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوشَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } (112) سورة الأنعام.

وعن عُرْوَةَ،أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ،حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا،قَالَتْ:فَغِرْتُ عَلَيْهِ،فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ،فَقَالَ:«مَا لَكِ؟ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟» فَقُلْتُ:وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ» قَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْتُ:وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْتُ:وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:«نَعَمْ،وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ» ( أخرجه مسلم)[87].

والمسلمُ يعلم أنَّ السِّحْرَ حقيقةٌ لا ريب فيها،يقول الله في سحرة فرعون:{قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} (116) سورة الأعراف.

---

[86] - صحيح مسلم (3/ 1598):103 - (2018) [ش (قال الشيطان) معناه قال الشيطان لإخوانه وأعوانه ورفقته]

[87] - صحيح مسلم (4/ 2168):70 - (2815)
قَالَ الْقَاضِي وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَسَتِهِ وَإِغْوَائِهِ فَأَعْلَمَنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لِنَحْتَرِزَ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ"شرح النووي على مسلم (17/ 158)

وقال سبحانه:{وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوكَانُواْ يَعْلَمُونَ} (102) سورة البقرة.

وقد سُحِرَ الرسولُ  على يد لبيد بن الأعصم اليهودي،فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:سُحِرَ النَّبِيُّ ،وَقَالَ اللَّيْثُ:كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ،عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:سُحِرَ النَّبِيُّ ،حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ،حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا،ثُمَّ قَالَ:" أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي،أَتَانِي رَجُلاَنِ:فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ:مَطْبُوبٌ،قَالَ:وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ،قَالَ:فِيمَا ذَا،قَالَ:فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ،قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ:فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ " فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ،ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ:«نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ:«لاَ،أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ،وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ" ( أخرجه البخاري)[88].

---

[88] - صحيح البخاري (4/ 122) (3268 )
[ش (وعاه) حفظه.(أفتاني) أخبرني.(أتاني) أي في المنام.(رجلان) أي ملكان في صورة رجلين.(مطبوب) مسحور.(مشاقة) ما يخرج من الكتان حين يمشق والمشق جذب الشيء ليمتد ويطول.وقيل المشاقة ما يغزل من الكتان.(جف الطلعة) وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف.(بئر ذروان) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود.(رؤوس الشياطين) أي شبيه لها لقبح منظره.(شرا) أي في إظهاره كتذكر السحر وتعلمه.(دفنت البئر) طمت بالتراب حتى استوت مع الأرض]

**قلت:وهذا السحر لاينافي عصمة الرسول ،فالعصمة هي في تبليغ الوحي الإلهي،وهي مصونة لم يؤثر عليها السحر**

فالمسلمُ يدعوربه دائمًا ويستغفره،ويتعوذ به من شرور الشياطين،قال تعالى:{ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) [المؤمنون/97-98]
وهويعلمُ أن الله -عز وجل- يحمى عباده المؤمنين من مكائد الشيطان،وأنه قد بشرهم بالحفظ من كيد الشيطان فقال:{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (42) سورة الحجر.وقال تعالى:فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) [النحل/98-100].
وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه،حينما يسير فى طريق،يلتمس الشيطان طريقًا آخر خوفًا من عمر،لأنه كان عبدًا مخلصًا لله،فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي عَبْدُ الحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ،أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ،أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ،قَالَ:اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ،عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ،فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ،فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ  وَرَسُولُ اللَّهِ  يَضْحَكُ،فَقَالَ عُمَرُ:أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي،فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ:فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ،ثُمَّ قَالَ:أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ،أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قُلْنَ:نَعَمْ،أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ،قَالَ رَسُولُ

---

**بشيء،بل كان تأثيره في أمور دنيوية جبلية عادية،وهذا جائزة في حقِّ الرسل،فهم بشر يعتريهم ما يعتري البشر،خلا معصية الله تعالى**

اللَّهِ ﷺ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» أخرجه الشيخان[89].
والمسلمُ يعلم أن الجنَّ لا تقدر على شيء إلا بإرادة الله،كما أنها لا تعلمُ من غيبِ اللهِ شيئًا،قال تعالى:{ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) [الجن/26،27].
وقال تعالى عن وفاة النبي سليمان عليه السلام:{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (14) سورة سبأ.
فعلى المسلم أن يكون دائم الصلة بالله-عز وجل-،فمن كان في كنف الله -عز وجل- حماه الله من شياطين الإنس والجن فهونعم المولى ونعم النصير،قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (49) سورة الأنفال.
والمسلمُ يعلم أن إبليس تكبَّرَ على أمر الله -عز وجل- عندما أمره بالسجود لآدم تكريمًا له،وقال:{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} (12) سورة الأعراف،فغضب الله عليه،وأنزله من السماء،وأخرجه من رحمته:{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} (18) سورة الأعراف.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ،اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي،يَقُولُ:يَا وَيْلَهُ أُمِرَ

[89] - صحيح البخاري (4/ 126) (3294 ) وصحيح مسلم (4/ 1863):22 - (2396)
[(يستكثرنه) يطلبن منه الكثير من العطاء أو من الحديث.(يبتدرن الحجاب) يتسارعن ويتسابقن للاختباء.(أضحك الله سنك) دعاء بمزيد السرور واستمراره.(يهبن) من الهيبة وهي الخوف مع الإجلال والوقار.(أفظ وأغلظ) من الفظاظة وهي عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب وأغلظ بمعناها.(فجا) طريقا واسعا]

بِالسُّجُودِ،فَسَجَدَ،فَلَهُ الْجَنَّةُ،وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ،فَعَصَيْتُ،فَلِي النَّارُ " (أخرجه أحمد) [90].
والجنُّ مكلفون بالعبادة والطاعة لله -عز وجل- مثل الإنس،يدل على ذلك خطاب الله -عز وجل- لهم في القرآن قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (56) سورة الذاريات.
وعَنْ جَابِرٍ قَالَ:خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ،فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا،فَقَالَ:" لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ،كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن:13] قَالُوا:لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ " ( أخرجه الترمذي )[91].
لقد علمَ إبليسُ أن الله خلقه،وكلَّفه وأمره،ولكنه استكبر على أمر الله.والمسلم لا يفعل هذا أبدًا،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ،وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ» ( أخرجه الترمذي)[92].
والمسلمُ يجب أن يعلم أن الشيطان سوف يتبرأ من أوليائه يوم القيامة،قال تعالى:{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (22) سورة إبراهيم.
والذينَ ينكرون الجنَّ ليس لهم حجة ولا سند،فإن كانوا لا يؤمنون بالغيب،فإن هناك أشياء من الغيب لا

---
[90] - [مسند أحمد ط الرسالة 15/ 445](9713 ) صحيح
[91] - [سنن الترمذي ت شاكر 5/ 399](3291 ) والصحيحة ( 2150 ) حسن لغيره
[92] - [سنن الترمذي ت شاكر 4/ 360](1998 9 صحيح

ندركها،ولكن ندرك تأثيرها،فالكهرباء -مثلا- لا نراها،ولكن ندرك تأثيرها،وكذلك الجاذبية والروح،فإن كانوا ينكرون هذه الأشياء،فليمسك أحدهم بسلك من الكهرباء،ويزعم أنه غير موجود لأنه لا يراه،هذا إن أرادوا دليلا عقليًّا،فإن أرادوا دليلا من الشرع،فيكفيهم أن الله -عز وجل- أنزل سورة كاملة،وسماها سورة الجن،وذكرهم في أكثر من موضع في القرآن الكريم.،فهم أشبه الناس بقوله تعالى:{ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15) } [الحجر/11-15] [93].

□□□□□□□□□□□□□□

[93] - راجع التفاصيل في كتابي (( **الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل** ))

# الركن الثالث
# الإيمان بالكتب السماوية

المقصود بالكتب:هي الكتبُ التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمةً للخلق،وهدايةً لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.
والإيمان بها يعني الاعتقادُ الجازم بأنَّ الله تعالى أنزل كتباً على رسله إلى أقوامهم،وأن هذه الكتب قد حوت عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى،إضافةً إلى تشريعات خاصة بكل أمةٍ،إلا أن هذه التشريعات قد نُسختْ بعد نزول شريعةِ محمد ﷺ،قال تعالى:{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوشَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (48) سورة المائدة

**كيفية الإيمان بالكتب السماوية:**

**أولا:يجب على المؤمن أن يعتقد جازما بأن الله تعالى قد أوحى بهذه الكتب إلى الرسل المرسلين للبشرية،والإيمان بها على النحوالتالي:**

(1)- ما جاء من الكتب ذكره وأنه أوحيَ به إلى رسولٍ بعينه فيجبُ الإيمان به عيناً مثل القرآن والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى،فهذه المذكورة يجب الإيمان بها.على وجه التفصيل المذكور.
(2)- الإيمانُ إجمالا بأن الله تعالى قد أنزل كتباً على رسله غير التي سمَّاها في القرآن الكريم.

**ثانيا:تصديقُ ما صح وصوله من أخبارها،والإيمان به،وأنه حقٌّ من عند الله تعالى.**

**ثالثا:العملُ بأحكام ما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها،**إلا أنه بالجملة فإن جميع الكتب السابقة منسوخةٌ بالقرآن الكريم كما قال الله تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ}سورة المائدة 48 ).

وقد أشار الله تعالى لهذه الكيفية بقوله تعالى:{قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (136) سورة البقرة.

**موقفنا من الكتب السماويةِ السابقة:**

إن الله تعالى لم يتعهدْ بحفظِ الكتب السابقة من التحريفِ والتبديلِ،بل وكَّلَ حفظها إلى مَنْ أنزلتْ عليهم كما قال الله تعالى:{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (44) سورة المائدة،لذا فإنَّ هذه الكتبَ لم تسلمْ منَ التحريف والتبديلِ بنصِّ القرآن الكريم.بل إنَّ الكثير من أهلِ الأديانِ أنفسِهم مقرُّون بحدوث التحريفِ كما أقرَّ بذلك كثير من العلماء.

**ما تضمنته الكتب السابقة وموقفنا منه:**

**إنَّ ما تضمنته الكتبُ السابقة في صورتها الموجودة اليوم على ثلاثة أقسام:**

أولا:ما جاء في القرآن الكريم أوالسنةِ الصحيحة تصديقاً له بأنه قد جاء في أحد الكتب،فإننا نؤمنُ به ونعتقدُ صحتهِ ومثال ذلك قوله تعالى عن التوراة:{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ

وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوكَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (45) سورة المائدة
ثانيا:ما جاء في القرآن الكريم ِ أوالسنةِ الصحيحة تكذيبٌ له وأنه افتراء على الله تعالى،فإننا نجزمُ بعدم صحته،ولا نؤمن به ؛مثل ادعاء أن عيسى عليه السلام ابن الله تعالى،قال تعالى:{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116)} [البقرة/116]،وقال تعالى:{ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوالْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69)} [يونس/68-69]،وقال تعالى:{ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) }[الكهف/4و5].
ومثل ما جاء في قوله الله تعالى عن زعم اليهود:{ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (93) سورة آل عمران.
ثالثا:ما لم يأتِ في القرآن أوالسنة الصحيحة تصديقٌ له ولا تكذيبٌ:فإنَّ موقفنا منه التوقفُ،فلا نصدِّقُ ولا نكذِّبُ،فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،أَنَّ نَمْلَةَ بْنَ أَبِي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيَّ،حَدَّثَهُ،أَنَّ أَبَا نَمْلَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ  جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ،فَقَالَ:هَلْ تَكَلَّمَ هَذِهِ الْجِنَازَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :«اللَّهُ أَعْلَمُ»،فَقَالَ الْيَهُودِيُّ:أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ،وَقَالُوا:آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ،فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ،وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ»

وَقَالَ:«قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ،لَقَدْ أُوتُوا عِلْمًا» (أخرجه ابن حبان)[94].
وأنَّ خاتمها القرآنُ العظيم،كلامُ ربِّ العالمين على الحقيقةِ،نزلَ به الرُّوح الأمينُ على قلبِ محمد  ليكون من المرسلين،قال تعالى:{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) [الشعراء/192-195] }.
ومهيمناً على سائر كتب الله،قال تعالى:{ {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوشَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (48) سورة المائدة }.
وهومنزلٌ من الله تعالى،وليسَ بمخلوقٍ،ولا يُساويهِ شيءٌ من كلام المخلوقين،ومن قال:{إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} (25) سورة المدثر.
فقد كفرَ وحقَّ عليه العذاب -إن لم يرجع عن ذلك ويتوب-في قوله تعالى:( سَأُصْلِيه سَـقَر ) [المدثر:26].
ونؤمنُ بأن الله قد كلَّم موسى تكليماً،قال تعالى : {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (164) سورة النساء.
أمَّا القرآنُ الكريمُ فنؤمنُ بأنَّ الله تعالى قد تكفَّلَ بحفظهِ من كلِّ تحريفٍ وتبديلٍ،قال الله تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (9) سورة الحجر،وقال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) [فصلت/41،42] }.

[94] - [صحيح ابن حبان - مخرجا 14/ 151](6257 ) صحيح

وأن الله تعالى علّقَ  النذارةَ به فقال:{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوإِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} (19) سورة الأنعام.
وأن الله تعالى جعله المعجزة الخالدة الباقية الدالة على صدق الرسالات السماوية،وأنه قد تحدَّى الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله قال تعالى:{ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا {88} الإسراء.وقال تعالى:{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {23} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ {24} البقرة.
فهوحجة الله تعالى على خلقه إلى يوم الدين .
ونؤمنُ بأن َّكتابه هوالعروةُالوثقى،وحبلُه المتينُ الذي من استمسك به نجى،ومن أعرضَ عنه وهجره فقد هلك وضل ضلالاً مبيناً.وعَنْ الحَارِثِ،قَالَ:مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ،فَقُلْتُ:يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ،أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ،قَالَ:وَقَدْ فَعَلُوهَا؟
قُلْتُ:نَعَمْ.قَالَ:أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  يَقُولُ:«أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» .فَقُلْتُ:مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ،وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ،وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ،مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ،وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ،وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ،وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ،وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ،هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ،وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ،وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ،[ص:173] وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ،وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ،هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ

إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا:{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} [الجن:2] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ،وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ،وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ،وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ".( أخرجه الترمذي)[95].

إنَّ الكتبَ التي نزلت قبل القرآن الكريمِ ضاعتْ نُسَخُها الأصلية،ولم يبقَ في أيدي الناس إلا تراجمها،أمَّا القرآنُ فما يزال محفوظًا بسوره وآياته وكلماتهِ وحروفه كما تلاه جبريلُ -عليه السلام- على رسول الله ،والكتبُ السابقةُ قد اختلطَ فيها كلامُ البشر بكلام الله تعالى،فلا يعرفُ أحدٌ فيها كلام الله من كلام البشر،وأمَّا القرآنُ فهوجميعُه كلام الله- تعالى-،ولم يختلطْ بحديثِ الرسول  أوأقوال الصحابة أوغيرهم.

إنَّ تلكَ الكتبَ ليس منها كتابٌ تصحُّ نسبته إلى الرسول الذي أُنزل عليه،فالتوراةُ الحاليةُ لم يكتبها موسى،وإنما دُوِّنت بعد موسى-عليه السلام- بقرون عديدة،وكذا الإنجيلُ،أمَّا القرآنُ الكريمُ فهوالكتابُ الوحيد الذي ثبتتْ نسبتهُ بصورةٍ قطعيةٍ إلى الرسول  وإنْ لم يكتبْه،فقد كان يأمر كُتَّاب الوحي أن يدونوا كلَّ ما نزلَ أولاً بأوَّلٍ.

وتعاليمُ القرآنِ هي كلمةُ الله التي يسعد بها البشرُ،فأرادَ الله لها أن تخلدَ على مرِّ الزمن،فصانها وحفظَها من التبديلِ والتحريفِ،قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) }[فصلت/41،42].وقال تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (9) سورة الحجر.

وننظر نحن اليوم من وراء القرون إلى وعد اللّه الحق بحفظ هذا الذكر فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب - إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة - ونرى أن الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التي

---

[95] - [سنن الترمذي ت شاكر 5/ 172](2906 ) والبزار برقم(836) والمعجم الكبير للطبراني برقم( 16587 ) عن معاذ حسن لغيره

تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لا تتبدل فيه كلمة،ولا تحرف فيه جملة،لولا أن هنالك قدرة خارجة عن إرادة البشر،أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل،تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل،وتصونه من العبث والتحريف.
لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق،وكثر فيه النزاع،وطمت فيه الفتن،وتماوجت فيه الأحداث.وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند في هذا القرآن وفي حديث رسول اللّه - ﷺ- ودخل في هذه الفتن وساقها أعداء هذا الدين الأصلاء من اليهود - خاصة - ثم من «القوميين» دعاة «القومية» الذين تسمّوا بالشعوبيين! ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول اللّه - ﷺ- ما احتاج إلى جهد عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء عشرات من السنين لتحرير سنة رسول اللّه - ﷺ- وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين.
كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تؤول معاني النصوص القرآنية،وأن تحاول أن تلوي هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتجاهات..
ولكنها عجزت جميعا - وفي أشدِّ أوقات الفتن حلوكة واضطرابا - أن تحدث حدثا واحدا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ وبقيت نصوصه كما أنزلها اللّه حجة باقية على كل محرف وكل مؤول وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ.
ثم جاء على المسلمين زمان - ما نزال نعانيه - ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم،وعن حماية عقيدتهم،وعن حماية نظامهم،وعن حماية أرضهم،وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم.وحتى عن حماية عقولهم وإدراكهم! وغيّر عليهم أعداؤهم الغالبون كل معروف

عندهم،وأحلوا مكانه كل منكر فيهم..كل منكر من العقائد والتصورات،ومن القيم والموازين،ومن الأخلاق والعادات.ومن الأنظمة والقوانين..وزينوا لهم الانحلال والفساد والتوقح والتعري من كل خصائص «الإنسان» وردوهم إلى حياة كحياة الحيوان..وأحيانا إلى حياة يشمئز منها الحيوان..ووضعوا لهم ذلك الشر كله تحت عنوانات براقة من «التقدم» و«التطور» و«العلمانية» و«العلمية» و«الانطلاق» و«التحرر» و«تحطيم الأغلال» و«الثورية» و«التجديد»...إلى آخر تلك الشعارات والعناوين..وأصبح «المسلمون» بالأسماء وحدها مسلمين.ليس لهم من هذا الدين قليل ولا كثير.وباتوا غثاء كغثاء السيل لا يمنع ولا يدفع،ولا يصلح لشيء إلا أن يكون وقودا للنار..وهووقود هزيل!..
ولكن أعداء هذا الدين - بعد هذا كله -لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها.ولم يكونوا في هذا من الزاهدين.فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لوكان يبلغ،وعلى نيل هذه الأمنية لوكانت تنال! ولقد بذل أعداء هذا الدين - وفي مقدمتهم اليهود -رصيدهم من تجارب أربعة آلاف سنة أوتزيد في الكيد لدين اللّه.وقدروا على أشياء كثيرة..قدروا على الدس في سنة رسول اللّه - ﷺ- وعلى تاريخ الأمة المسلمة.وقدروا على تزوير الأحداث ودس الأشخاص في جسم المجتمع المسلم ليؤدوا الأدوار التي يعجزون عن أدائها وهم سافرون.وقدروا على تحطيم الدول والمجتمعات والأنظمة والقوانين.وقدروا على تقديم عملائهم الخونة في صورة الأبطال الأمجاد ليقوموا لهم بأعمال الهدم والتدمير في أجسام المجتمعات الإسلامية على مدار القرون،وبخاصة في العصر الحديث..
ولكنهم لم يقدروا على شيء واحد - والظروف الظاهرية كلها مهيأة له -..لم يقدروا على إحداث شيء في هذا الكتاب المحفوظ،الذي لا حماية له من أهله

المنتسبين إليه وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع فدل هذا مرة أخرى على ربانية هذا الكتاب،وشهدت هذه المعجزة الباهرة بأنه حقا تنزيل من عزيز حكيم.
لقد كان هذا الوعد على عهد رسول اللّه - ﷺ- مجرد وعد.أما هواليوم - من وراء كل تلك الأحداث الضخام ومن وراء كل تلك القرون الطوال.فهوالمعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب،والتي لا يماري فيها إلا عنيد جهول:«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ،وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ»..وصدق اللّه العظيم..وما يختار!!![96]
والغايةُ من ذلك أن تبقى حجةُ الله قائمةً على الناس.والقرآنُ أنزله اللهُ للعالمين جميعًا،وللناس كافةً،وليس خاصًا لقوم معينين كما كانت الكتبُ السابقة،قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (28) سورة سبأ .
والذين يكتبون عن الإسلام فيقولون:إنه أول دين جاء بالعقيدة الكاملة في توحيد اللّه أوجاء بالعقيدة الكاملة في حقيقة الرسالة والرسول أوجاء بالعقيدة الكاملة في الآخرة والحساب والجزاء..وهم يقصدون الثناء على الإسلام!..هؤلاء لا يقرأون القرآن! ولوقرأوه لسمعوا اللّه تعالى يقرر أن جميع رسله - صلوات اللّه عليهم وسلامه - جاءوا بالتوحيد المطلق الخالص الذي لا ظل فيه للشرك في صورة من صوره..وأنهم جميعا أخبروا الناس بحقيقة الرسول،وبشريته وأنه لا يملك لهم ولا لنفسه ضرا ولا نفعا،ولا يعلم غيبا،ولا يبسط أويقبض رزقا..وأنهم جميعا أنذروا قومهم بالآخرة وما فيها من حساب وجزاء..وأن سائر حقائق العقيدة الإسلامية الأساسية جاء بها كل رسول..وصدق الكتاب الأخير ما جاءت به الكتب قبله..إنما تلك الأقوال أثر من آثار الثقافة الأوربية.التي تزعم أن أصول العقيدة - بما فيها

[96] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2768]

العقائد السماوية - قد تطورت وترقت،بتطور الأقوام وترقيها! وما يمكن أن يدافع عن الإسلام بهدم أصوله التي يقررها القرآن! فليحذر الكتّاب والقارئون هذا المزلق الخطير!!!

فأما حكمة إنزال هذا الكتاب،فلكي ينذر به الرسول - ﷺ- أهل مكة - أم القرى - وما حولها:«وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها»..وسميت مكة أم القرى،لأنها تضم بيت اللّه الذي هوأول بيت وضع للناس ليعبدوا اللّه فيه وحده بلا شريك وجعله مثابة أمن للناس وللأحياء جميعا ومنه خرجت الدعوة العامة لأهل الأرض ولم تكن دعوة عامة من قبل وإليه يحج المؤمنون بهذه الدعوة،ليعودوا إلى البيت الذي خرجت منه الدعوة! وليس المقصود،كما يتصيد أعداء الإسلام من المستشرقين،أن تقصر الدعوة على أهل مكة ومن حولها.

فهم يقتطعون هذه الآية من القرآن كله،ليزعموا أن محمدا - ﷺ- ما كان يقصد في أول الأمر أن يوجه دعوته إلا إلى أهل مكة وبعض المدن حولها.وأنه إنما تحول من هذا المجال الضيق الذي ما كان خياله يطمح في أول الأمر إلى أوسع منه فتوسع في الجزيرة كلها،ثم همَّ أن يتخطاها..لمصادفات لم يكن في أول الأمر على علم بها!

وذلك بعد هجرته إلى المدينة،وقيام دولته بها!..وكذبوا..ففي القرآن المكي،وفي أوائل الدعوة،قال اللّه سبحانه لرسوله - ﷺ- «وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ»...(الأنبياء:107)..«وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً»...(سبأ:28) ولعل الدعوة يومذاك كانت محصورة في شعاب مكة يحيط بها الكرب والابتلاء ![97]

[97] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1579]

والقرآنُ هوالهدى الموصِلُ إلى كلِّ خيرٍ.قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (2) سورة البقرة.
والله -عز وجلَّ- يريدُ لكلمته أنْ تنتشرَ،وتصلَ إلى العقولِ والأسماع في كلِّ مكانٍ،ولا يتمُّ ذلك إلا إذا كانتْ سهلةَ الحفظِ والفهمِ،فليسَ في القرآنِ ما يصعبُ على الناسِ فهمُه أوالعملُ به،قال تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } (17) سورة القمر .
وهذا هوالقرآن حاضرا،سهل التناول،ميسر الإدراك،فيه جاذبية ليقرأ ويتدبر.فيه جاذبية الصدق والبساطة،وموافقة الفطرة،واستجاشة الطبع،لا تنفد عجائبه،ولا يخلق على كثرة الرد.وكلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد.وكلما صحبته النفس زادت له ألفة وبه أنسا.[98]
والقرآنُ معجزةُ الرسول ،فلواجتمعتِ الدنيا بأسرِها على أن تأتيَ بمثل ما جاء به في القرآن الكريم لأعجزَهم ذلك،فهو{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (42) سورة فصلت.
وأنى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب.وهوصادر من اللّه الحق.يصدع بالحق.ويتصل بالحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض؟
وأنى يأتيه الباطل وهوعزيز.محفوظ بأمر اللّه الذي تكفل بحفظه فقال:«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ».والمتدبر لهذا القرآن يجد فيه ذلك الحق الذي نزل به،والذي نزل ليقره.يجده في روحه ويجده في نصه.يجده في بساطة ويسر.حقا مطمئنا فطريا،يخاطب أعماق الفطرة،ويطبعها ويؤثر فيها التأثير العجيب.وهو«تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»..والحكمة ظاهرة في بنائه،وفي توجيهه،وفي طريقة نزوله،وفي علاجه للقلب البشري من أقصر طريق.واللّه الذي نزله خليق

---
[98] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 4282]

بالحمد.وفي القرآن ما يستجيش القلب لحمده الكثير.ثم يربط السياق بين القرآن وسائر الوحي قبله وبين رسول اللّه - ﷺ - وسائر الرسل قبله.ويجمع أسرة النبوة كلها في ندوة واحدة تتلقى من ربها حديثا واحدا،ترتبط به أرواحها وقلوبها،وتتصل به طريقها ودعوتها ويحس المسلم الأخير أنه فرع من شجرة وارفة عميقة الجذور،وعضومن أسرة عريقة قديمة التاريخ:«ما يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ.إِنَّ رَبَّكَ لَذُومَغْفِرَةٍ وَذُوعِقابٍ أَلِيمٍ»..
إنه وحي واحد،ورسالة واحدة،وعقيدة واحدة.وإنه كذلك استقبال واحد من البشرية،وتكذيب واحد،واعتراضات واحدة..ثم هي بعد ذلك وشيجة واحدة،وشجرة واحدة،وأسرة واحدة،وآلام واحدة،وتجارب واحدة،وهدف في نهاية الأمر واحد،وطريق واصل ممدود.
أي شعور بالأنس،والقوة،والصبر،والتصميم.توحيه هذه الحقيقة لأصحاب الدعوة،السالكين في طريق سار فيها من قبل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وإخوانهم جميعا - صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين؟
وأي شعور بالكرامة والاعتزاز والاستعلاء على مصاعب الطريق وعثرتها وأشواكها وعقباتها،وصاحب الدعوة يمضي وهويشعر أن أسلافه في هذا الطريق هم تلك العصبة المختارة من بني البشر أجمعين؟
إنها حقيقة:«ما يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ»..ولكن أي آثار هائلة عميقة ينشئها استقرار هذه الحقيقة في نفوس المؤمنين؟
وهذا ما يصنعه هذا القرآن،وهويقرر مثل هذه الحقيقة الضخمة ويزرعها في القلوب.[99]
والقرآنُ دعوةٌ إلى الفضيلةِ والنهيِ عن الرذيلةِ.قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

[99] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3917]

وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (57)
سورة يونس].
والقرآنُ شفاءٌ للنفوسِ،يطهرُها من أمراضِها،فهوشفاءٌ
لها من الكفرِ والضلالِ،وشفاءٌ لها من الغلِّ والحقدِ،قال
تعالى:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوشِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} (82) سورة الإسراء

□□□□□□□□□□□□□

# ثمراتُ الإيمان بالكتب السماوية

1)- أخذُ كتابِ الله بقوةٍ،والتمسكُ به وتعظيمُ أوامره والعملِ بها،وعدمِ ضرب بعضِها ببعضٍ،والإيمانُ بمتشابههِ،وردُّهُ إلى مُحْكمهِ،على طريقةِ الراسخينَ في العلم.قال تعالى:{ هُوالَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ {7} آل عمران

2)- وأنه منهجُ حياةٍ متكاملٍ يهدي للتي هي أقومُ،ولا سعادةَ للبشريةِ إلا به.قال تعالى:{ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا {9} وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {10} الإسراء

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور،بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض،والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة،وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء،وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه،وبين مشاعره وسلوكه،وبين عقيدته وعمله،فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم،متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض،وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى اللّه،ولوكان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة.

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة،فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء.ولا تسهل وتترخص حتى تشيع

في النفس الرخاوة والاستهتار.ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.
ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض:أفرادا وأزواجا،وحكومات وشعوبا،ودولا وأجناسا،ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ولا تميل مع المودة والشنآن ولا تصرفها المصالح والأغراض.الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه،وهوأعلم بمن خلق،وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل،فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان.
ويهدي للتي هي أقوم في تبني الرسالات السماوية جميعها والربط بينها كلها،وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام.
« إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»..«وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً،وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» فهذه هي قاعدته الأصيلة في العمل والجزاء.فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه.فلا إيمان بلا عمل،ولا عمل بلا إيمان.الأول مبتور لم يبلغ تمامه،والثاني مقطوع لاركيزة له.وبهما معا تسير الحياة على التي هي أقوم..وبهما معا تتحقق الهداية بهذا القرآن.
فأما الذين لا يهتدون بهدي القرآن،فهم متروكون لهوى الإنسان.الإنسان العجول الجاهل بما ينفعه وما يضره،المندفع الذي لا يضبط انفعالاته ولوكان من ورائها الشر له:«وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا»..
ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها.ولقد يفعل الفعل وهوشر،ويعجل به على نفسه وهولا يدري.أويدري

ولكنه لا يقدر على كبح جماحه وضبط زمامه..فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهادئ الهادي؟
ألا إنهما طريقان مختلفان:شتان شتان.هدى القرآن وهوى الإنسان![100]

3)- أنزل الله عز وجل كتبه هدايةً للعباد،وجعل لها المنزلة السامية،والمكانة الرفيعة،وجعلَ الإيمان بها ركناً من أركانِ دينهِ،لا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بها.قال تعالى:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (285) سورة البقرة.

وقد رتبَ سبحانه على الإيمان بكتبه ثمراتٍ عظيمةً،لعلّ من أهمها السعادةُ في الدنيا والفوزُ في الآخرة،ذلك أنَّ من لم يؤمن بتلك الكتب فقد خالفَ أمر الله تعالى،وضلَّ ضلالا بعيداً،قال تعالى:{ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً } ( النساء:136)،فقد قرن سبحانه الإيمان بكتبه بالإيمان به،وجعل عاقبة الكفران بها كعاقبة الكفران به،سواء بسواء.

4)- استشعارُ المسلم لنعم الله عليه وآلاءه التي لا تعدُّ ولا تحصى،فقد جعل له كتباً تهديه سبلَ الرشاد،فلم يتركهُ سبحانه هملاً تتخطفه الأهواءُ والشهوات،وتتقاذفه الميولُ والرغبات،بل هيَّأ له من الأسباب ما يُصلِحُ أمره ويسددُ وجهته.ولن يقدِّرَ العبد ما أسبغ الله عليه من نعمة الإيمان به،وما يتبعه من إيمانٍ بما أنزله من كتب إلا عندما يتأملُ حالَ من حُرم هذه النّعم،وحالَ من كان يحيا حياة الغيِّ والضلال،لا يدري الهدفَ من سيره،وما هي الغاية التي يسعى إليها من مسيره،قال تعالى: {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (22) سورة الملك.

---

[100] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2880]

وقال أيضاً في حق الضالين عن هديه:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (179) سورة الأعراف.
5)- إنه يمنحُ المؤمن الشعورَ بالراحة والطمأنينة،وذلك بمعرفته أن َّالله سبحانه قد أنزل على كلِّ قومٍ من الشرائع ما يناسبُ حالهم،ويحققُ حاجتهم،ويهديهم لما فيه صلاحُ أمرهم في الدنيا والآخرة،قال تعالى:{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً } (المائدة:48).
فإذا كان المؤمن على بينة من هذه السنَّة الإلهية ازداد إيماناً مع إيمانه،ويقيناً فوق يقينه،فيزدادُ حباً لربه ومعرفةً له وتعظيماً لقدره،فتنطلقُ جوارحه عاملةً بأوامر الله فتتحقق الغاية العظيمة من الإيمان بالكتب - وهي العمل بما فيها - فينالُ ثمرة هذا الإيمان سعادةً في الدنيا وفوزاً في الآخرة،وقد وعد الله عز وجل العاملين بشرعهِ الخير والبركات في الدنيا والآخرة،كما قال تعالى:{ وَلَوأَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ والأرضِ } (الأعراف:96)
وقال أيضاً:{ وَلَوأَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } (المائدة:66).
إن العقيدة الإيمانية في اللّه،وتقواه،ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة،وعن خط تاريخ الإنسان.
إن الإيمان باللّه،وتقواه،ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض.وعدا من اللّه.ومن أوفى بعهده من اللّه؟ ونحن - المؤمنين باللّه - نتلقى هذا الوعد بقلب المؤمن،فنصدقه ابتداء،لا نسأل عن علله وأسبابه ولا نتردد لحظة في توقع مدلوله..نحن نؤمن باللّه - بالغيب - ونصدق بوعده بمقتضى هذا الإيمان..

ثم ننظر إلى وعد اللّه نظرة التدبر - كما يأمرنا إيماننا كذلك - فنجد علته وسببه! إن الإيمان باللّه دليل على حيوية في الفطرة وسلامة في أجهزة الاستقبال الفطرية وصدق في الإدراك الإنساني،وحيوية في البنية البشرية،ورحابة في مجال الإحساس بحقائق الوجود..وهذه كلها من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية.
والإيمان باللّه قوة دافعة دافقة،تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها،وتتجه بها إلى وجهة واحدة،وتطلقها تستمد من قوة اللّه،وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها،وفي دفع الفساد والفتنة عنها،وفي ترقية الحياة ونمائها..وهذه كذلك من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية.
والإيمان باللّه تحرر من العبودية للهوى ومن العبودية للعبيد.وما من شك أن الإنسان المتحرر بالعبودية للّه،أقدر على الخلافة في الأرض خلافة راشدة صاعدة،من العبيد للهوى ولبعضهم بعضا! وتقوى اللّه يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهور والشطط والغرور،في دفعة الحركة ودفعة الحياة.
وتوجه الجهد البشري في حذر وتحرج،فلا يعتدي،ولا يتهور،ولا يتجاوز حدود النشاط الصالح.وحين تسير الحياة متناسقة بين الدوافع والكوابح،عاملة في الأرض،متطلعة إلى السماء،متحررة من الهوى والطغيان البشري،عابدة خاشعة للّه..تسير سيرة صالحة منتجة تستحق مدد اللّه بعد رضاه.فلا جرم تحفها البركة،ويعمها الخير،ويظلها الفلاح..والمسألة - من هذا الجانب - مسألة واقع منظور - إلى جانب لطف اللّه المستور - واقع له علله وأسبابه الظاهرة،إلى جانب قدر اللّه الغيبيِّ الموعود..
والبركات التي يعد اللّه بها الذين يؤمنون ويتقون،في توكيد ويقين،ألوان شتى لا يفصلها النص ولا

يحددها.وإيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان،النابع من كل مكان،بلا تحديد ولا تفصيل ولا بيان.فهي البركات بكل أنواعها وألوانها،وبكل صورها وأشكالها،ما يعهده الناس وما يتخيلونه،وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال! والذين يتصورون الإيمان باللّه وتقواه مسألة تعبدية بحتة،لا صلة لها بواقع الناس في الأرض،لا يعرفون الإيمان ولا يعرفون الحياة! وما أجدرهم أن ينظروا هذه الصلة قائمة يشهد بها اللّه - سبحانه - وكفى باللّه شهيدا.
ويحققها النظر بأسبابها التي يعرفها الناس:«وَلَوأَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ.وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ»..
ولقد ينظر بعض الناس فيرى أمما - يقولون:إنهم مسلمون - مضيقا عليهم في الرزق،لا يجدون إلا الجدب والمحق!..ويرى أمما لا يؤمنون ولا يتقون،مفتوحا عليهم في الرزق والقوة والنفوذ..فيتساءل:وأين إذن هي السنة التي لا تتخلف؟
ولكن هذا وذلك وهم تخيله ظواهر الأحوال! إن أولئك الذين يقولون:إنهم مسلمون..لا مؤمنون ولا متقون! إنهم لا يخلصون عبوديتهم للّه،ولا يحققون في واقعهم شهادة أن لا إله إلا اللّه! إنهم يسلمون رقابهم لعبيد منهم،يتألهون عليهم،ويشرعون لهم - سواء القوانين أوالقيم والتقاليد - وما أولئك بالمؤمنين.فالمؤمن لا يدع عبدا من العبيد يتأله عليه،ولا يجعل عبدا من العبيد ربه الذي يصرف حياته بشرعه وأمره..ويوم كان أسلاف هؤلاء الذين يزعمون الإيمان مسلمين حقا.دانت لهم الدنيا،وفاضت عليهم بركات من السماء والأرض،وتحقق لهم وعد اللّه.
فأما أولئك المفتوح عليهم في الرزق..فهذه هي السنة:«ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا،وَقالُوا

قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ»! فهوالابتلاء بالنعمة الذي مر ذكره.وهوأخطر من الابتلاء بالشدة..
وفرق بينه وبين البركات التي يعدها اللّه من يؤمنون ويتقون.فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به،وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح..وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة،مهددة في أمنها،مقطعة الأواصر بينها،يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال.فهي قوة بلا أمن.وهومتاع بلا رضى.وهي وفرة بلا صلاح.وهوحاضر زاه يترقبه مستقبل نكد.وهوالابتلاء الذي يعقبه النكال..
إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى،بركات في الأشياء،وبركات في النفوس،وبركات في المشاعر،وبركات في طيبات الحياة..بركات تنمي الحياة وترفعها في آن.وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال ".[101]

□□□□□□□□□□□□

[101] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1793]

# الركنُ الرابع
# الإيمانُ بالرسل

**المراد بالرسل:**
رجالٌ اصطفاهم الله تعالى من النوع الإنساني ليكونوا وسطاءَ بينه وبين عباده،في تبليغِ ما شاء من العقائد والعباداتِ والأحكامِ والآدابِ،قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (67) سورة المائدة.
ويبشِّرون من آمن بحسن الثوابِ،وينذرونَ من كفر وأعرضَ سوءِ العقاب قال الله تعالى:{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (165) سورة النساء.
**معنى الإيمان بالرسل:**
أن يؤمنَ المرءُ إيماناً جازما بكل نبيٍّ ورسولٍ عُرفتْ نبوتُه ورسالتُه عن طريقِ القرآن الكريمِ أوالسنةِ الصحيحة إجمالاً وتفصيلاً.فمن عُرف منهم بأسمائهم آمنا بهم بأعيانهم على التفصيل،ومن لم يعرف منهم بأسمائهم آمنا بهم على سبيل الإجمال،دون أن ننكر نبوةَ أورسالةَ أحدٍ منهم.
**أول الرسل وآخرهم:**
إن أول رسولٍ إلى أهل الأرض هونوحٌ عليه السلام،وآخرُهم محمدٌ ،قال الله تعالى:{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) [النساء/163،164] }.

وقال تعالى:{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب:40]
ثم إنه لم تخلُ أمةٌ من الأمم إلا وقد أُرسل إليهم رسولٌ بشريعة مستقلةٍ أوأوحيَ إليه بشريعةِ من قبله
ليجددها،قال الله تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (36) سورة النحل
فَقَدْ بَعَثَ اللهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ،لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَنَهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ ( الطَّاغُوتِ )،وَعَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ،وَعَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ،فَمِنَ النَّاسِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ،وَاتَّبَعَ الرُّسُلَ فَاهْتَدَى،وَمِنْهُمْ مَنَ ضَلَّ وَاسْتَكْبَرَ وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ،لِهؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ :سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نِهَايَةُ المُكَذِبِينَ،وَكَيْفَ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَهْلَكَهُمْ،وَجَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ أَسْوَأَ عَاقِبَةٍ،وَلِذَلِكَ كُلِّهِ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ اللهَ رَضِيَ لَهُمُ الكُفْرَ.[102]
وقوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (24) سورة فاطر.
**الرسلُ من جنس البشر:**
والرسل بشرٌ مخلوقون،ليس لهم من خصائص الربوبية أوالألوهية شيءٌ،بل تلحقهُم جميعُ خصائص البشر من المرض والموت والحاجة إلى الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر من النكاح والتناسل- عدا الصفاتِ المنفرة -،ولكنهم يمتازون عن غيرهم بأنهم أصدقُ الناس وآمنُ الناس،وأشجعُ الناس،وأكرمُ الناس،وأرحمُ الناس بالناس،وأتقَى الناس،ولا يقعونَ في المعاصي،وأنَّ الله تعالى أوحَى إليهم دون سواهم من الناس،قال الله تعالى آمرا نبيه محمدا  :{قُل لاَّ أَمْلِكُ

[102] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص:1938،بترقيم الشاملة آليا)

لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوكُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (188) سورة الأعراف.
وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام واصفا ربه :{ وَالَّذِي هُويُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُويَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) [الشعراء/79-83] }.
وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام :{إِنْ هُوإِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ } (59) سورة الزخرف.
فليس إلها يعبد كما انحرف فريق من النصارى فعبدوه.إنما هوعبد أنعم اللّه عليه.ولا جريرة له في عبادتهم إياه.فإنما أنعم اللّه عليه ليكون مثلا لبني إسرائيل ينظرون إليه ويتأسون به.فنسوا المثل،وضلوا السبيل! واستطرد إلى أسطورتهم حول الملائكة،يبين لهم أن الملائكة خلق من خلق اللّه مثلهم.ولوشاء اللّه لجعل الملائكة يخلفونهم في هذه الأرض،أو يحوِّلُ بعض الناس إلى ملائكة يخلفونهم في الأرض:«وَلَونَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ»..فمرد الأمر إلى مشيئة اللّه في الخلق.وما يشاؤه من الخلق يكون.وليس أحد من خلقه يمت إليه بنسب،ولا يتصل به - سبحانه - إلا صلة المخلوق بالخالق،والعبد بالرب،والعابد بالمعبود.[103]

**ما يتضمنه الإيمان بالرسل:**

**1- الإيمانُ بأن رسالتهم حقٌّ منَ الله تعالى لا تفريق بينهم:**

فالكفرُ بواحد منهم كفرٌ بهم جميعا،كما قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

---
[103] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3995]

وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152)}[النساء/150-152]

لقد كان اليهود يدَّعون الإيمان بأنبيائهم وينكرون رسالة عيسى ورسالة محمد كما كان النصارى يقفون بإيمانهم عند عيسى - فضلا عن تأليهه - وينكرون رسالة محمد كذلك.

وكان القرآن ينكر على هؤلاء وهؤلاء ويقرر التصور الإسلامي الشامل الكامل عن الإيمان باللّه ورسوله بدون تفريق بين اللّه ورسله وبدون تفريق كذلك بين رسله جميعا.وبهذا الشمول كان الإسلام هو«الدين» الذي لا يقبل اللّه من الناس غيره،لأنه هوالذي يتفق مع وحدانية اللّه ومقتضيات هذه الوحدانية.

إن التوحيد المطلق للّه سبحانه يقتضي توحيد دينه الذي أرسل به الرسل للبشر،وتوحيد رسله الذين حملوا هذه الأمانة للناس..وكل كفر بوحدة الرسل أووحدة الرسالة هوكفر بوحدانية اللّه في الحقيقة وسوء تصور لمقتضيات هذه الوحدانية.فدين اللّه للبشر ومنهجه للناس،هوهولا يتغير في أساسه كما أنه لا يتغير في مصدره.لذلك عبر السياق هنا عمن يريدون التفرقة بين اللّه ورسله (بأن يؤمنوا باللّه ويكفروا بالرسل) وعمن يريدون التفرقة بين الرسل (بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا ببعضهم) عبر عن هؤلاء وهؤلاء بأنهم «الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»،وعد تفرقتهم بين اللّه ورسله،وتفرقتهم بين بعض رسله وبعض،كفرا باللّه وبرسله.

إن الإيمان وحدة لا تتجزأ..الإيمان باللّه إيمان بوحدانيته - سبحانه - ووحدانيته تقتضي وحدة الدين الذي ارتضاه للناس لتقوم حياتهم كلها - كوحدة - على

أساسه.ويقتضي وحدة الرسل الذين جاءوا بهذا الدين من عنده - لا من عند أنفسهم ولا في معزل عن إرادته ووحيه - ووحدة الموقف تجاههم جميعا..ولا سبيل إلى تفكيك هذه الوحدة.إلا بالكفر المطلق وإن حسب أهله أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض! وكان جزاؤهم عند اللّه أن أعد لهم العذاب المهين..أجمعين..
«أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا،وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً»..أما «المسلمون» فهم الذين يشتمل تصورهم الاعتقادي على الإيمان باللّه ورسله جميعا بلا تفرقة.فكل الرسل عندهم موضع اعتقاد واحترام وكل الرسالات السماوية  عندهم حق - ما لم يقع فيها التحريف فلا تكون عندئذ من دين اللّه،وإن بقي فيها جانب لم يحرف،إذ أن الدين وحدة - وهم يتصورون الأمر - كما هوفي حقيقته -:إلها واحدا،ارتضى للناس دينا واحدا ووضع لحياتهم منهجا واحدا،وأرسل رسله إلى الناس بهذا الدين الواحد وهذا المنهج الواحد.وموكب الإيمان - في حسهم - موصول،يقوده نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وإخوانهم من الرسل - صلوات اللّه وسلامه عليهم جميعا - ونسبهم هم إلى هذا الموكب الموصول عريق وهم حملة هذه الأمانة الكبرى،وهم ورثة هذا الخير الموصول على طول الطريق المبارك..لا تفرقة ولا عزلة ولا انفصام..وإليهم وحدهم انتهى ميراث الدين الحق. وليس وراء ما عندهم إلا الباطل والضلال.وهذا هو«الإسلام» الذي لا يقبل اللّه غيره من أحد.وهؤلاء هم «المسلمون» الذين يستحقون الأجر من اللّه على ما عملوا،ويستحقون منه المغفرة والرحمة فيما قصروا فيه:«أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ،وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً»..
والإسلام إنما يتشدد هذا التشدد في توحيد العقيدة في اللّه ورسله،لأن هذا التوحيد هوالأساس اللائق بتصور

المؤمن لإلهه سبحانه كما أنه هوالأساس اللائق بوجود منظم،غير متروك للتعدد والتصادم.ولأنه هوالعقيدة اللائقة بإنسان يرى وحدة الناموس في هذا الوجود أينما امتد بصره.ولأنه هوالتصور الكفيل بضم المؤمنين جميعا في موكب واحد،يقف أمام صفوف الكفر،وفي حزب واحد يقف أمام أحزاب الشيطان..ولكن هذا الصف الواحد ليس هوصف أصحاب الاعتقادات المحرفة - ولوكان لها أصل سماوي - إنما هوصف أصحاب الإيمان الصحيح والعقيدة التي لم يدخلها انحراف.
ومن ثم كان «الإسلام» هو«الدين».وكان «المسلمون» «خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» المسلمون المعتقدون عقيدة صحيحة،العاملون بهذه العقيدة.لا كل من ولد في بيت مسلم،ولا كل من لاك لسانه كلمة الإسلام!
وفي ظل هذا البيان يبدوالذين يفرقون بين اللّه ورسله،ويفرقون بين بعض الرسل وبعض،منقطعين عن موكب الإيمان،مفرقين للوحدة التي جمعها اللّه،منكرين للوحدانية التي يقوم عليها الإيمان باللّه[104].

**2- الإيمانُ بِكلِّ من جاء ذكره بعينه واسمه:**

وقد ذكر القرآن الكريم خمسةً وعشرين رسولاً وهم (آدَمُ -أَيُّوبُ -إِبْرَاهِيمُ - إِدْرِيسُ- إِسْحَاقُ - إِسْمَاعِيلُ - إِلْيَاسُ - الْيَسَعُ - دَاوُودُ - ذُوالْكِفْلِ - زَكَرِيَّا - سُلَيْمَانُ - شُعَيْبٌ -صَالِحٌ - عِيسَى - لُوطٌ - مُحَمَّدٌ - مُوسَى - نُوحٌ - هَارُونُ - هُودُ - يَحْيَى - يَعْقُوبُ - يُوسُفُ - يُونُسُ (ذُوالنُّونِ)،أما من لم يذكر باسمه فإنَّ الواجب أن نؤمنَ به إجمالاً قال الله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} (78) سورة غافر.

---

[104] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1162]

إن لهذا الأمر سوابق كثيرة،قص اللّه على رسوله بعضها في هذا الكتاب،وبعضها لم يقصصه.وفيما قصه من أمر الرسل ما يشير إلى الطريق الطويل الواصل الواضح المعالم وما يقرر السنة الماضية الجارية التي لا تتخلف وما يوضح حقيقة الرسالة ووظيفة الرسل وحدودها أدق إيضاح.
وتؤكد الآية حقيقة تحتاج إلى توكيدها في النفس،وتتكئ عليها لتقررها تقريرا شديدا:«وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»..
فالنفس البشرية - ولوكانت نفس رسول - تتمنى وترغب أن تستعلي الدعوة وأن يذعن لها المكابرون سريعا.فتتطلع إلى ظهور الآية الخارقة التي تقهر كل مكابرة.ولكن اللّه يريد أن يلوذ عباده المختارون بالصبر المطلق ويروضوا أنفسهم عليه فيبين لهم أن ليس لهم من الأمر شيء،وأن وظيفتهم تنتهي عند حد البلاغ،وأن مجيء الآية هوالذي يتولاه حينما يريد.لتطمئن قلوبهم وتهدأ وتستقر ويرضوا بكل ما يتم على أيديهم ويدعوا الأمر كله بعد ذلك للّه.
ويريد كذلك أن يدرك الناس طبيعة الألوهية وطبيعة النبوة،ويعرفوا أن الرسل بشر منهم،اختارهم اللّه،وحدد لهم وظيفتهم،وما هم بقادرين ولا محاولين أن يتجاوزوا حدود هذه الوظيفة..
كذلك ليعلم الناس أن تأخير الآيات رحمة بهم فقد قضى في تقديره بأن يدمر على المكذبين بعد ظهور الآيات.وإذن فهي مهلة،وهي من اللّه رحمة:«فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ»..ولم يعد هناك مجال لعمل ولا لتوبة ولا لرجعة بعد قضاء اللّه الأخير.[105]

**3- التصديقُ بكلِّ ما صحَّ من أخبارهم وجاء به نصٌّ من الكتابِ أوالسنة الصحيحةِ.**

---
[105] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3885]

**4- ونؤمنُ بمعجزاتِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام..**
ونحفظُ لهم حقَّهم،ونتأدبُ معهم،ولا نفضِّل عليهم أحداً من الناس لا الأولياءَ ولا الأئمةَ،ولا غيرهم 0
**5- ونؤمنُ بأن خاتمَ الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٌ  تسليماً كثيراً،فلا نبيَّ بعده**
قال تعالى:{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب:40]
«ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ» فزينب ليست حليلة ابنه،وزيد ليس ابن محمد.إنما هوابن حارثة.ولا حرج إذن في الأمر حين ينظر إليه بعين الحقيقة الواقعة.
والعلاقة بين محمد - - وبين جميع المسلمين - ومنهم زيد بن حارثة - هي علاقة النبي بقومه،وليس هوأبا لأحد منهم:«وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ»..
ومن ثم فهويشرع الشرائع الباقية،لتسير عليها البشرية وفق آخر رسالة السماء إلى الأرض،التي لا تبديل فيها بعد ذلك ولا تغيير.«وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً»..فهوالذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية،وما يصلحها وهوالذي فرض على النبي ما فرض،واختار له ما اختار.ليحل للناس أزواج أدعيائهم،إذا ما قضوا منهن وطرا،وانتهت حاجتهم منهن،وأطلقوا سراحهن..
قضى اللّه هذا وفق علمه بكل شيء.ومعرفته بالأصلح والأوفق من النظم والشرائع والقوانين ووفق رحمته وتخيره للمؤمنين.[106].
وعَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ،قَالَ:قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ،فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ،قَالَ:«كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ،كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ،وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي،وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ

---
[106] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3632]

فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا:فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:«فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ،أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ،فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ» (أخرجه الشيخان )[107].
وشريعتُه هي الشريعةُ المهيمنةُ على سائر الشرائع،إلى يوم القيامة،قال تعالى:{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {48} وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ {49} أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {50}سورة المائدة
ويقف الإنسان أمام هذه النصاعة في التعبير،وهذا الحسم في التقرير،وهذا الاحتياط البالغ لكل ما قد يهجس في الخاطر من مبررات لترك شيء - ولوقليل - من هذه الشريعة في بعض الملابسات والظروف - يقف الإنسان أمام هذا كله،فيعجب كيف ساغ لمسلم - يدعي الإسلام - أن يترك شريعة اللّه كلها،بدعوى الملابسات والظروف! وكيف ساغ له أن يظل يدعي الإسلام بعد هذا الترك الكلي لشريعة اللّه! وكيف لا يزال الناس يسمون أنفسهم «مسلمين»؟! وقد خلعوا

---

[107] - [صحيح البخاري 4/ 169]( 3455 ) و[صحيح مسلم 3/ 1471]44 - ( 1842)
[(تسوسهم) تتولى أمورهم والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه. (فيكثرون) أي يكون أكثر من حاكم واحد للمسلمين في زمن واحد.(فوا) من الوفاء.(ببيعة الأول فالأول) أي إن الذي تولى الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصحيحة التي يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها مطلقا.(أعطوهم حقهم) أطيعوهم في غير معصية.(سائلهم) محاسبهم بالخير والشر عن حال رعيتهم]

ربقة الإسلام من رقابهم،وهم يخلعون شريعة اللّه كلها ويرفضون الإقرار له بالألوهية،في صورة رفضهم الإقرار بشريعته،وبصلاحية هذه الشريعة في جميع الملابسات والظروف،وبضرورة تطبيقها كلها في جميع الملابسات والظروف! «وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ»..
يتمثل الحق في صدوره من جهة الألوهية،وهي الجهة التي تملك حق تنزيل الشرائع،وفرض القوانين..ويتمثل الحق في محتوياته،وفي كل ما يعرض له من شئون العقيدة والشريعة،وفي كل ما يقصه من خبر،وما يحمله من توجيه:«مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ»..
فهوالصورة الأخيرة لدين اللّه،وهوالمرجع الأخير في هذا الشأن،والمرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس،ونظام حياتهم،بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل.
ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه.سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الرسالات السماوية،أوفي الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة.أوكان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم،فالمرجع الذي يعودون إليه بآرائهم في شأن الحياة كله هوهذا الكتاب،ولا قيمة لآراء الرجال ما لم يكن لها أصل تستند إليه من هذا المرجع الأخير.
وتترتب على هذه الحقيقة مقتضياتها المباشرة:«فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ،وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ»..
والأمر موجه ابتداء إلى رسول اللّه - ﷺ- فيما كان فيه من أمر أهل الكتاب الذين يجيئون إليه متحاكمين.ولكنه ليس خاصا بهذا السبب،بل هوعام..وإلى آخر الزمان..طالما أنه ليس هناك رسول جديد،ولا رسالة جديدة،لتعديل شيء ما في هذا المرجع الأخير! لقد كمل هذا الدين،وتمت به نعمة اللّه على

المسلمين.ورضيه اللّه لهم منهج حياة للناس أجمعين.ولم يعد هنالك من سبيل لتعديل شيء فيه أوتبديله،ولا لترك شيء من حكمه إلى حكم آخر،ولا شيء من شريعته إلى شريعة أخرى.وقد علم اللّه حين رضيه للناس،أنه يسع الناس جميعا.وعلم اللّه حين رضيه مرجعا أخيرا أنه يحقق الخير للناس جميعا.وأنه يسع حياة الناس جميعا،إلى يوم الدين.وأي تعديل في هذا المنهج - ودعك من العدول عنه - هوإنكار لهذا المعلوم من الدين بالضرورة.يخرج صاحبه من هذا الدين.ولوقال باللسان ألف مرة:إنه من المسلمين! وقد علم اللّه أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم وأن يبرر بها العدول عن شيء مما أنزل اللّه واتباع أهواء المحكومين المتحاكمين..وأن هواجس قد تتسرب في ضرورة الحكم بما أنزل اللّه كله بلا عدول عن شيء فيه،في بعض الملابسات والظروف.فحذر اللّه نبيه - ﷺ- في هذه الآيات مرتين من اتباع أهواء المتحاكمين،ومن فتنتهم له عن بعض ما أنزل اللّه إليه..

وأولى هذه الهواجس:الرغبة البشرية الخفية في تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة،والاتجاهات والعقائد المتجمعة في بلد واحد.ومسايرة بعض رغباتهم عند ما تصطدم ببعض أحكام الشريعة،والميل إلى التساهل في الأمور الطفيفة،أوالتي يبدوأنها ليست من أساسيات الشريعة!

وقد روي أن اليهود عرضوا على رسول اللّه - ﷺ- أن يؤمنوا له إذا تصالح معهم على التسامح في أحكام بعينها منها حكم الرجم[108]،وأن هذا التحذير قد نزل

---

[108] - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ وَابْنُ صُورِيَا وَشَأْسُ بْنُ قَيْسٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:اذْهَبُوا بِنَا إِلَى مُحَمَّدٍ لَعَلَّنَا نَفْتِنُهُ عَنْ دِينِهِ،فَأَتَوْهُ فَقَالُوا:يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّا أَحْبَارُ يَهُودَ وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَاتُهُمْ،وَأَنَّا إِنِ اتَّبَعْنَاكَ اتَّبَعَنَا يَهُودُ وَلَمْ يُخَالِفُونَا،وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا خُصُومَةً،فَنُحَاكِمُهُمْ إِلَيْكَ،فَتَقْضِي لَنَا عَلَيْهِمْ وَنُؤْمِنُ لَكَ وَنُصَدِّقُكَ.فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ:{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة:49] إِلَى قَوْلِهِ:{لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}

بخصوص هذا العرض..ولكن الأمر - كما هوظاهر- أعم من حالة بعينها وعرض بعينه.فهوأمر يعرض في مناسبات شتى،ويتعرض له أصحاب هذه الشريعة في كل حين..وقد شاء اللّه - سبحانه - أن يحسم في هذا الأمر،وأن يقطع الطريق على الرغبة البشرية الخفية في التساهل مراعاة للاعتبارات والظروف،وتأليفا للقلوب حين تختلف الرغبات والأهواء.

فقال لنبيه:إن اللّه لوشاء لجعل الناس أمة واحدة ولكنه جعل لكل منهم طريقا ومنهاجا وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة،وما آتاهم في الحياة كلها من عطايا.وأن كلا منهم يسلك طريقه ثم يرجعون كلهم إلى اللّه،فينبئهم بالحقيقة،ويحاسبهم على ما اتخذوا من منهج وطريق..وأنه إذن لا يجوز أن يفكر في التساهل في شيء من الشريعة لتجميع المختلفين في المشارب والمناهج..فهم لا يتجمعون:«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً.وَلَوْشاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً.وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ.فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ.إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً.فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

بذلك أغلق اللّه - سبحانه - مداخل الشيطان كلها وبخاصة ما يبدومنها خيرا وتأليفا للقلوب وتجميعا للصفوف بالتساهل في شيء من شريعة اللّه في مقابل إرضاء الجميع! أوفي مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف!

إن شريعة اللّه أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدر اللّه ألا يكون! فالناس قد خلقوا ولكل منهم استعداد،ولكل منهم مشرب،ولكل منهم منهج،ولكل منهم طريق.ولحكمة من حكم اللّه خلقوا هكذا مختلفين.

وقد عرض اللّه عليهم الهدى وتركهم يستبقون.وجعل هذا ابتلاء لهم يقوم عليه جزاؤهم يوم يرجعون إليه،وهم

---

[البقرة:118] "تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (8/ 502) فيه جهالة،وانظر الخبر بطوله في دلائل النبوة للبيهقي محققا (2/ 534)

إليه راجعون وإنها لتعلَّةٌ[109] باطلةٌ إذن،ومحاولة فاشلة،أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة اللّه،أوبتعبير آخر على حساب صلاح الحياة البشرية وفلاحها.فالعدول أوالتعديل في شريعة اللّه لا يعني شيئا إلا الفساد في الأرض،وإلا الانحراف عن المنهج الوحيد القويم،وإلا انتفاء العدالة في حياة البشر،وإلا عبودية الناس بعضهم لبعض،واتخاذ بعضهم لبعض أربابا من دون اللّه..وهوشر عظيم وفساد عظيم..لا يجوز ارتكابه في محاولة عقيمة لا تكون لأنها غير ما قدره اللّه في طبيعة البشر ولأنها مضادة للحكمة التي من أجلها قدر ما قدر من اختلاف المناهج والمشارع،والاتجاهات والمشارب..وهوخالق وصاحب الأمر الأول فيهم والأخير.وإليه المرجع والمصير..

إن محاولة التساهل في شيء من شريعة اللّه،لمثل هذا الغرض،تبدو- في ظل هذا النص الصادق الذي يبدومصداقه في واقع الحياة البشرية في كل ناحية - محاولة سخيفة لا مبرر لها من الواقع ولا سند لها من إرادة اللّه ولا قبول لها في حس المسلم،الذي لا يحاول إلا تحقيق مشيئة اللّه.فكيف وبعض من يسمون أنفسهم «مسلمين» يقولون:إنه لا يجوز تطبيق الشريعة حتى لا نخسر «السائحين»؟!!!

أي واللّه هكذا يقولون! ويعود السياق فيؤكد هذه الحقيقة،ويزيدها وضوحا.فالنص الأول:«فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ»..قد يعني النهي عن ترك شريعة اللّه كلها إلى أهوائهم! فالآن يحذره من فتنتهم له عن بعض ما أنزل اللّه إليه:«وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ،وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ،وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ»..

---

[109] - التعلَّةُ :الحجة والذريعة...

فالتحذير هنا أشد وأدق وهوتصوير للأمر على حقيقته..فهي فتنة يجب أن تحذر..والأمر في هذا المجال لا يعدوأن يكون حكما بما أنزل اللّه كاملا أوأن يكون اتباعا للهوى وفتنة يحذر اللّه منها.
ثم يستمر السياق في تتبع الهواجس والخواطر فيهون على رسول اللّه - - أمرهم إذا لم يعجبهم هذا الاستمساك الكامل بالصغيرة قبل الكبيرة في هذه الشريعة،وإذا هم تولوا فلم يختاروا الإسلام دينا أوتولوا عن الاحتكام إلى شريعة اللّه (في ذلك الأوان حيث كان هناك تخيير قبل أن يصبح هذا حتما في دار الإسلام):«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ.وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ».فإن تولوا فلا عليك منهم ولا يفتنك هذا عن الاستمساك الكامل بحكم اللّه وشريعته.ولا تجعل إعراضهم يفت في عضدك أويحولك عن موقفك..فإنهم إنما يتولون ويعرضون لأن اللّه يريد أن يجزيهم على بعض ذنوبهم.فهم الذين سيصيبهم السوء بهذا الإعراض:لا أنت ولا شريعة اللّه ودينه ولا الصف المسلم المستمسك بدينه..ثم إنها طبيعة البشر:«وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» فهم يخرجون وينحرفون.لأنهم هكذا ولا حيلة لك في هذا الأمر،ولا ذنب للشريعة! ولا سبيل لاستقامتهم على الطريق! وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة ويأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة لغرض من الأغراض في ظرف من الظروف..
ثم يقفهم على مفرق الطريق..فإنه إما حكم اللّه،وإما حكم الجاهلية.ولا وسط بين الطرفين ولا بديل،فحكم اللّه يقوم في الأرض،وشريعة اللّه تنفذ في حياة الناس،ومنهج اللّه يقود حياة البشر..أوأنه حكم

الجاهلية،وشريعة الهوى،ومنهج العبودية..فأيهما يريدون؟[110].
ولا يكونُ العبدُ مؤمناً حتى يتبعَها ويسلِّمَ لحكمها تسليماً تامًّا،قال تعالى:{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} (65) سورة النساء.
إن الناس لا يؤمنون - ابتداء - إلا أن يتحاكموا إلى منهج اللّه ممثلا - في حياة الرسول ﷺ- في أحكام الرسول.وباقيا بعده في مصدريه القرآن والسنة بالبداهة ولا يكفي أن يتحاكموا إليه - ليحسبوا مؤمنين - بل لا بد من أن يتلقوا حكمه مسلمين راضين:«فَلا وَرَبِّكَ..لا يُؤْمِنُونَ..حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ،ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً»..فهذا هوشرط الإيمان وحد الإسلام.
ويقول لها:إن الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - أي إلى غير شريعة اللّه - لا يقبل منهم زعمهم أنهم آمنوا بما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبله.فهوزعم كاذب.يكذبه أنّهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت:«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ،يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ - وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ - وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً».
ويقول لها:إن علامة النفاق أن يصدوا عن التحاكم إلى ما أنزل اللّه والتحاكم إلى رسول اللّه:«وَإِذا قِيلَ لَهُمْ:تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ،رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً».
ويقول لها:إن منهجها الإيماني ونظامها الأساسي،أن تطيع اللّه - عز وجل - في هذا القرآن - وأن تطيع رسول اللّه - ﷺ- في سنته - وأولي الأمر من المؤمنين الداخلين في شرط الإيمان وحد الإسلام معكم:«يا أَيُّهَا

[110] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1287]

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ،وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»..
ويقول لها:إن المرجع،فيما تختلف فيه وجهات النظر في المسائل الطارئة المتجددة،والأقضية التي لم ترد فيها أحكام نصية..إن المرجع هواللّه ورسوله..أي شريعة اللّه وسنة رسوله:«فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شيء،فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»..
وبهذا يبقى المنهج الرباني مهيمنا على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وأقضية كذلك،أبد الدهر،في حياة الأمة المسلمة..وتمثل هذه القاعدة نظامها
الأساسي،الذي لا تكون مؤمنة إلا به،ولا تكون مسلمة إلا بتحقيقه..إذ هويجعل الطاعة بشروطها تلك،ورد المسائل التي تجد وتختلف فيها وجهات النظر إلى اللّه ورسوله..شرط الإيمان وحد الإسلام..شرطا واضحا ونصا صريحا:«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [111]..
ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وحدّ
الإسلام.يقرره اللّه سبحانه بنفسه.ويقسم عليه بذاته.فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحَدِّ الإسلام،ولا تأويل لمؤول.
اللهم إلا مماحكة[112] لا تستحق الاحترام..وهي أن هذا القول مرهون بزمان،وموقوف على طائفة من الناس! وهذا قول من لا يدرك من الإسلام شيئا ولا يفقه من التعبير القرآني قليلا ولا كثيرا.فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام جاءت في صورة قسم مؤكد مطلقة من كل قيد..وليس هناك مجال للوهم أوالإيهام بأن تحكيم رسول اللّه - ﷺ- هوتحكيم شخصه.إنما هوتحكيم شريعته ومنهجه.وإلا لم يبق لشريعة اللّه وسنة رسوله مكان بعد وفاته - ﷺ- وذلك قول أشد المرتدين ارتدادا على عهد أبي بكر - رضي اللّه عنه - وهوالذي قاتلهم عليه قتال

---

[111] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1026]
[112] - المماحكة :الجدال بغير علم،أو الجدال بالباطل...

المرتدين:بل قاتلهم على ما هودونه بكثير.وهومجرد عدم الطاعة للّه ورسوله،في حكم الزكاة وعدم قبول حكم رسول اللّه فيها،بعد الوفاة!
وإذا كان يكفي لإثبات «الإسلام» أن يتحاكم الناس إلى شريعة اللّه وحكم رسوله..فإنه لا يكفي في «الإيمان» هذا،ما لم يصحبه الرضى النفسي،والقبول القلبي،وإسلام القلب والجنان،في اطمئنان! هذا هوالإسلام..وهذا هوالإيمان..فلتنظر نفس أين هي من الإسلام وأين هي من الإيمان! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان! [113].

**6- ونؤمنُ بأنّ َالله قد اتخذَ محمداً  خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ،النَّاسَ وَقَالَ:«إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ،فَاخْتَارَ ذَلِكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ»،قَالَ:فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ،فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ:أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ  عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ،فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ  هُوَ المُخَيَّرَ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :«إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ،وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ،وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ،لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ» (أخرجه البخاري)[114].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ،جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:«عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ،فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى،فَقَالَ:فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا،قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ  هُوَ الْمُخَيَّرُ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ :«إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ،وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا،وَلَكِنْ أُخُوَّةُ

---
[113] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1038]
[114] - [صحيح البخاري 5/ 4](3654)

الْإِسْلَامِ،لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»[115] .
وبعثه رحمة للعالمين قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (107) سورة الأنبياء .
إن المنهج الذي جاء مع محمد - ﷺ- منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة.
ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي:جاءت كتابا مفتوحا للعقول في مقبل الأجيال،شاملا لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل،مستعدا لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر،وهوأعلم بمن خلق،وهواللطيف الخبير.
ولقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة.وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة،واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملابساتها،دون اصطدام بأصول المنهج الدائم.
وكفل للعقل البشري حرية العمل،بكفالة حقه في التفكير،وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير.
ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر،كيما تنمووترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض.
ولقد دلت تجارب البشرية حتى اللحظة على أن ذلك المنهج كان وما يزال سابقا لخطوات البشرية في عمومه،قابلا لأن تنموالحياة في ظلاله بكل ارتباطاتها

---

[115] - [صحيح مسلم 4/ 1854](2 - (2382) )
[ش (زهرة الدنيا) المراد بزهرة الدنيا نعيمها وأعراضها وجدودها وشبهها بزهر الروض (فبكى أبو بكر وبكى) هكذا هو في جميع النسخ فبكى أبو بكر وبكى معناه بكى كثيرا ثم بكى (إن أمن الناس علي) معناه أكثرهم جودا وسماحة لنا بنفسه وماله وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة لأنه أذى مبطل للثواب ولأن المنة لله ولرسوله في قبول ذلك وفي غيره (لا تبقين في المسجد خوخة) الخوخة هي الباب الصغير بين البيتين أو الدارين ونحوه]

نموا مطردا.وهويقودها دائما،ولا يتخلف عنها،ولا يقعد بها،ولا يشدها إلى الخلف،لأنه سابق دائما على خطواتها متسع دائما لكامل خطواتها.
وهوفي تلبيته لرغبة البشرية في النمووالتقدم لا يكبت طاقاتها في صورة من صور الكبت الفردي أوالجماعي،ولا يحرمها الاستمتاع بثمرات جهدها وطيبات الحياة التي تحققها.
وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق.لا يعذب الجسد ليسموبالروح،ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد.
ولا يقيد طاقات الفرد ورغائبه الفطرية السليمة ليحقق مصلحة الجماعة أوالدولة.ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة،أوتسخرها لإمتاع فرد أوأفراد.
وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها في حدود طاقته،ولمصلحته وقد زود بالاستعدادات والمقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف،وتجعلها محببة لديه - مهما لقي من أجلها الآلام أحيانا - لأنها تلبي رغيبة من رغائبه،أوتصرف طاقة من طاقاته.
ولقد كانت رسالة محمد - ﷺ- رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية،لبعد ما كان بينها وبين واقع الحياة الواقعية والروحية من مسافة.ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئا فشيئا من آفاق هذه المبادئ.فتزول غرابتها في حسها،وتتبناها وتنفذها ولوتحت عناوين أخرى.[116]

---

[116] - ورد في الأصل عنوانات،قلت :الصواب عناوين،وليس عنوانات،ففي معجم الغني- عبد الغني أبو العزم [ص 18601] عُنْوَانٌ -ج:عَنَاوِينُ.[ع ن ن].1."سُجِّلَ عُنْوَانُ الْكِتَابِ" :أَي اِسْمُهُ وَسِمَتُهُ.2."أَخَذَ مِنْهُ عُنْوَانَ سُكْنَاهُ" :اِسْمُ الشَّارِعِ وَرَقْمُ الْبَيْتِ."كَتَبَ العُنْوَانَ عَلَى ظَهْرِ الرِّسَالَةِ".3."الظَّاهِرُ عُنْوَانُ الْبَاطِنِ" :دَلِيلُهُ،سِمَتُهُ."مَا قَدَّمَهُ يُعْتَبَرُ عُنْوَاناً عَلَى كَرَمِهِ".

لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية.لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد..وكان هذا غريبا على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يومذاك.والأشراف يعدون أنفسهم من طينة غير طينة العبيد..ولكن ها هي ذي البشرية في خلال نيف وثلاثة عشر قرنا تحاول أن تقفوخطى الإسلام،فتتعثر في الطريق،لأنها لا تهتدي بنور الإسلام الكامل.ولكنها تصل إلى شيء من ذلك المنهج - ولوفي الدعاوى والأقوال - وإن كانت ما تزال أمم في أوربا وأمريكا تتمسك بالعنصرية البغيضة التي حاربها الإسلام منذ نيف وثلاث مائة وألف عام.

ولقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون.في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات،وتجعل لكل طبقة قانونا.بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع..فكان غريبا على ضمير البشرية يومذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء..ولكن ها هي ذي شيئا فشيئا تحاول أن تصل - ولونظريا - إلى شيء مما طبقة الإسلام عمليا منذ نيف وثلاث مائة وألف عام.

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وأن محمدا - ﷺ- إنما أرسل رحمة للعالمين.من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء.فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة أوكارهة،شاعرة أوغير شاعرة وما تزال ظلال هذه الرحمة وارفة،لمن يريد أن يستظل بها،ويستروح فيها نسائم السماء الرخية،في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام.

وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها.وهي قلقة حائرة،شاردة في متاهات المادية،وجحيم الحروب،وجفاف الأرواح والقلوب..[117]
وأمره وأمر أمته بالتأسِّي بملة ِإبراهيم فقال:{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (123) سورة النحل،وقال سبحانه:( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {4} رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {5} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُواللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوالْغَنِيُّ الْحَمِيدُ {6} ) [الممتحنة: 4].
فنتأسَّى بذلك إلى أن نلقَى الله،ونبرأُ من المشركين وأنصارهِم وأوليائهم،ونبغضُهُم ونبرأُ مما يعبدونَ من دون الله،ونبرأُ منَ الأشياءَ الباطلةِ المخالفةِ لدين اللهِ،ونظهرُ  عداوتَنا للمحادّينَ لله ورسوله منهم،المحاربينَ للحقِّ،المجاهرينَ بباطلهم،ولا يمنعُنا ذلك من دعوتهم وبيانِ الحقِّ لمن أرادَ سماعَه منهم،وتمنِّي هدايتهم،قال تعالى:{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوكَانُوا آبَاءهُمْ أَوأَبْنَاءهُمْ أَوإِخْوَانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {22}سورة المجادلة

---

[117] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3096]

إنها المفاصلة الكاملة بين حزب اللّه وحزب الشيطان،والانحياز النهائي للصف المتميز،والتجرد من كل عائق وكل جاذب،والارتباط في العروة الواحدة بالحبل الواحد.« لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»..فما جعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه،وما يجمع إنسان في قلب واحد ودّين:ودّا للّه ورسوله وودا لأعداء اللّه ورسوله! فإما إيمان أولا إيمان.أما هما معا فلا يجتمعان.
«وَلَوكانُوا آباءَهُمْ أَوأَبْناءَهُمْ أَوإِخْوانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ»..فروابط الدم والقرابة هذه تتقطع عند حد الإيمان.إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين:لواء اللّه ولواء الشيطان.والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب اللّه وحزب الشيطان.فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد.ولقد قتل أبوعبيدة أباه في يوم بدر.وهمَّ الصِّديقُ أبوبكر بقتل ولده عبد الرحمن.وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير.وقتل عمر وحمزة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم.متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة.وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان اللّه.
«أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ»..فهومثبت في قلوبهم بيد اللّه مكتوب في صدورهم بيمين الرحمن.فلا زوال له ولا اندثار،ولا انطماس فيه ولا غموض! «وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»..
وما يمكن أن يعزموا هذه العزمة إلا بروح من اللّه.وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمدهم بالقوة والإشراق،ويصلهم بمصدر القوة والإشراق.

«وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها»..جزاء ما تجردوا في الأرض من كل رابطة وآصرة ونفضوا عن قلوبهم كل عرض من أعراضها الفانية.
« رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»..وهذه صورة وضيئة راضية مطمئنة،ترسم حالة المؤمنين هؤلاء،في مقام عال رفيع.وفي جوراض وديع..ربهم راض عنهم وهم راضون عن ربهم.انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به فتقبّلهم في كنفه،وأفسح لهم في جنابه،وأشعرهم برضاه.فرضوا.رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه.
«أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ»..فهم جماعته.المتجمعة تحت لوائه.المتحركة بقيادته.المهتدية بهديه.المحققة لمنهجه.الفاعلة في الأرض ما قدره وقضاه.فهي قدر من قدر اللّه.
«أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».ومن يفلح إذن إذا لم يفلح أنصار اللّه المختارون؟
وهكذا تنقسم البشرية إلى **حزبين اثنين:حزب اللّه وحزب الشيطان.**وإلى رايتين اثنتين:راية الحق وراية الباطل.فإما أن يكون الفرد من حزب اللّه فهوواقف تحت راية الحق،وإما أن يكون من حزب الشيطان فهوواقف تحت راية الباطل..وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان!! لا نسب ولا صهر،ولا أهل ولا قرابة،ولا وطن ولا جنس،ولا عصبية ولا قومية..إنما هي العقيدة،والعقيدة وحدها.فمن انحاز إلى حزب اللّه ووقف تحت راية الحق فهووجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في اللّه.تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم،وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم،ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب اللّه،فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة.ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل،فلن تربطه بأحد من حزب اللّه رابطة.لا من أرض،ولا من جنس،ولا من وطن

ولا من لون،ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر..لقد أنبتت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبتت هذه الوشائج جميعا..
ومع إيحاء هذه الآية بأنه كان هناك في الجماعة المسلمة من تشده أواصر الدم والقرابة وجواذب المصلحة والصداقة،مما تعالجه هذه الآية في النفوس،وهي تضع ميزان الإيمان بهذا الحسم الجازم،والمفاضلة القاطعة..إلا أنها في الوقت ذاته ترسم صورة لطائفة كانت قائمة كذلك في الجماعة المسلمة،ممن تجردوا وخلصوا ووصلوا إلى ذلك المقام....
فالانقطاع للّه الذي يرعى هذه الأمة مثل هذه الرعاية هوالاستجابة الطبيعية.والمفاصلة بين حزب اللّه وحزب الشيطان هي الأمر الذي لا ينبغي غيره للأمة التي اختارها اللّه للدور الكوني الذي كلفها إياه.[118]
إن الوشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين،وتتعلق بآفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم.
إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الدم والنسب وليست وشيجة الأرض والوطن،وليست وشيجة القوم والعشيرة،وليست وشيجة اللون واللغة،وليست وشيجة الجنس والعنصر،وليست وشيجة الحرفة والطبقة..
إن هذه الوشائج جميعها قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد كما قال اللّه سبحانه وتعالى لعبده نوح - عليه السلام - وهويقول:«رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي»..«يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» ثم بين له لماذا يكون ابنه..ليس من أهله..«إنه عمل غير صالح»..إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح:« فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » فأنت

[118] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 4380]

تحسب أنه من أهلك،ولكن هذا الحسبان خاطئ.أما المعلوم المستيقن فهوأنه ليس من أهلك،ولوكان هوابنك من صلبك!
وهذا هوالمعلم الواضح البارز على مفرق الطريق بين نظرة هذا الدين إلى الوشائج والروابط،وبين نظرات الجاهلية المتفرقة..إن الجاهليات تجعل الرابطة آنا هي الدم والنسب وآنا هي الأرض والوطن،وآنا هي القوم والعشيرة،وآنا هي اللون واللغة،وآنا هي الجنس والعنصر،وآنا هي الحرفة والطبقة! تجعلها آنا هي المصالح المشتركة،أوالتاريخ المشترك.أوالمصير المشترك..وكلها تصورات جاهلية - على تفرقها أوتجمعها - تخالف مخالفة أصيلة عميقة عن أصل التصور الإسلامي! والمنهج الرباني القويم - ممثلا في هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم وفي توجيهات الرسول - - وهي من هذا القرآن وعلى نسقه واتجاهه - قد أخذ الأمة المسلمة بالتربية على ذلك الأصل الكبير..والمعلم الواضح البارز في مفرق الطريق..وهذا المثل الذي يضربه في هذه السورة من نوح وابنه فيما يكون بين الوالد والولد،ضرب أمثاله لشتى الوشائج والروابط الجاهلية الأخرى،ليقرر من وراء هذه الأمثال حقيقة الوشيجة الوحيدة التي يعتبرها..
ضرب لها المثل فيما يكون بين الولد والوالد وذلك فيما كان بين إبراهيم - عليه السلام - وأبيه وقومه كذلك:«وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ،إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا.إِذْ قالَ لِأَبِيهِ:يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً؟ يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ،فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا.يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ،إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا.يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا..قالَ:أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ؟ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ! وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا.قالَ:سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ

رَبِّي،إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا،وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي،عَسى أَلَّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا.فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنا نَبِيًّا وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا،وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا»...(مريم:41 - 50).
وضرب لها المثل فيما كان بين إبراهيم وذريته كما علمه اللّه سبحانه ولقنه،وهويعطيه عهده وميثاقه.
ويبشره ببقاء ذكره وامتداد الرسالة في عقبه:«وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ،فَأَتَمَّهُنَّ،قالَ:إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً،قالَ:وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قالَ:لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ..»
« وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ:رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ - مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ- قالَ:وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»..(البقرة:124 - 126) وضرب لها المثل فيما يكون بين الزوج وزوجه،وذلك فيما كان بين نوح وامرأته،ولوط وامرأته.
وفي الجانب الآخر ما كان بين امرأة فرعون وفرعون:«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ،كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ،فَخانَتاهُما،فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً،وَقِيلَ:ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ»...
«وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ،إِذْ قالَتْ:رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ،وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ،وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»...(التحريم: 10 - 11) وضرب لها المثل فيما يكون بين المؤمنين وأهلهم وقومهم ووطنهم وأرضهم وديارهم وأموالهم،ومصالحهم وماضيهم ومصيرهم.وذلك فيما كان بين إبراهيم والمؤمنين به مع قومهم.وما كان من الفتية أصحاب الكهف مع أهلهم وقومهم ودورهم وأرضهم...

«قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ،إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ:إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ،كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...»..(الممتحنة:4).
« أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً؟ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا:رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً،فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً.ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً.نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ،إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً،وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا:رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً.هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً.لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ! فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً؟ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ - إِلَّا اللَّهَ - فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ،وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً»...(الكهف:9 - 16).
وبهذه الأمثلة التي ضربها اللّه للأمة المسلمة من سيرة الرهط الكريم من الأنبياء والمؤمنين،الذين سبقوها في موكب الإيمان الضارب في شعاب الزمان،وضحت معالم الطريق لهذه الأمة وقام هذا المعلم البارز أمامها عن حقيقة الوشيجة التي يجب أن يقوم عليها المجتمع المسلم،ولا يقوم على سواها.وطالبها ربها بالاستقامة على الطريق في حسم ووضوح يتمثلان في مواقف كثيرة،وفي توجيهات من القرآن كثيرة،هذه نماذج منها..
« لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - وَلَوكانُوا آباءَهُمْ أَوأَبْناءَهُمْ أَوإِخْوانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ - أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ،وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ،أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ،أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»...(المجادلة:22) «يا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ،وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ،يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ،إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي،تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ،وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ»...(الممتحنة:1) «لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ،يَوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ،وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...إلخ»..(الممتحنة:3 - 4) «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ،وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»...(التوبة:23).« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ،بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ،وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ،إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»...(المائدة:51).

وهكذا تقررت تلك القاعدة الأصيلة الحاسمة في علاقات المجتمع الإسلامي وفي طبيعة بنائه وتكوينه العضوي الذي يتميز به عن سائر المجتمعات الجاهلية قديما وحديثا إلى آخر الزمان.ولم يعد هناك مجال للجمع بين «الإسلام» وبين إقامة المجتمع على أية قاعدة أخرى غير القاعدة التي اختارها اللّه للأمة المختارة.والذين يدَّعُون صفة الإسلام،ثم يقيمون مجتمعاتهم على قاعدة أوأكثر من تلك العلاقات الجاهلية التي أحل الإسلام محلها قاعدة العقيدة،إما أنهم لا يعرفون الإسلام وإما أنهم يرفضونه.والإسلام في كلتا الحالتين لا يعترف لهم بتلك الصفة التي يدعونها لأنفسهم وهم لا يطبقونها،بل يختارون غيرها من مقومات الجاهلية فعلا! وندع هذه القاعدة - وقد صارت واضحة تماما - لننظر في جوانب من حكمة اللّه في إقامة المجتمع الإسلامي على هذه القاعدة..

إن العقيدة تمثل أعلى خصائص «الإنسان» التي تفرقه من عالم البهيمة لأنها تتعلق بالعنصر الزائد في تركيبه وكينونته عن تركيب البهيمة وكينونتها - وهوالعنصر الروحي الذي به صار هذا المخلوق إنسانا في هذه الصورة - وحتى أشد الملحدين إلحادا وأكثر الماديين مادية،قد انتبهوا أخيرا إلى أن العقيدة خاصة من خواص الإنسان تفرقه فرقا أساسيا عن الحيوان[119].
ومن ثم ينبغي أن تكون العقيدة - في المجتمع الإنساني الذي يبلغ ذروة الحضارة الإنسانية - هي آصرة التجمع.لأنها العنصر الذي يتعلق بأخص خصائص الإنسان المميزة له عن البهائم.ولا تكون آصرة التجمع عنصرا يتعلق بشيء يشترك فيه الإنسان مع البهائم! من مثل الأرض والمرعى والمصالح والحدود التي تمثل خواص الحظيرة،وسياج الحظيرة! ولا تكون كذلك هي الدم والنسب والعشيرة والقوم والجنس والعنصر واللون واللغة..فكلها مما يشترك فيه الإنسان مع البهيمة.وليس هناك إلا شؤون العقل والقلب التي يختص بها الإنسان دون البهيمة!
كذلك تتعلق العقيدة بعنصر آخر يتميز به الإنسان عن البهائم..هوعنصر الاختيار والإرادة،فكل فرد على حدة يملك أن يختار عقيدته بمجرد أن يبلغ سن الرشد وبذلك يقرر نوع المجتمع الذي يريد أن يعيش فيه مختارا ونوع المنهج الاعتقادي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والخلقي الذي يريد - بكامل حريته - أن يتمذهب به ويعيش.
ولكن هذا الفرد لا يملك أن يقرر دمه ونسبه ولونه وقومه وجنسه.كما لا يملك أن يقرر الأرض التي يحب أن يولد فيها،ولغة الأم التي يريد أن ينشأ عليها..إلى آخر تلك المقومات التي تقام عليها مجتمعات الجاهلية!..

---
[119] - من هؤلاء جوليان هاكسلي من علماء الداروينية الحديثة! ( السيد رحمه الله )

إن هذه الأمور كلها يقضى فيها قبل مجيئه إلى هذه الأرض،ولا يؤخذ له فيها مشورة ولا رأي إنما هي تفرض عليه فرضا سواء أحب أم كره! فإذا تعلق مصيره في الدنيا والآخرة معا - أوحتى في الدنيا وحدها - بمثل هذه المقومات التي تفرض عليه فرضا لم يكن مختارا ولا مريدا وبذلك تسلب إنسانيته مقوما من أخص مقوماتها وتهدر قاعدة أساسية من قواعد تكريم الإنسان بل من قواعد تركيبه وتكوينه الإنساني المميز له من سائر الخلائق! ومن أجل المحافظة على خصائص الإنسان الذاتية،والمحافظة على الكرامة التي وهبها اللّه له متمشية مع تلك الخصائص يجعل الإسلام العقيدة - التي يملك كل فرد اختيارها بشخصه منذ أن يبلغ سن الرشد - هي الآصرة التي يقوم عليها التجمع الإنساني في المجتمع الإسلامي والتي يتقرر على أساسها مصير كل فرد بإرادته الذاتية.وينفي أن تكون تلك العوامل الاضطرارية،التي لا يدله فيها،ولا يملك كذلك تغييرها باختياره،هي آصرة التجمع التي تقرر مصيره طول حياته.

ومن شأن قيام المجتمع على آصرة العقيدة - وعدم قيامه على العوامل الاضطرارية الأخرى - أن ينشىء مجتمعا إنسانيا عالميا مفتوحا يجيء إليه الأفراد من شتى الأجناس والألوان واللغات والأقوام والدماء والأنساب والديار والأوطان بكامل حريتهم واختيارهم الذاتي لا يصدُّهم عنه صادٌّ[120]،ولا يقوم في وجوههم حاجز،ولا تقف دونه حدود مصطنعة،خارجة عن خصائص الإنسان العليا.وأن تصب في هذا المجتمع كل الطاقات والخواص البشرية،وتجتمع في صعيد واحد،لتنشئ «حضارة إنسانية» تنتفع بكل خصائص الأجناس البشرية

---

120 - صَادٌّ - ج:صُدَّادٌ.[ص د د].(فا.من صَدَّ)."صَادٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ" :مُعْرِضٌ،مُبْتَعِدٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ،لاَرَغْبَةَ لَهُ فِي شَيْءٍ.معجم الغني- عبد الغني أبو العزم [ص 16144]

ولا تغلق دون كفاية واحدة،بسبب من اللون أوالعنصر أوالنسب والأرض..

«ولقد كان من النتائج الواقعية الباهرة للمنهج الإسلامي في هذه القضية ولإقامة التجمع الإسلامي على آصرة العقيدة وحدها،دون أواصر الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح الأرضية القريبة،والحدود الإقليمية السخيفة!

ولإبراز «خصائص الإنسان» في هذا التجمع وتنميتها وإعلائها،دون الصفات المشتركة بينه وبين الحيوان..كان من النتائج الواقعية الباهرة لهذا المنهج أن أصبح المجتمع المسلم مجتمعا مفتوحا لجميع الأجناس والألوان واللغات،بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة! وأن صبَّت في بوتقة[121] المجتمع الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفاياتها،وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت،وأنشأت مركبا عضويا فائقا في فترة تعد نسبيا قصيرة.وصنعت هذه الكتلة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة،تحوي خلاصة الطاقة البشرية في زمانها مجتمعة،على بعد المسافات وبطء طرق الاتصال في ذلك الزمان.«لقد اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق:العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونيسي والإفريقي...إلى آخر الأقوام والأجناس..وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية.ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوما ما «عربية» إنما كانت دائما «إسلامية» ولم تكن يوما ما «قومية» إنما كانت دائما «عقدية ».

---

[121] - بُوتَقَةٌ - ج:ـات،بَواتقُ.1." حُمِيَتِ الْمَادَّةُ فِي البُوتَقَةِ" :الوِعَاءُ المُسْتَعْمَلُ لِتَسْخِينِ الْمَوَادِّ تَسْخِيناً شَدِيداً.2." أَفْرَغَ الصَّائِغُ مَادَّةً مَعْدِنِيَّةً فِي البُوتَقَةِ" :وِعَاءٌ عَلَى شَكْلٍ مَخْرُوطٍ تُذَابُ فِيهِ الْمَعَادِنُ وَتُصْهَرُ.معجم الغني- عبد الغني أبو العزم [ص 4938]

«ولقد اجتمعوا كلهم على قدم المساواة،وبآصرة الحب.وبشعور التطلع إلى وجهة واحدة.فبذلوا جميعا أقصى كفاياتهم،وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم،وصبوا خلاصة تجاربهم الشخصية والقومية والتاريخية في بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعا على قدم المساواة،وتجمع فيه بينهم آصرة تتعلق بربهم الواحد،وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق.وهذا ما لم يجتمع قط لأي تجمع آخر على مدار التاريخ!
«لقد كان أشهر تجمع بشري في التاريخ القديم هوتجمع الإمبراطورية الرومانية مثلا.فقد جمعت بالفعل أجناسا متعددة،ولغات متعددة،وألوانا متعددة،وأمزجة متعددة.ولكن هذا كله لم يقم على «آصرة إنسانية» ولم يتمثل في قيمة عليا كالعقيدة..لقد كان هناك تجمع طبقي على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد في الإمبراطورية كلها من ناحية وتجمع عنصري على أساس سيادة الجنس الروماني - بصفة عامة - وعبودية سائر الأجناس الأخرى.ومن ثم لم يرتفع قط إلى أفق التجمع الإسلامي ولم يؤت الثمار التي آتاها التجمع الإسلامي.
« كذلك قامت في التاريخ الحديث تجمعات أخرى..تجمع الإمبراطورية البريطانية مثلا..ولكنه كان كالتجمع الروماني،الذي هووريثه! تجمعا قوميا استغلاليا،يقوم على أساس سيادة القومية الإنجليزية،واستغلال المستعمرات التي تضمها الإمبراطورية..ومثله الإمبراطوريات الأوربية كلها..الإمبراطورية الأسبانية والبرتغالية في وقت ما،والإمبراطورية الفرنسية..كلها في ذلك المستوي الهابط البشع المقيت! وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمعا من نوع آخر،يتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون.
ولكنها لم تقمه على قاعدة «إنسانية» عامة،إنما أقامته على القاعدة «الطبقية».فكان هذا التجمع هوالوجه

الآخر للتجمع الروماني القديم..هذا تجمع على قاعدة طبقة «الأشراف» وذلك تجمع على قاعدة طبقة «الصعاليك» (البروليتريا) والعاطفة التي تسوده هي عاطفة الحقد الأسود على سائر الطبقات الأخرى! وما كان لمثل هذا التجمع الصغير البغيض أن يثمر إلا أسوأ ما في الكائن الإنساني..فهوابتداء قائم على أساس إبراز الصفات الحيوانية وحدها وتنميتها وتمكينها.باعتبار أن «المطالب الأساسية» للإنسان هي «الطعام والمسكن والجنس» - وهي مطالب الحيوان الأولية - وباعتبار أن تاريخ الإنسان هوتاريخ البحث عن الطعام!!

«لقد تفرد الإسلام بمنهجه الرباني في إبراز أخص خصائص الإنسان وتنميتها وإعلائها في بناء المجتمع الإنساني..وما يزال متفردا..والذين يعدلون عنه إلى أي منهج آخر،يقوم على أية قاعدة أخرى،من القوم أوالجنس أوالأرض أوالطبقة..إلى آخر هذا النتن السخيف،هم أعداء «الإنسان» حقا! هم الذين لا يريدون لهذا الإنسان أن يتفرد في هذا الكون بخصائصه العليا كما فطره اللّه ولا يريدون لمجتمعه أن ينتفع بأقصى كفايات أجناسه وخصائصها وتجاربها في امتزاج وتناسق ..»[122]

ويحسن أن نذكر أن أعداء هذا الدين،الذين يعرفون مواضع القوة في طبيعته وحركته وهم الذين يقول اللّه تعالى فيهم:«الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ»..لم يفتهم أن يدركوا أن التجمع على أساس العقيدة سر من أسرار قوة هذا الدين،وقوة المجتمع الإسلامي الذي يقوم على هذا الأساس..

ولما كانوا بصدد هدم ذلك المجتمع أوإضعافه إلى الحد الذي يسهل عليهم السيطرة عليه وشفاء ما في صدورهم من هذا الدين وأهله ولاستغلالهم كذلك واستغلال مقدراتهم وديارهم وأموالهم..لما كانوا بصدد

---

[122] - مقتطفات من فصل:«نشأة المجتمع المسلم وخصائصه» من كتاب:«معالم في الطريق».«دار الشروق».( السيد رحمه الله )

تلك المعركة مع هذا المجتمع لم يفتهم أن يوهنوا من القاعدة التي يقوم عليها وأن يقيموا لأهله المجتمعين على إله واحد،أصناما تعبد من دون اللّه،اسمها تارة «الوطن» واسمها تارة «القوم» واسمها تارة «الجنس».
وظهرت هذه الأصنام على مراحل التاريخ تارة باسم «الشعوبية» وتارة باسم «الجنسية الطورانية» وتارة باسم «القومية العربية» وتارة بأسماء شتى،تحملها جبهات شتى،تتصارع فيما بينها في داخل المجتمع الإسلامي الواحد القائم على أساس العقيدة،المنظم بأحكام الشريعة...إلى أن وهنت القاعدة الأساسية تحت المطارق المتوالية،وتحت الإيحاءات الخبيثة المسمومة وإلى أن أصبحت تلك «الأصنام» مقدسات يعتبر المنكر لها خارجا على دين قومه! أوخائنا لمصالح بلده!!!
وأخبث المعسكرات التي عملت وما زالت تعمل في تخريب القاعدة الصلبة التي كان يقوم عليها التجمع الإسلامي الفريد في التاريخ..كان هوالمعسكر اليهودي الخبيث،الذي جرب سلاح «القومية» في تحطيم التجمع المسيحي،وتحويله إلى قوميات سياسية ذات كنائس قومية..وبذلك حطموا الحصار المسيحي حول الجنس اليهودي ثم ثنوا بتحطيم الحصار الإسلامي حول ذلك الجنس الكنود! وكذلك فعل الصليبيون مع المجتمع الإسلامي - بعد جهد قرون كثيرة في إثارة النعرات الجنسية والقومية والوطنية بين الأجناس الملتحمة في المجتمع الإسلامي..ومن ثم استطاعوا أن يرضوا أحقادهم الصليبية القديمة على هذا الدين وأهله.كما استطاعوا أن يمزقوهم ويروضوهم على الاستعمار الأوربي الصليبي.وما يزالون.
حتى يأذن اللّه بتحطيم تلك الأصنام الخبيثة الملعونة ليقوم التجمع الإسلامي من جديد،على أساسه المتين الفريد..

وأخيرا فإن الناس ما كانوا ليخرجوا من الجاهلية الوثنية بكلياتهم حتى تكون العقيدة وحدها هي قاعدة تجمعهم.ذلك أن الدينونة للّه وحده لا تتم تمامها إلا بقيام هذه القاعدة في تصورهم وفي تجمعهم.
يجب أن تكون هناك قداسة واحدة لمقدس واحد،وألا تتعدد «المقدسات»! ويجب أن يكون هناك شعار واحد،وألا تتعدد «الشعارات» ويجب أن تكون هناك قبلة واحدة يتجه إليها الناس بكلياتهم وألا تتعدد القبلات والمتجهات..
إن الوثنية ليست صورة واحدة هي وثنية الأصنام الحجرية والآلهة الأسطورية! إن الوثنية يمكن أن تتمثل في صور شتى كما أن الأصنام يمكن أن تتخذ صورا متعددة وآلهة الأساطير يمكن أن تتمثل مرة أخرى في المقدسات والمعبودات من دون اللّه أيا كانت أسماؤها.وأيا كانت مراسمها.
وما كان الإسلام ليخلص الناس من الأصنام الحجرية والأرباب الأسطورية،ثم يرضى لهم بعد ذلك أصنام الجنسيات والقوميات والأوطان..وما إليها..يتقاتل الناس تحت راياتها وشعاراتها.وهويدعوهم إلى اللّه وحده،وإلى الدينونة له دون شيء من خلقه!
لذلك قسم الإسلام الناس إلى أمتين اثنتين على مدار التاريخ البشري..أمة المسلمين من أتباع الرسل - كل في زمانه حتى يأتي الرسول الأخير إلى الناس كافة - وأمة غير المسلمين من عبدة الطواغيت والأصنام في شتى الصور والأشكال على مدار القرون..
وعند ما أراد اللّه أن يعرف المسلمين بأمتهم التي تجمعهم على مدار القرون،عرفها لهم في صورة أتباع الرسل - كل في زمانه - وقال لهم في نهاية استعراض أجيال هذه الأمة:«إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»..ولم يقل للعرب:إن أمتكم هي الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها سواء! ولا قال لليهود:إن أمتكم

هي بنوإسرائيل أوالعبرانيون في جاهليتهم وإسلامهم سواء! ولا قال لسلمان الفارسي:إن أمتك هي فارس! ولا لصهيب الرومي:إن أمتك هي الرومان! ولا لبلال الحبشي:إن أمتك هي الحبشة! إنما قال للمسلمين من العرب والفرس والروم والحبش:إن أمتكم هي المسلمون الذين أسلموا حقا على أيام موسى وهارون،وإبراهيم،ولوط،ونوح،وداود وسليمان،وأيوب،وإسماعيل وإدريس وذي الكفل وذي النون،وزكريا ويحيى،ومريم..كما جاء في سورة الأنبياء: (آيات:48 - 91).

هذه هي أمة «المسلمين» في تعريف اللّه سبحانه..فمن شاء له طريقا غير طريق اللّه فليسلكه.ولكن ليقل:إنه ليس من المسلمين!

أما نحن الذين أسلمنا للّه،فلا نعرف لنا أمة إلا الأمة التي عرفها لنا اللّه.واللّه يقص الحق وهوخير الفاصلين..[123]

===============

**وأنَّ الله تعالى أرسلهم لإقامة الحجة على البشر :**

قال تعالى:{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:165]

يَقُولُ تَعَالَى:إنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ،وَاتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بِالخَيْرَاتِ وَحُسْنِ الثَّوَابِ،وَيُنْذِرُونَ،بِالعِقَابِ وَالعَذَابِ،مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ،وَكَذَّبَ رُسُلَهُ،وَذَلِكَ لِكَيْلا يَبْقَى لِمُعْتَذِرٍ عُذْرٌ،بَعْدَ أنْ أوْضَحَتِ الرُّسُلُ لِلْنَّاسِ أوَامِرَ اللهِ وَنَوَاهِيهِ،وَالجَزَاءُ لاَ يَكُونُ إلاَّ لِمَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ.وَكَانَ اللهُ عَزِيزَ الجَانِبِ لا يُضَامُ،حَكِيماً فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.[124]

---

[123] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2512]

[124] - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص 658]

إن مصائر البشرية كلها في الدنيا وفي الآخرة سواء،منوطة بالرسل وبأتباعهم من بعدهم.فعلى أساس تبليغهم هذا الأمر للبشر،تقوم سعادة هؤلاء البشر أوشقوتهم،ويترتب ثوابهم أوعقابهم..في الدنيا والآخرة.
إنه أمر هائل عظيم..ولكنه كذلك..ومن ثم كان الرسل - صلوات اللّه عليهم - يحسون بجسامة ما يكلفون.وكان اللّه - سبحانه - يبصرهم بحقيقة العبء الذي ينوطه بهم..وهذا هوالذي يقول اللّه عنه لنبيه:«إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»..ويعلمه كيف يتهيأ له ويستعد:«يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.نِصْفَهُ أَوانْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا.أَوزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا..إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»..«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا.فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوكَفُوراً.وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا»..وهذا هوالذي يشعر به نبيه -  - وهويأمره أن يقول وأن يستشعر حقيقة ما يقول:«قُلْ:إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ،وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً..إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسالاتِهِ»..« عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً،إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ،فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً..لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ.وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً»..
إنه الأمر الهائل العظيم..أمر رقاب الناس..أمر حياتهم ومماتهم..أمر سعادتهم وشقائهم..أمر ثوابهم وعقابهم..أمر هذه البشرية،التي إما أن تبلغ إليها الرسالة فتقبلها وتتبعها فتسعد في الدنيا والآخرة.وإما أن تبلغ إليها فترفضها وتنبذها فتشقى في الدنيا والآخرة.وإما ألا تبلغ إليها فتكون لها حجة على ربها،وتكون تبعة شقائها في الدنيا وضلالها معلقة بعنق من كلف التبليغ فلم يبلغ! فأما رسل اللّه - عليهم الصلاة والسلام - فقد أدوا الأمانة وبلغوا

الرسالة،ومضوا إلى ربهم خالصين من هذا الالتزام الثقيل..وهم لم يبلغوها دعوة باللسان،ولكن بلغوها - مع هذا - قدوة ممثلة في العمل،وجهادا مضنيا بالليل والنهار لإزالة العقبات والعوائق..سواء كانت هذه العقبات والعوائق شبهات تحاك،وضلالات تزين،أوكانت قوى طاغية تصد الناس عن الدعوة وتفتنهم في الدين.كما صنع رسول اللّه - ﷺ - خاتم النبيين.بما أنه المبلغ الأخير.وبما أن رسالته هي خاتمة الرسالات.فلم يكتف بإزالة العوائق باللسان.إنما أزالها كذلك بالسِّنان[125] «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ»..
وبقي الواجب الثقيل على من بعده..على المؤمنين برسالته..فهناك أجيال وراء أجيال جاءت وتجيء بعده - ﷺ - وتبليغ هذه الأجيال منوط - بعده - بأتباعه.ولا فكاك لهم من التبعة الثقيلة - تبعة إقامة حجة اللّه على الناس وتبعة استنقاذ الناس من عذاب الآخرة وشقوة الدنيا - إلا بالتبليغ والأداء..على ذات المنهج الذي بلغ به رسول اللّه - ﷺ - وأدى..فالرسالة هي الرسالة والناس هم الناس..
وهناك ضلالات وأهواء وشبهات وشهوات..وهناك قوى عاتية طاغية تقوم دون الناس ودون الدعوة وتفتنهم كذلك عن دينهم بالتضليل وبالقوة..الموقف هوالموقف والعقبات هي العقبات،والناس هم الناس.
ولا بد من بلاغ،ولا بد من أداء.بلاغ بالبيان.وبلاغ بالعمل حتى يكون المبلغون ترجمة حية واقعة مما يبلغون.وبلاغ بإزالة العقبات التي تعترض طريق الدعوة وتفتن الناس بالباطل وبالقوة..وإلا فلا بلاغ ولا أداء..
إنه الأمر المفروض الذي لا حيلة في النكوص عن حمله..وإلا فهي التبعة الثقيلة.تبعة ضلال البشرية كلها وشقوتها في هذه الدنيا،وعدم قيام حجة اللّه عليها في الآخرة! وحمل التبعة في هذا كله،وعدم النجاة من

[125] - سِنَانٌ - ج:أسِنَّةٌ."عَلَى أسِنَّةِ الرِّمَاحِ" :عَلَى نِصَالِهَا.معجم الغني- عبد الغني أبو العزم [ص 15122] والمقصود أزالها بالسيف أي بالقوة

النار..فمن ذا الذي يستهين بهذه التبعة؟ وهي تبعة تقصم الظهر وترعد الفرائص وتهز المفاصل؟!
إن الذي يقول:إنه «مسلم» إما أن يبلغ ويؤدي هكذا.وإلا فلا نجاة له في دنيا ولا في أخرى..إنه حين يقول:إنه «مسلم» ثم لا يبلغ ولا يؤدي..كل ألوان البلاغ والأداء هذه،إنما يؤدي شهادة ضد الإسلام الذي يدعيه! بدلا من أداء شهادة له،تحقق فيه قوله تعالى:«وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» .
وتبدأ شهادته للإسلام،من أن يكون هوبذاته.ثم ببيته وعائلته.ثم بأسرته وعشيرته،صورة واقعية من الإسلام الذي يدعوإليه..وتخطوشهادته الخطوة الثانية بقيامة بدعوة الامة - بعد دعوة البيت والأسرة والعشيرة - إلى تحقيق الإسلام في حياتها كلها..الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية..وتنتهي شهادته بالجهاد لإزالة العوائق التي تضل الناس وتفتنهم من أي لون كانت هذه العوائق..فإذ استشهد في هذا فهوإذن «شهيد» أدى شهادته لدينه،ومضى إلى ربه..وهذا وحده هو«الشهيد».وفي نهاية المطاف نقف وقفة خاشعة أمام جلال اللّه وعظمته ممثلة في علمه،وعدله،ورعايته،وفضله،ورحمته وبره..بهذا الكائن الإنساني الذي يجحد ويطغى.
نقف أمام عظمة العلم بهذا الكائن وما أودعه من القوى والطاقات وما ركب في كينونته من استعدادات الهدى والضلال.وما رتبه على هذا العلم حين لم يكله إلى عقله وحده..على عظمة هذه الأداة التي وهبها له وعلى كثرة ما في الأنفس والآفاق من دلائل الهدى وموجبات الإيمان..فلقد علم اللّه أن هذه الأداة العظيمة تنوشها الشهوات والنزوات وأن الدلائل المبثوثة في تضاعيف الكون وأطواء النفس قد يحجبها الغرض والهوى،ويحجبها الجهل والقصور..ومن ثم لم يكل إلى

العقل البشري تبعة الهدى والضلال - إلا بعد الرسالة والبيان - ولم يكل إليه بعد البيان والاهتداء وضع منهج الحياة،إنما وكل إليه تطبيق منهج الحياة الذي يقرره له اللّه..ثم ترك له ما وراء ذلك - وهوملك عريض - يبدع فيه ما شاء،ويغير فيه ما شاء،ويركب فيه ما شاء،ويحلل فيه ما شاء.منتفعا بتسخير اللّه لهذا الملك كله لهذا الإنسان وهوالذي يخطىء عقله ويصيب،وتعثر قدمه وتستقيم على الطريق!
ونقف أمام عظمة العدل الذي يرتب للناس حجة على اللّه - سبحانه - لولم يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين.هذا مع احتشاد كتاب الكون المفتوح،وكتاب النفس المكنون بالآيات الشواهد على الخالق،ووحدانيته،وتدبيره وتقديره،وقدرته وعلمه..ومع امتلاء الفطرة بالأشواق والهواتف إلى الاتصال ببارئها والإذعان له،والتناسق والتجاوب والتجاذب بينها وبين دلائل وجود الخالق في الكون والنفس..ومع هبة العقل الذي يملك أن يحصي الشواهد ويستنبط النتائج..ولكن اللّه - سبحانه - بما يعلم من عوامل الضعف التي تطرأ على هذه القوى كلها،فتعطلها،أوتفسدها،أوتطمسها،أوتدخل في حكمها الخطأ والشطط،قد أعفى الناس من حجية الكون،وحجية الفطرة،وحجية العقل،ما لم يرسل إليهم الرسل ليستنقذوا هذه الأجهزة كلها مما قد يرين عليها،وليضبطوا بموازين الحق الإلهي الممثل في الرسالة هذه الأجهزة،فتصح أحكامها حين تستقيم على ضوابط المنهج الإلهي..وعندئذ فقط يلزمها الإقرار والطاعة والاتباع أوتسقط حجتها وتستحق العقاب..
ونقف أمام عظمة الرعاية والفضل والرحمة والبر بهذا المخلوق الذي يكرمه اللّه ويختاره،على ما يعلم به من ضعف ونقص فيكل إليه هذا الملك العريض..خلافة الأرض..وهوبالقياس إليه ملك عريض! وإن كان في

ملك اللّه ذرة تمسكها يد اللّه فلا تضيع في ملكه الكبير!
ثم تشاء رعايته وفضله ورحمته وبره،ألا تدعه لما أودع في كينونته من فطرة هادية ولكنها تطمس ومن عقل هاد ولكنه يضل بل يتفضل عليه ربه فيرسل إليه الرسل تترى..وهويكذب ويعاند ويشرد وينأى فلا يأخذه ربه بأخطائه وخطاياه ولا يحبس عنه بره وعطاياه،ولا يحرمه هداه على أيدي رسله الهداة..
ثم لا يأخذه بالعقاب في الدنيا أوفي الآخرة حتى تبلغه الرسل فيعرض ويكفر،ويموت وهوكافر لا يتوب ولا ينيب..
ومن عجب أن يأتي على هذا الإنسان زمان يزعم لنفسه أنه استغنى عن ربه..استغنى عن رعايته وفضله ورحمته وبره..استغنى عن هدايته ودينه
ورسله..استغنى بالأداة التي علم ربه أنها لا تغنيه - ما لم تقوّم بمنهج اللّه - فلم يكتب عليه عقابا إلا بعد الرسالة والبيان..فيتمثل لنا الطفل الذي يحس ببعض القوة في ساقيه فيروح يبعد عنه اليد التي تسنده،ليتكفأ ويتعثر! غير أن الطفل في هذا المثال أرشد وأطوع للفطرة.إذ أنه بمحاولة الاستقلال عن اليد التي تسنده يجيب داعي الفطرة في استحثاث طاقات كامنة في كيانه وإنماء قدرات ممكنة النماء وتدريب عضلات وأعصاب تنمووتقوى بالتدريب..أما إنسان اليوم الذي يبعد عنه يد اللّه،ويتنكب هداه،فإن كينونته - بكل ما يكمن فيها من قوى - يعلم اللّه أنها لا تشتمل على قوة مكنونة تملك الاستغناء عن يد اللّه وهداه.وقصارى ما في قواه أنها ترشد وتضبط وتستقيم برسالة اللّه.وتضل وتختل وتضطرب إذا هي استقلت بنفسها،وتنكبت هداه! وخطأ وضلال - إن لم يكن هوالخداع والتضليل - كل زعم يقول:إن العقول الكبيرة كانت حرية أن تبلغ بدون الرسالة ما بلغته بالرسالة..فالعقل ينضبط - مع الرسالة - بمنهج النظر الصحيح فإذا أخطأ بعد ذلك في

التطبيق كان خطؤه كخطأ الساعة التي تضبط،ثم تغلبها عوامل الجووالمؤثرات،وطبيعة معدنها الذي يتأثر بهذه المؤثرات،لا كخطأ الساعة التي لم تضبط أصلا،وتركت للفوضى والمصادفة! وشتان شتان! وآية أن ما يتم بالرسالة - عن طريق العقل نفسه - لا يمكن أن يتم بغيرها فلا يغني العقل البشري عنها..
أن تاريخ البشرية لم يسجل أن عقلا واحدا من العقول الكبيرة النادرة اهتدى إلى مثل ما اهتدت إليه العقول العادية المتوسطة بالرسالة..لا في تصور اعتقادي ولا في خلق نفسي،ولا في نظام حياة،ولا في تشريع واحد لهذا النظام..
إن عقول أفلاطون وأرسطومن العقول الكبيرة قطعا..بل إنهم ليقولون:إن عقل أرسطوهوأكبر عقل عرفته البشرية - بعيدا عن رسالة اللّه وهداه - فإذا نحن راجعنا تصوره لإلهه - كما وصفه - رأينا المسافة الهائلة التي تفصله عن تصور المسلم العادي لإلهه مهتديا بهدى الرسالة.
وقد وصل أخناتون - في مصر القديمة - إلى عقيدة التوحيد - وحتى مع استبعاد تأثره في هذا بإشعاع عقيدة التوحيد في رسالة إبراهيم ورسالة يوسف - فإن الفجوات والأساطير التي في عقيدة أخناتون تجعل المسافة بينها وبين توحيد المسلم العادي لإلهه بعيدة بعيدة.
وفي الخلق نجد في الفترة التي هيمن فيها الإسلام في صدر الإسلام نماذج للأوساط ممن رباهم الرسول -  - لا تتطاول إليها أعناق الأفذاذ على مدار التاريخ ممن لم تخرجهم رسالة سماوية.
وفي المبادئ والنظم والتشريعات لا نجد أبدا ذلك التناسق والتوازن،مع السمووالرفعة التي نجدها في نظام الإسلام ومبادئه وتشريعاته.ولا نجد أبدا ذلك المجتمع الذي أنشأه الإسلام يتكرر لا في زمانه ولا قبل

زمانه ولا بعد زمانه في أرض أخرى،بتوازنه وتناسقه ويسر حياته وتناغمها..
إنه ليس المستوى الحضاري المادي هوالذي يكون عليه الحكم.فالحضارة المادية تنموبنمووسائلها التي ينشئها «العلم» الصاعد..ولكن ميزان الحياة في فترة من الفترات هوالتناسق والتوازن بين جميع أجزائها وأجهزتها وأوضاعها..هوالتوازن الذي ينشىء السعادة والطمأنينة،والذي يطلق الطاقات الإنسانية كلها لتعمل دون كبت ودون مغالاة في جانب من جوانبها الكثيرة..والفترة التي عاشت بالإسلام كاملا لم تبلغها البشرية - بعيدا عن الرسالة - في أي عصر..والخلخلة وعدم الاتزان هوالطابع الدائم للحياة في غير ظل الإسلام مهما التمعت بعض الجوانب ومهما تضخمت بعض الجوانب.فإنما تلتمع لتنطفئ جوانب أخرى.وإنما تتضخم على حساب الجوانب الأخرى..والبشرية معها تتأرجح وتحتار وتشقى ".[126]
إن هذا العقل الذي وهبه اللّه للإنسان قادر على تلقي ذلك الوحي،وإدراك مدلولاته..وهذه وظيفته..ثم هذه هي فرصته في النور والهداية وفي الانضباط بهذا الضابط الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
فأما حين يستقل هذا العقل البشري بنفسه بعيدا عن الوحي،فإنه يتعرض حينئذ للضلال والانحراف،وسوء الرؤية،ونقص الرؤية،وسوء التقدير،وسوء التدبير.
يتعرض لهذا كله بسبب طبيعة تركيبه ذاتها في رؤية الوجود أجزاء لا كلًّا واحداً.تجربة بعد تجربة،وحادثة بعد حادثة،وصورة بعد صورة..حيث يتعذر عليه أن يرى الوجود جملة،ليقيم على أساس هذه الرؤية الكاملة أحكاما،ويضع على أساسها نظاما،ملحوظا فيه الشمول والتوازن..ومن ثم يظل - حين ينعزل عن منهج اللّه

---
[126] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1178]

وهداه - يرتاد التجارب،ويغير الأحكام،ويبدل النظام،ويضطرب بين الفعل وردود الفعل،ويتخبط من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال..وهوفي ذلك كله يحطم كائنات بشرية عزيزة،وأجهزة إنسانية كريمة..ولواتبع الوحي لكفى البشر هذا الشر كله وجعل التجارب والتقلبات في «الأشياء» وفي «المادة» وفي «الأجهزة» وفي «الآلات»..وهي مجاله الطبيعي الذي يمكن أن يستقل فيه.والخسارة في النهاية مواد وأشياء.لا أنفس وأرواح! ويتعرض لهذا كله - بعد طبيعة تركيبه - بسبب ما ركب في الكيان البشري من شهوات وأهواء ونزعات،لا بد لها من ضابط،يضمن أن تؤدي وظائفها في استمرار حياة البشرية وارتقائها،ولا تتعدى هذا الحد المأمون فتؤدي إلى تدمير الحياة أوانتكاسها! وهذا الضابط لا يمكن أن يكون هوالعقل البشري وحده فلا بد لهذا العقل الذي يضطرب تحت ضغط الأهواء والشهوات والنزعات - وهي شتى - من ضابط آخر يضبطه هوذاته ويحرسه بعد أن يضبطه من الخلل أيضا،ويرجع إليه هذا العقل بكل تجربة،وكل حكم - في مجال الحياة البشرية - ليقوّم به تجربته وحكمه،وليضبط به اتجاهه وحركته.والذين يزعمون للعقل البشري درجة من الأصالة في الصواب كدرجة الوحي،باعتبار أن كليهما - العقل والوحي - من صنع اللّه فلا بد أن يتطابقا..هؤلاء إنما يستندون إلى تقريرات عن قيمة العقل قال بها بعض الفلاسفة من البشر،ولم يقل بها اللّه سبحانه! والذين يرون أن هذا العقل يغني عن الوحي - حتى عند فرد واحد من البشر مهما بلغ عقله من الكبر - إنما يقولون في هذه القضية غير ما يقول اللّه..فاللّه قد جعل حجته على الناس هي الوحي والرسالة،ولم يجعل هذه الحجة هي عقلهم البشري،ولا حتى فطرتهم التي فطرهم اللّه عليها من معرفة ربها الواحد والإيمان به.

لأن اللّه سبحانه يعلم أن العقل وحده يضل،وأن الفطرة وحدها تنحرف.وأنه لا عاصم لعقل ولا لفطرة،إلا أن يكون الوحي هوالرائد الهادي،وهوالنور والبصيرة والذين يزعمون أن الفلسفة تغني العقل عن الدين أوأن العلم - وهومن منتجات العقل - يغني البشرية عن هدى اللّه إنما يقولون قولا لا سند له من الحقيقة ولا من الواقع كذلك..فالواقع يشهد أن الحياة البشرية التي قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أوعلى العلم،هي أبأس حياة يشقى فيها «الإنسان» مهما فتحت عليه أبواب كل شيء ومهما تضاعف الإنتاج والإيراد ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق..وليس مقابل هذا أن تقوم الحياة على الجهل والتلقائية! فالذين يضعون المسألة هكذا مغرضون! فإن الإسلام منهج حياة يكفل للعقل البشري الضمانات التي تقيه عيوب تركيبه الذاتي،وعيوب الضغوط التي تقع عليه من الأهواء والشهوات والنزعات.ثم يقيم له الأسس،ويضع له القواعد،التي تكفل استقامته في انطلاقه للعلم والمعرفة والتجربة كما تكفل له استقامة الحياة الواقعية التي يعيش في ظلها - وفق شريعة اللّه - فلا يضغط عليه الواقع لينحرف بتصوراته ومناهجه كذلك! [127]

□□□□□□□□□□□□

[127] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1519]

# ثمراتُ الإيمان بالرسل

1- معرفةُ الله تعالى المعرفةَ الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم السلام.
2- بيانُ عظيمِ عناية الله تعالى بعبادهِ حيث أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يبينون لهم آياتهِ وشريعتهِ،ويبشرونهم بجزيل الثواب لمن آمنَ بهم،وينذرون من كفرَ بهم سوءَ العقاب.
3- تحقيق ُالرغبات والنزعاتِ البشرية في معرفة ما لا يستطيعُ العقل البشريُّ الوصولَ إليه بمجرده
4- بيانُ إمكان بلوغِ البشر درجاتٍ عاليةٍ في القرب من الله تعالى بالطاعة،لأن المرسلينَ إليهم هم من جنسهم،قال الله تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يبينَ ذلك للناس :(( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {6} فصلت)).
5- محبةُ الرسل،والثناءُ والصلاةُ والسلامُ عليهم،والدعاءُ لهم على ما تحمَّلوه من أذى أقوامِهم،وما صبروا عليه من مشقات الدعوة،والإقتداءُ والتأسِّي بهم في ذلك،ومتابعتُهم على نهجهم وسنتهم،وسيرتهم ودعوتهم إلى الله قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً {21} الأحزاب
6- ونحبُّ بحبِّ رسول الله ﷺ وآلَ بيته الأطهار،وأصحابَه وأتباعَه وأنصارَه إلى يوم الدين،ونتولاهم ولا نبرأُ من أحدٍ منهم،بل نبغضُ من يبغضُهم،وبغير الخير يذكرهُم،فلا نذكرهُم إلا بخيرٍ،وحبُّهم عندنا دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ نتقربُ به إلى الله تعالى.قال تعالى:
{ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {100} التوبة.

ونتميزُ عن أهل البدع بسلامةِ قلوبِنا وألسنتنا لهم،ولا نملُّ من أن ندعوبقوله تعالى:( رَبَّنَا اغْفِـرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ ) [الحشر:10].

7-ونُمسكُ عمّا شجرَ بين أصحابِ النبي ،فهم في ذلك بينَ مجتهدٍ مصيبٍ ومجتهدٍ مخطئٍ،فلبعضهم أجرٌ ولبعضهم أجرانِ،رضوان الله عليهم أجمعين.

8-وهم مع ذلك ليسوا بمعصومينَ،ولكنَّهم كما أخبر النبي  خيرُ القرون،والمُدّ من أحدهم إذا تصدّقَ به خيرٌ من مثل جبلِ أحدٍ ذهباً ممن بعدهم.فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ:" خَيْرُكُمْ قَرْنِي،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قَالَ عِمْرَانُ:فَمَا أَدْرِي:قَالَ النَّبِيُّ  بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ،وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ،وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ،وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ " ( أخرجه البخاري)[128].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ:«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ،وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ» (أخرجه البخاري)[129].

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ  أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ:«الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ،ثُمَّ الثَّانِي،ثُمَّ الثَّالِثُ» ( أخرجه مسلم )[130].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ :«لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي،فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ،ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ،وَلاَ نَصِيفَهُ»( أخرجه الشيخان )[131].

---

128 - [صحيح البخاري 8/ 91]( 6428 )

129 - [صحيح البخاري 8/ 91](6429 )

130 - [صحيح مسلم 4/ 1965]216 - (2536) وهذا الحديث متواتر

9-ونحبُّ أنصارَ الدين في كلِّ زمانٍ إلى قيامِ الساعة،القريبَ منهم والبعيدَ،من عرفنا منهم ومن لم نعرفْ،ولا يضرُّهم ألا نعرفهم.ولا نبرأُ من أحدٍ منهم أونعاديهِ أونعاملُه معاملةَ غيرِ المسلمين،بلْ نتولَّاهم وندعولهم وننصرهُم ونجتهدُ أن نكون منهم.فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ:«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ،حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» ( أخرجه البخاري ومسلم )[132].

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ :" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ،وَتَرَاحُمِهِمْ،وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" ( أخرجه مسلم) [133].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ :" يَا عَبْدَ اللهِ،أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ " قَالَ:قُلْتُ:اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:" الْوَلَايَةُ فِي اللهِ،الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ،يَا عَبْدَ اللهِ،أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ " قُلْتُ:اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:" فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ،وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ،وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى سِتَّةٍ "[134].

---

[131] - [صحيح البخاري 5/ 8] (3673 ) و[صحيح مسلم 4/ 1967]222 - (2541)

[ (ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) المراد أن القليل الذي أنفقه أحدهم أكثر ثوابا من الكثير الذي ينفقه غيرهم وسبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم ولأنه كان في نصرته وحمايته غالبا ومثل إنفاقهم في مزيد الفضل وكثير الأجر باقي أعمالهم من جهاد وغيره لأنهم الرعيل الأول الذي شق طريق الحق والهداية والخير فكان لهم فضل السبق الذي لا يدانيه فضل إلى جانب شرف صحبتهم رسول الله  وبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعا عن رسول الله  ونصره لدينه.والنصيف هو النصف]

[132] - [صحيح البخاري 1/ 12](13) و[صحيح مسلم 1/ 67] 71 - (45)

[ (لا يؤمن أحدكم) الإيمان الكامل.قال العلماء رحمهم الله معناه لا يؤمن الإيمان التام وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة (ما يحب لنفسه) من فعال الخير]

[133] - [صحيح مسلم 4/ 1999]66 - (2586)

[ش (تداعى له سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك ومنه قوله تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط]

[134] - شعب الإيمان [12 /73](9064) صحيح لغيره

[illegible]

# الركن الخامس
# الإيمان بالقدر

**تعريفه:**

1. هو« الإقرارُ بأن الله -تعالى- علمَ كلَّ شيء وكتب مقادير كل شيء،وكلُّ شيء بإرادته ومشيئته وأنه خالقُ كلِّ شيء.يخلقُ ما يشاء فعّالٌ لما يريد،ما شاءَه كانَ،وما لم يشأْ لم يكنْ،بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ،يحي ويميت،وهوعلى كل شيء قديرٌ.يهدي من يشاءُ بفضله،ويضلُّ من يشاء بعدلهِ،لا معقِّبَ لحكمِه،ولا رادَّ لقضائهِ،خلق الخلقَ،وقدَّر أعمالَهم وأرزاقَهم وحياتهَم وموتهَم،قال تعالى:{ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (102) سورة الأنعام،وقال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (3) سورة سبأ،وقال تعالى:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (26) سورة آل عمران،وقال تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُووَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} (31) سورة المدثر،وعن طَاوُس،أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ،يَقُولُ:كَانَ النَّبِيُّ  إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ،قَالَ:«اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ،وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ،وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ،أَنْتَ

الحَقُّ،وَوَعْدُكَ الحَقُّ،وَقَوْلُكَ الحَقُّ،وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ،وَالجَنَّةُ حَقٌّ،وَالنَّارُ حَقٌّ،وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ،وَالسَّاعَةُ حَقٌّ،اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ،وَبِكَ آمَنْتُ،وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ،وَبِكَ خَاصَمْتُ،وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ،فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ،وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ،أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (أخرجه الشيخان ) [135].

2. والخيرُ والشرُّ مقدرانِ على العبادِ،قال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوكُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} (78) سورة النساء.

ولم يكلفِ اللهُ العبادَ إلا ما يطيقونَ،قال تعالى:{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...} (286) سورة البقرة.

ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله:أي لا حيلةَ لأحد،ولا تحوُّلَ لأحدٍ عن معصيةِ الله إلا بمعونةِ الله سبحانه،ولا قوة َلأحدٍ على إقامةِ طاعةِ الله والثباتِ عليها إلا بتوفيقِ اللهِ.

3. وكما أنَّ المسبَّباتِ من قدَرِ الله الذي فُرغ منه،فكذلك أسبابُها أيضاً من قدَرِ الله الذي فُرغ منه،فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ،فَأَتَانَا النَّبِيُّ  فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ،وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ،فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ،ثُمَّ قَالَ:«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ،مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ،وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» فَقَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ،وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ،قَالَ:«أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ

---

[135]- [صحيح البخاري 9/ 144](7499 ) و[صحيح مسلم 1/ 532] 199 - ( 769)

فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ،وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى} [الليل:6] الآيَةَ (أخرجه الشيخان )[136].

4. والإيمانُ بالقدَر على درجتينِ؛وكلُّ درجةٍ تتضمنُ شيئين:

**فالدرجةُ الأولى:**الإيمانُ بأن اللهَ عِلِمَ ما الخلقُ عاملونَ،فسبقَ علمُه في كلِّ كائنٍ في خلقِه،فقدَّرَ ذلك تقديراً محكماً قال تعالى:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُومِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (61) سورة يونس،وقال تعالى:{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} (2) سورة الفرقان ر،وقال:{مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} (38) سورة الأحزاب.

**الدرجة الثانية:**الإيمانُ بمشيئةِ الله النافذةِ،وقدرتهِ الشاملةِ،وأنَّ ما شاء اللهُ كانَ،وما لم يشأْ لم يكنْ،وأنهُ ما في السماواتِ والأرضِ منْ حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئةِ الله سبحانه وتعالى،ولا يكون في ملكِه إلا ما يريدُ.عن عَبْدِ الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ،أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ

---

[136] - [صحيح البخاري 2/ 96](1362 ) و[صحيح مسلم 4/ 2039] 6 - ( 2647)

[(بقيع الغرقد) مقبرة أهل المدينة والبقيع موضع من الأرض فيه أصول شجر والغرقد شجر له شوك كان ينبت في ذلك المكان بكثرة فأضيف إليه.(مخصرة) ما يتوكأ عليه من عصا وغيرها.(فنكس) خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض.(ينكت) يضرب في الأرض.(منفوسة) مخلوقة.(كتب) قدر وعين.(نتكل على كتابنا) نعتمد على ما قدر علينا.(أعطى واتقى) أعطى الطاعة واتقى المعصية أي جاهد نفسه فبذل الطاعة واجتنب المعصية.(الآية) أي وما بعدها / الليل 5 - 10 /.

وَكَانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهَا فَيَقُولُ:«قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ سُبْحَانَ اللَّهِ،وَبِحَمْدِهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ،كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّى يُمْسِيَ،وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ» ( أخرجه أبوداود)[137].

5. ومع ذلك فقدْ أمرَ العباد بطاعتِهِ وطاعةِ رسلهِ ونهاهُم عن معصيتِهِ،قال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (12) سورة التغابن،وهوسبحانه يحبُّ المتقين،قال تعالى:{بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (76) سورة آل عمران.

ويحبُّ المحسنينَ،قال تعالى:{..إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (195) سورة البقرة.

ويحبُّ المقسطين،قال تعالى:{..إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (42) سورة المائدة.

ويرضَى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات،قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} (8) سورة البينة.

ولا يحبُّ الكافرين،قال تعالى:{قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (32) سورة آل عمران.

ولا يرضَى عن القوم الفاسقينَ،قال تعالى:{..فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } (96) سورة التوبة.

ولا يأمر بالفحشاء،قال تعالى:{وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ

---

[137] - [سنن أبي داود 4/ 319]( 5075 ) و[السنن الكبرى للنسائي 9/ 10] (9756 ) حسن وهوحسن فيه عبد الحميد مولى بني هاشم وثقه ابن حبان والذهبي في الكاشف (3160)

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (28) سورة الأعراف.
ولا يرضى لعباده الكفر،قال تعالى:{إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (7) سورة الزمر.
ولا يحب الفساد قال تعالى:{..وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ} (205) سورة البقرة.
6. غِنَى اللهِ الكاملِ عن العبادِ ؛حيثُ لا تنفعهُ طاعةُ المطيع كما لا تضرُّه معصية العاصي.وغناهُ تعالى شاملٌ ومطلقٌ،قال تعالى :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوالْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (15) سورة فاطر.
وهويفيد في طمأنينةِ القلبِ عند المؤمنِ في هذا الباب،وأنَّ الله تعالى ليس بحاجة إلى العباد حتَّى يجبرَهم أويعذبَهم بغير ذنبٍ يستحقونَ العقابَ عليه قال تعالى:{مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (147) سورة النساء.
وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،فَلَا تَظَالَمُوا،يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ،فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ،يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ،إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ،فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ،يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ،إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ،فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ،يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ،يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي،فَتَنْفَعُونِي،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى

أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ،مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ،مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ،يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ،ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا،فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا،فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ،فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» ( أخرجه مسلم) [138].

7. وأفعالُ العباد خلقُ الله وفعلُ العباد،فالعبادُ فاعلونَ حقيقةً،والله خالقُ أفعالهم،والعبدُ هوالمؤمن أوالكافرُ،والبرُّ أوالفاجرُ،والمصلِّي والصائمُ،وللعبادِ قدرةٌ على أعمالهم ولهم إرادةٌ،واللهُ خالقُهم وخالقُ قدرتهم وإرادتهم.قال تعالى:{ إِنْ هُوإِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29) [التكوير/27-29] }

وأمام هذا البيان الموحي الدقيق يذكرهم أن طريق الهداية ميسر لمن يريد.وأنهم إذن مسؤولون عن أنفسهم،وقد منحهم الله هذا التيسير:«لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» ..أن يستقيم على هدى الله،في الطريق إليه،بعد هذا البيان،الذي يكشف كل شبهة،وينفي كل ريبة،ويسقط كل عذر.ويوحي إلى القلب السليم بالطريق المستقيم.فمن لم يستقم فهو مسؤول عن انحرافه.فقد كان أمامه أن يستقيم.

والواقع أن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق من القوة والعمق والثقل بحيث يصعب على القلب التفلت من ضغطها إلا بجهد متعمد.وبخاصة حين

---

[138] - [صحيح مسلم 4/ 1994]55 - (2577) [ش (إلا كما ينقص المخيط) قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئا أصلا كما قال في الحديث الآخر لا يغيضها نفقة أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص وإنما يدخل النقص المحدود الفاني وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء]

يسمع التوجيه إليها بأسلوب القرآن الموحي الموقظ.وما ينحرف عن طريق الله - بعد ذلك - إلا من يريد أن ينحرف.في غير عذر ولا مبرر!
فإذا سجل عليهم إمكان الهدى،ويسر الاستقامة،عاد لتقرير الحقيقة الكبرى وراء مشيئتهم.حقيقة أن المشيئة الفاعلة من وراء كل شيء هي مشيئة الله سبحانه ..
«وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ» ..وذلك كي لا يفهموا أن مشيئتهم منفصلة عن المشيئة الكبرى،التي يرجع إليها كل أمر.فإعطاؤهم حرية الاختيار،ويسر الاهتداء،إنما يرجع إلى تلك المشيئة.المحيطة بكل شيء كان أو يكون! وهذه النصوص التي يعقب بها القرآن الكريم عند ذكر مشيئة الخلائق،يراد بها تصحيح التصور الإيماني وشموله للحقيقة الكبيرة:حقيقة أن كل شيء في هذا الوجود مرده إلى مشيئة الله.وأن ما يأذن به للناس من قدرة على الاختيار هو طرف من مشيئة ككل تقدير آخر وتدبير.شأنه شأن ما يأذن به للملائكة من الطاعة المطلقة لما يؤمرون،والقدرة الكاملة على أداء ما يؤمرون.فهو طرف من مشيئته كإعطاء الناس القدرة على اختيار أحد الطريقين بعد التعليم والبيان.ولا بد من إقرار هذه الحقيقة في تصور المؤمنين،ليدركوا ما هو الحق لذاته.وليلتجئوا إلى المشيئة الكبرى يطلبون عندها العون والتوفيق،ويرتبطون بها في كل ما يأخذون وما يدعون في الطريق![139]



[139] - [في ظلال القرآن للسيد قطب-ط1 - ت- علي بن نايف الشحود ص: 4769]

# آثار الإيمان بالقدر

**وللقدر آثار كبيرة على الفرد وعلى المجتمع نجملها فيما يلي:**

1.القدَرُ من أكبر الدواعي التي تدعوإلى العمــلِ والنشاطِ والسعيِ بما يرضي اللهَ في هذه الحياة،والإيمانُ بالقدرِ من أقوى الحوافزِ للمؤمن لكي يعملَ ويقدِمَ على عظائم الأمور بثباتٍ وعزمٍ ويقينٍ.

2.ومنْ آثارِ الإيمان بالقدَرِ أن يعرفَ الإنسانُ قدْرَ نفسه،فلا يتكَّبر ولا يبطُر ولا يتعالى أبدًا ؛لأنهُ عاجزٌ عن معرفةِ المقدورِ،ومستقبل ِما هوحادثٌ،ومن ثمّ يقرُّ الإنسان بعجزهِ وحاجتِه إلى ربِّه تعالى دائمًا.وهذا من أسرارِ خفاءِ المقدور،قال تعالى:{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (23) سورة الحديد.

3.ومنْ آثارِ الإيمان بالقدَرِ أنه يطردُ القلقَ والضجرَ عند فواتِ المراد أوحصولِ مكروهٍ ،لأنَّ ذلك بقضاءِ الله تعالى الذي له ملكُ السموات والأرض،وهوكائنٌ لا محالةَ،فيصبرُ على ذلك ويحتسبُ الأجرَ،وإلى هذا يشيرُ الله تعالى بقوله:{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) [الحديد/22،23]}.

وعَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ،قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ،فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ،فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي،قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ،وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ،وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ،وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ،وَأَنَّ

مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ،وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»،قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ،قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ،فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ،قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.( أخرجه أبوداود)[140].

وعَنْ صُهَيْبٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ،فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ،صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (أخرجه مسلم )[141].

4.الإيمانُ بالقدَر يقضي على كثيرٍ من الأمراض التي تعصفُ بالمجتمعات،وتزرعُ الأحقـادَ بين المؤمنين،وذلك مثلُ رذيلةِ الحسَدِ،فالمؤمنُ لا يحسدُ الناس على ما آتاهم اللهُ من فضله ؛لأنه هوالذي رزقَهم وقدَّر لهم ذلك،وهويعلم أنه حين يحسدُ غيره إنما يعترضُ على المقدور،قال تعالى عن اليهود:{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا} (54) سورة النساء.

وهكذا فالمؤمنُ يسعى لعمل الخير،ويحبُّ للناس ما يحـبُّ لنفسه،فإنْ وصلَ إلى ما يصبوإليه حمِدَ الله وشكرَهُ على نِعَمِهِ،وإنْ لم يصلْ إلى شيءٍ من ذلك صبرَ ولم يجزعْ،ولم يحقِدْ على غيرهِ ممنْ نالَ من الفضلِ ما لم ينلْهُ ؛لأن اللهَ هوالذي يقسِمِ الأرزاق بين العبادِ قال تعالى:{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (32) سورة الزخرف.

ورزق المعاش في الحياة الدنيا يتبع مواهب الأفراد،وظروف الحياة،وعلاقات المجتمع.وتختلف نسب

---

140 - [سنن أبي داود 4/ 225](4699 ) صحيح = السماط :الجماعة من الناس

141 - [صحيح مسلم 4/ 2295]64 - (2999)

التوزيع بين الأفراد والجماعات وفق تلك العوامل كلها.تختلف من بيئة لبيئة،ومن عصر لعصر،ومن مجتمع لمجتمع،وفق نظمه وارتباطاته وظروفه العامة كلها.ولكن السمة الباقية فيه،والتي لم تتخلف أبدا - حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة للإنتاج وللتوزيع - أنه متفاوت بين الأفراد.
وتختلف أسباب التفاوت ما تختلف بين أنواع المجتمعات وألوان النظم.ولكن سمة التفاوت في مقادير الرزق لا تتخلف أبدا.ولم يقع يوما - حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة - أن تساوى جميع الأفراد في هذا الرزق أبدا:«وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ»..
والحكمة في هذا التفاوت الملحوظ في جميع العصور،وجميع البيئات،وجميع المجتمعات هي:«لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا»..ليسخر بعضهم بعضا..ودولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعض حتما.وليس التسخير هوالاستعلاء..استعلاء طبقة على طبقة،أواستعلاء فرد على فرد..كلا! إن هذا معنى قريب ساذج،لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد.كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أوتطور في أوضاع الجماعة البشرية وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء..إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض.ودولاب الحياة يدور بالجميع،ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف.المقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في الرزق.والعكس كذلك صحيح.فهذا مسخر ليجمع المال،فيأكل منه ويرتزق ذاك.وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء.والتفاوت في الرزق هوالذي يسخر هذا لذاك،ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة..العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل.والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل.وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على

السواء..وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات،والتفاوت في الأعمال والأرزاق..
وأحسب أن كثيرين من دعاة المذاهب الموجهة يتخذون من هذه الآية موضع هجوم على الإسلام ونظمه الاجتماعية والاقتصادية.وأحسب أن بعض المسلمين يقفون يجمجمون أمام هذا النص،كأنما يدفعون عن الإسلام تهمة تقرير الفوارق في الرزق بين الناس،وتهمة تقرير أن الناس يتفاوتون في الرزق ليتخذ بعضهم بعضا سخريا! وأحسب أنه قد آن لأهل الإسلام أن يقفوا بإسلامهم مواجهة وصراحة موقف الاستعلاء المطلق،لا موقف الدفاع أمام اتهام تافه!
إن الإسلام يقرر الحقائق الخالدة المركوزة في فطرة هذا الوجود الثابتة ثبات السماوات والأرض ونواميسها التي لا تختل ولا تتزعزع.وطبيعة هذه الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت في مواهب الأفراد والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل والتفاوت في مدى إتقان هذا العمل.وهذا التفاوت ضروري لتنوع الأدوار المطلوبة للخلافة في هذه الأرض.ولوكان جميع الناس نسخا مكرورة ما أمكن أن تقوم الحياة في هذه الأرض بهذه الصورة.
ولبقيت أعمال كثيرة جدا لا تجد لها مقابلا من الكفايات،ولا تجد من يقوم بها - والذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنمو،خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها.وعن هذا التفاوت في الأدوار يتفاوت الرزق..هذه هي القاعدة..أما نسبة التفاوت في الرزق فقد تختلف من مجتمع إلى مجتمع،ومن نظام إلى نظام.ولكنها لا تنفي القاعدة الفطرية المتناسقة مع طبيعة الحياة الضرورية لنموالحياة.ومن ثم لم يستطع أصحاب المذاهب المصطنعة المتكلفة أن يساووا بين أجر العامل وأجر

المهندس،ولا بين أجر الجندي وأجر القائد.على شدة ما حاولوا أن يحققوا مذهبهم.وهزموا أمام الناموس الإلهي الذي تقرره هذه الآية من كلام اللّه.وهي تكشف عن سنة ثابتة من سنن الحياة.ذلك شأن الرزق والمعاش في هذه الحياة الدنيا.ووراء ذلك رحمة اللّه:«وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ»..واللّه يختار لها من يشاء،ممن يعلم أنهم لها أهل.ولا علاقة بينها وبين عرض الحياة الدنيا ولا صلة لها بقيم هذه الحياة الدنيا.فهذه القيم عند اللّه زهيدة زهيدة.ومن ثم يشترك فيها الأبرار والفجار،وينالها الصالحون والطالحون.بينما يختص برحمته المختارين.
وإن قيم هذه الأرض لمن الزهادة والرخص بحيث - لوشاء اللّه - لأغدقها إغداقا على الكافرين به.ذلك إلا أن تكون فتنة للناس،تصدهم عن الإيمان باللّه:« وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ.وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ.وَزُخْرُفاً.وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا.وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ»..
فهكذا - لولا أن يفتتن الناس.واللّه أعلم بضعفهم وتأثير عرض الدنيا في قلوبهم - لجعل لمن يكفر بالرحمن صاحب الرحمة الكبيرة العميقة - بيوتا سقفها من فضة،وسلالمها من ذهب.بيوتا ذات أبواب كثيرة.قصورا.فيها سرر للاتكاء،وفيها زخرف للزينة..رمزا لهوان هذه الفضة والذهب والزخرف والمتاع بحيث تبذل هكذا رخيصة لمن يكفر بالرحمن! «وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا»..متاع زائل،لا يتجاوز حدود هذه الدنيا.ومتاع زهيد يليق بالحياة الدنيا.«وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ»..وهؤلاء هم المكرمون عند اللّه بتقواهم فهويدخر لهم ما هوأكرم وأبقى ويؤثرهم بما هوأقوم وأغلى.ويميزهم على من يكفر بالرحمن،ممن يبذل لهم من ذلك المتاع الرخيص

ما يبذله للحيوان! وإن عرض الحياة الدنيا الذي ضرب اللّه له بعض الأمثال من المال والزينة والمتاع ليفتن الكثيرين.وأشد الفتنة حين يرونه في أيدي الفجار،ويرون أيادي الأبرار منه خالية أويرون هؤلاء في عسر أومشقة أوابتلاء،وأولئك في قوة وثروة وسطوة واستعلاء.واللّه يعلم وقع هذه الفتنة في نفوس الناس.ولكنه يكشف لهم عن زهادة هذه القيم وهوانها عليه ويكشف لهم كذلك عن نفاسة ما يدخره للأبرار الأتقياء عنده.والقلب المؤمن يطمئن لاختيار اللّه للأبرار وللفجار.
وأولئك الذين كانوا يعترضون على اختيار اللّه لرجل لم يؤت شيئا من عرض هذه الحياة الدنيا ويقيسون الرجال بما يملكون من رياسة،أوبما يملكون من مال.يرون من هذه الآيات هوان هذه الأعراض وزهادتها عند اللّه.وأنها مبذولة لشر خلق اللّه وأبغضهم عند اللّه.فهي لا تدل على قربى منه ولا تنبئ عن رضى،ولا تشي باختيار!
وهكذا يضع القرآن الأمور في نصابها ويكشف عن سنن اللّه في توزيع الأرزاق في الدنيا والآخرة ويقرر حقيقة القيم كما هي عند اللّه ثابتة.وذلك في صدد الرد على المعترضين على رسالة محمد واختياره.واطراح العظماء المتسلطين! وهكذا يرسي القواعد الأساسية والحقائق الكلية التي لا تضطرب ولا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة،واختلاف النظم،وتعدد المذاهب،وتنوع البيئات.فهناك سنن للحياة ثابتة،تتحرك الحياة في مجالها ولكنها لا تخرج عن إطارها.والذين تشغلهم الظواهر المتغيرة عن تدبر الحقائق الثابتة،لا يفطنون لهذا القانون الإلهي،الذي يجمع بين الثبات والتغير،في صلب الحياة وفي أطوار الحياة ويحسبون أن التطور والتغير،يتناول حقائق الأشياء كما يتناول أشكالها.ويزعمون أن التطور المستمر يمتنع معه أن تكون هناك قواعد ثابتة لأمر من الأمور وينكرون أن

يكون هناك قانون ثابت غير قانون التطور المستمر.فهذا هوالقانون الوحيد الذي يؤمنون بثباته! فأما نحن - أصحاب العقيدة الإسلامية - فنرى في واقع الحياة مصداق ما يقرره اللّه من وجود الثبات والتغير متلازمين في كل زاوية من زوايا الكون،وفي كل جانب من جوانب الحياة.وأقرب ما بين أيدينا من هذا التلازم ثبات التفاوت في الرزق بين الناس،وتغير نسب التفاوت وأسبابه في النظم والمجتمعات..وهذا التلازم مطرد في غير هذا المثال[142].

5.والإيمانُ بالقدر يبعث في القلوب الشجاعةَ على مواجهة الشدائد،ويقوي فيها العزائمَ فتثبت في ساحات الجهادِ ولا تخافُ الموتَ،لأنها توقنُ أن الآجالَ محدودةٌ لا تتقدم ولا تتأخر لحظة واحدة،قال تعالى:{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ {34} الأعراف،وقال تعالى ردا على المنافقين:
{ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِالْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوأَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17)}[الأحزاب/15-17]

ذلك كان شأنهم والأعداء بعد خارج المدينة ولم تقتحم عليهم بعد.ومهما يكن الكرب والفزع،فالخطر المتوقع غير الخطر الواقع،فأما لووقع واقتحمت عليهم المدينة من أطرافها..«ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ» وطلبت إليهم الردة عن دينهم «لَآتَوْها» سراعا غير متلبثين،ولا مترددين «إِلَّا قَلِيلًا» من الوقت،أوإلا قليلا منهم يتلبثون شيئا ما قبل أن يستجيبوا ويستسلموا ويرتدوا كفارا! [143].

---

142- في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3983]

143- في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3592]

6- الإيمانُ بالقدر من أكبر العوامل التي تكونُ سبباً في استقامةِ المسلمِ،وخاصة في معاملته للآخرينَ،فحين يقصِّرُ في حقّهِ أحدٌ أويسيءُ إليه أويردُّ إحسانهُ بالإساءةِ أوينالُ من عرضهِ بغير حقٍّ تجدهُ يعفوويصفحُ،لأنه يعلم أن ذلك مقدّرٌ،وهذا إنما يحسنُ إذا كان في حقِّ نفسهِ،أمّا في حقِّ الله فلا يجوزُ العفوولا التعللُ بالقدَر،لأن القدرَ إنما يحتجُّ به في المصائبِ لا في المعايبِ.،فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا،فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا،كُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الحَدِيثِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ} العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا فِي بَرَاءَتِي،فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ،وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا،بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ.فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (22) سورة النــور،قَالَ أَبُو بَكْرٍ: " بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي،فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ،وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا " (أخرجه البخاري ومسلم )[144].

7.والإيمانُ بالقدَر يغرسُ في نفس المؤمن حقائقَ الإيمان المتعددة،فهودائمُ الاستعانةِ بالله،يعتمد على الله ويتوكلُ عليه مع فعل الأسبابِ،وهوأيضًا دائمُ الافتقارِ إلى ربه – تعالى – يستمدُّ منه العونَ على الثبات،ويطلبُ منه المزيد،وهوأيضًا كريمٌ يحبُّ الإحسانِ إلى الآخرين،فتجده يعطفُ عليهم.

8.ومن آثار الإيمانِ بالقدَر أنَّ الداعيَ إلى الله يصدعُ بدعوتهِ،ويجهرُ بها أمام الكافرين والظالمين،لا يخافُ في الله لومة لائمٍ،يبيّنُ للناس حقيقةَ الإيمان،ويوضحُ لهم مقتضياته،ويكشف الباطلَ وزيفهُ ودُعاتهِ

---

144 - [صحيح البخاري 8/ 138](6679 ) و[صحيح مسلم 4/ 2129]56 - ( 2770)

وحماتهِ،فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ،وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ،وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا،وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ،وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا،لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ».(أخرجه مسلم [145])

ويقولُ كلمةَ الحقِّ أمامَ الظالمينَ،ويفضحُ ما هم فيهِ من كفرٍ وظلمٍ،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ،أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ» (أخرجه أبوداود)[146].

وإذا كان الأمرُ هكذا فكيف يبقى في نفسِ المؤمن الداعية ذرّةٌ من خوفٍ وهويؤمن بقضاءِ الله وقدَره؟!

فما قُدِّرَ سيكونُ،وما لم يقدَّر لنْ يكونَ،وهذا كله مرجعه إلى الله وحده،والعبادُ لا يملكون من ذلك شيئاً.فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا،فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ،احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ،رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» (أخرجه الترمذي )[147].

8- الإيمانُ بالقدَر طريقُ الخلاصِ من الشركِ،وهومفرقُ الطريقِ بين التوحيدِ والشركِ،فالمؤمنُ بالقدَر يُقرُّ بأن

---

[145] - [صحيح البخاري 9/ 77](7199 ) و[صحيح مسلم 3/ 1470]41 - ( 1709)
المَنْشَط : الأمر الذي تَنشط له،وتخف إليه،وتُؤثر فعله.=المَكْرَه : الأمرُ الذي تكرهه،وتتثاقل عنه .=الأَثَرَةُ : الاستئثار بالشيء،والانفراد به،والمراد في الحديث: إن مُنِعْنَا حَقّنا من الغنائم،والفَيءِ،وأُعْطِي غيرنا،نَصْبِر على ذلك.=كُفرًا بَوَاحًا : الكُفْرُ البواح : الجهار .=البرهان : الحُجَّة والدليل .

[146] - [سنن أبي داود 4/ 124](4344 ) ومسند أحمد برقم( 11442) والمعجم الكبير للطبراني برقم( 8007) وهوصحيح لغيره

[147] - [سنن الترمذي ت شاكر 4/ 667]( 2516 ) صحيح

هذا الكون وما فيه صادرٌ عن إلهٍ واحدٍ،ومعبودٍ واحدٍ،ومن لم يؤمنْ هذا الإيمانَ،فإنه يجعلُ مَنْ دونَ الله آلهةً وأرباباً.
9- وهويفضي إلى الاستقامةِ على منهجٍ سواءٍ في السّراءِ والضرّاءِ،لا تبطرُه النعمةُ،ولا تيئسهُ المصيبةُ،فهويعلمُ أن كلَّ ما أصابهُ من نعمٍ وحسناتٍ فمنَ اللهِ،لا بذكائهِ وحسنِ تدبيرهِ،{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (53) سورة النحل.
وإذا أصابَهُ الضراءُ والبلاءُ عِلم أن هذا بتقديرِ اللهِ ابتلاءً منه،فلا يجزعُ ولا ييأسُ،بل يحتسبُ ويصبرُ،فيسكبُ هذا الإيمان في قلبِ المؤمن الرضا والطمأنينةَ،قال تعالى عن معركة أحد :{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) [آل عمران/ 152،153]} .
10- المؤمنُ بالقدر دائماً على حذر من أن يأتيهُ ما يضلُّه،كما يخشى أن يُختمَ له بخاتمةٍ سيئةٍ،وهذا لا يدفعه إلى التكاسلِ والخمولِ،بل يدفعُه إلى المجاهدةِ الدائبةِ للاستقامة،والإكثار من الصالحاتِ،ومجانبةِ المعاصي والموبقاتِ،كما يبقى قلبُ العبد معلقاً بخالقِه،يدعوهُ ويرجوهُ ويستعينُه،ويسألهُ الثبات على الحقِّ كما يسأله الرشدَ والسدادَ.قال تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (69) سورة العنكبوت.

11- إذا آمنَ المؤمنُ بالقدَرِ فإنه يقبلُ على أمر الله،وإنْ قلَّتِ الرفقةُ،ويقبلُ على الجهادِ في سبيله،وإنْ كانَ وحدَهُ،فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ،فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ،لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»،فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ،وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ،قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ،- يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»،فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ،الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»،قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ،قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ،أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ،فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: " كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] إِلَى آخِرِ الآيَةِ " (أخرجه البخاري)[148].

وعَنْ أَنَسٍ،" أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ جَاءَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَقَدْ تَحَنَّطَ وَلَبِسَ أَكْفَانَهُ وَقَدِ انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ،وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ،وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ،فَبِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَقْرَانِنَا سَاعَةً،ثُمَّ حَمَلَ فَقَاتَلَ سَاعَةً فَقُتِلَ،وَكَانَتْ دِرْعُهُ قَدْ سُرِقَتْ،فَرَآهُ رَجُلٌ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ،فَقَالَ: إِنَّ دِرْعِي فِي قِدْرٍ تَحْتَ إِكَافٍ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا،وَأَوْصَى بِوَصَايَا،فَطَلَبَ

---

[148] - [صحيح البخاري 4/ 19](2805 ) و[صحيح مسلم 3/ 1512]148 - ( 1903)
[(انكشف المسلمون) انهزموا.(الجنة) أريد الجنة وهي مطلوبي.(أجد) أشم.(من دون أحد) عند أحد ويحتمل أنه وجد ريحها حقيقة كرامة له ويحتمل أنه أراد أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها.(بضعا) من الثلاث إلى تسع.(ببنانه) أصابعه أو أطراف أصابعه]

الدِّرْعَ فَوَجَدَ حَيْثُ قَالَ: فَأَنْفَذُوا وَصِيَّتَهُ » (أخرجه الحاكم في المستدرك )[149]
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ،وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ} [الحجرات: 2]،قَعَدَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فِي بَيْتِهِ،وَقَالَ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي،وَأَجْهَرُ لَهُ بِالْقَوْلِ،وَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ،فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ،فَأَخْبَرُوهُ،فَقَالَ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»،قَالَ أَنَسٌ: «فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا،وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْيَمَامَةِ وَكَانَ ذَلِكَ الِانْكِشَافُ،لَبِسَ ثِيَابَهُ،وَتَحَنَّطَ وَتَقَدَّمَ،فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»[150]
12- الجِدُّ في العمل الذي يرضي اللهَ،والتواضعُ والبعدُ عن التكبر،وزعمِ استقلال الأسبابِ في إيجاد المسبباتِ،والرضا والاطمئنانُ والصبرُ والثباتُ،وعدمِ التسخُّطِ والقلقِ في الحياةِ،بخلافِ من لم يؤمنْ بالقدرِ،فإنهُ يصابُ بالكبرياءِ،ويزعمُ أنَّ ما أتاه اللهُ من ملكٍ وجاهٍ وغيره،إنما أوتيهُ بعلمهِ المستقلِّ عن اللهِ وبعلمِه وخبرتهِ،فإذا أصيبَ في شيءٍ من ذلك قلقَ واضطربتْ حياتهُ،وقد يصلُ به الأمر إلى إزهاقِ روحهِ لعدمِ صبرهِ وشدةِ تسخطهِ،كما هوحاصلٌ كثيراً اليومَ،وبخاصةٍ في العالم الذي بلغَ مبلغاً عظيماً من الرقيِّ الماديِّ،قال تعالى عن قارون:{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ

---

[149] - [المستدرك على الصحيحين للحاكم 3/ 260]( 5035 ) وصححه ووافقه الذهبي
[150] - [صحيح ابن حبان - مخرجا 16/ 129]( 7168 ) صحيح

هُوأَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)[القصص/76،78] }
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»،فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ،فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ اليَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ»،قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ،فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ،إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ،وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا،فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ،فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ،فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ،أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»،ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ،وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ» (أخرجه البخاري ومسلم )[151].

ـــــــــــــــــــــــــ

[151] - [صحيح البخاري 4/ 72]( 3062 ) و[صحيح مسلم 1/ 105]178 - ( 111)
[ (شهدنا) حضرنا.(خيبر) أي فتحها.(يرتاب) يشك ويرتد عن دينه.(ليؤيد) ينصر ويحمي.(الفاجر) من الفجور وهو الانطلاق في المحرمات والمعاصي]

# الركن السادس
# الإيمانُ باليوم الآخر

## 1- ونؤمن بفتنة القبر،ونعيمه للمؤمنين،وبعذابه لمن كان له أهلاً:

كما جاءت به الأخبار متواترة عن رسول الله ﷺ،قال تعالى عن آل فرعون:( النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَـشِيَّاً وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ) [غافر:46].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ،قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ،وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ،قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ،عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ،إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ،وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا،قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ،فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا،فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا،لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ،فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ،فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ،مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ".( أخرجه مسلم )[152]

وفتنة القبر:هي سؤال منكر ونكير للعبد فيه عن ربه ودينه ونبيه،فيثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت :

---

[152] - [صحيح مسلم 4/ 2199]67 - (2867)
[ش (حادت به) أي مالت عن الطريق ونفرت (فلولا أن لا تدافنوا) أصله تتدافنوا فحذفت إحدى التاءين وفي الكلام حذف يعني لولا مخافة أن لا تدافنوا]

فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ،فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ،وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ،وَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوجُوهِ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ،مَعَهُمْ حَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ،وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ،حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ،فَأَخَذَهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ رِيحِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ،فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ،فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى،فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ،فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ،فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ،فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم،فَيَقُولَانِ: مَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ: صَدَقَ عَبْدِي فَافْرُشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ،وَيَأْتِيهِ

رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ،فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ،فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ،فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ،فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ،رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ،مَعَهُمُ الْمُسُوحُ،حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ.قَالَ: فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهَا فَيَنْتَزِعُونَهَا وَمَعَهَا الْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ،فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ قَالَ: وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ،فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف: 40] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى،وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ،فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا،ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31] قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ،فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ،لَا أَدْرِي قَالَ فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي قَالَ: فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ

وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ وَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ،فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُوكَ،هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ،فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ قَالَ: فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ،رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ ".(أخرجه البيهقي ) [153].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ،قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ،فَجَلَسَ تِجَاهَ الْقِبْلَةِ،فَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ،فَنَكَّسَ سَاعَةً،ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ثَلَاثًا،ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الْآخِرَةِ،وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا،نَزَلَتِ مَلَائِكَةٌ كَأَنَّ وجُوهَهُمُ الشَّمْسُ،مَعَ كُلِّ مَلَكٍ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ،فَجَلَسُوا عِنْدَهُ سِمَاطَيْنِ مَدَّ الْبَصَرِ،فَإِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ يَقُولُونَ: اخْرُجِي إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ،فَيَصْعَدُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،فَيَقُولُونَ: رَبِّ،هَذَا عَبْدُكَ فُلَانٌ،فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: رُدُّوهُ إِلَى التُّرَابِ،فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ،وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ،وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى،فَإِذَا أُدْخِلَ الْقَبْرَ فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا قَالَ: فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ،وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ،وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ،فَيَسْأَلُهُ الثَّانِيَةَ وَيَنْتَهِرُهُ،وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ،فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ،وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ،وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ،فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: 27]،فَيَأْتِيهِ آتٍ طَيِّبُ الرِّيحِ،حَسَنُ الْوَجْهِ،جَيِّدُ الثِّيَابِ،فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ،وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نُعَيْمٌ مُقِيمٌ.فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ،لَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ،وَمِنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ،إِنْ

---

[153] - [سنن أبي داود 4/ 239][(4753 ) و[إثبات عذاب القبر للبيهقي ص: 51][(44 ) وهوحديث صحيح،وأهم حديث في هذا الباب

كُنْتَ لَسَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ،بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ،فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا قَالَ: فَيَقُولُ: افْرِشُوا لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ،حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيَّ،وَمَا عِنْدِي خَيْرٌ لَهُ قَالَ: فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الْآخِرَةِ،وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا،نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ سَرَابِيلُ مِنْ قَطِرَانٍ،وَثِيَابٌ مِنَ نَارٍ،فَاحْتَوَشُوهُ،فَيَنْتَزِعُونَ نَفْسَهُ كَمَا يُنْتَزَعُ الصُّوفُ الْمُبْتَلُّ مِنَ السَّفُّودُ كَثِيرِ الشُّعَبِ.قَالَ: وَيَخْرُجُ مَعَهَا الْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ،وَيَقُولُونَ: اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ،فَيَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ،فَيَقُولُونَ: رَبِّ،هَذَا عَبْدُكَ فُلَانٌ،فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: رُدُّوهُ إِلَى التُّرَابِ،فَإِنِّي وَعَدْتُهُ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ،وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى،فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ،إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ.قَالَ: فَيَأْتِيهِ آتٍ،فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ،وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ،وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: فَتُعَادُ عَلَيْهِ الثَّانِيَةُ،وَيَنْتَهِرُهُ،وَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي،لَا أَدْرِي،لَا أَدْرِي،فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ،لَا دَرَيْتَ،لَا دَرَيْتَ.قَالَ: وَيُرْفَعُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ،مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ،مَا أَقَلُّوهَا،وَلَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا أَوْ رَمِيمًا،فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا،ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ،فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً،فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ،فَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ،مُنْتِنُ الرِّيحِ،خَبِيثُ الثِّيَابِ،فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِسَخَطِ اللَّهِ،وَعَذَابٍ مُقِيمٍ،فَيَقُولُ: وَأَنْتَ،فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِشْرٍ لَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يُبَشِّرُ بِالشَّرِّ،مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ،إِنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،بَطِيئًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ،فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا،فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا،فَيَقُولُ: افْرِشُوا لَهُ لَوْحَيْنِ مِنَ النَّارِ،وَأَلْبِسُوهُ لَوْحَيْنِ مِنَ

النَّارِ،وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيَّ،وَمَا عِنْدِي شَرٌّ لَهُ "[154].
وأحوالُ البرزخ من أمور الغيب التي يدركها الميتُ دون غيره،وهي لا تدركُ بالحسِّ في الحياة الدنيا،ولذلك فالإيمانُ بها مما يميزُ المؤمنَ بالغيب عن المكذب به.[155].

**2-ونؤمن بأشراط الساعة التي أخبر الله تعالى بها في كتابه،وأخبر بها نبيه عليه الصلاة والسلام في سنته:**

من خروج الدجال على الحقيقة،ونؤمنُ بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام وهوالذي يقتلُه،وبطلوع الشمس من مغربها،وبخروج دابة الأرض،وسائر ما أخبر الله تعالى به،أوأخبرَ به نبيُه عليه الصلاة والسلام.

فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ،قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ  عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ،فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ،قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ،وَالدَّجَّالَ،وَالدَّابَّةَ،وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ،وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ،وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ،وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ،تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ ".(أخرجه مسلم )[156].

---

154 - [تهذيب الآثار مسند عمر 2/ 498](722 ) صحيح

155 - انظر التفاصيل في **كتابي الاستعداد للموت**

156 - [صحيح مسلم 4/ 2225]39 - (2901)

[(فذكر الدخان) هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريبا من قيام الساعة وقد سبق قول من قال هذا وإنكار ابن مسعود عليه وإنه قال إنما هو عبارة عما نال قريش من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان وقد وافق ابن مسعود جماعة وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن ورواه حذيفة عن النبي  وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار (والدابة) هي المذكورة في قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قال المفسرون هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ،قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي ظِلِّ غَرْفَةٍ لِرَسُولِ اللهِ  فَذَكَرْنَا السَّاعَةَ , فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا،فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ  مِنْ غُرْفَتِهِ فَقَالَ: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟» أَوْ «عَمَّ يَتَحَدَّثُونَ؟» قُلْنَا: ذِكْرُ السَّاعَةِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : " إِنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَكُونَ،أَوْ لَنْ تَقُومَ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ،وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،وَالدَّجَّالُ،وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ،وَالدُّخَانُ،وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ،وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدَنٍ فَتَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ "[157]

وعَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ،قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ  فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ،فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا،فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ " قُلْنَا: السَّاعَةَ،قَالَ: " إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ،وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ،وَدَابَّةُ الْأَرْضِ،وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ،وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ " قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ،عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ،عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ،مِثْلَ ذَلِكَ،لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ،وقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ،وقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ".( أخرجه مسلم )[158].

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ،قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ  الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ،فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ،حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ

---

وعن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم وفي رواية تخرج من قعرة عدن) هكذا هو في الأصول ومعناه من أقصى قعر أرض عدن وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن]

[157] -[السنن الكبرى للنسائي 10/ 209](11316) صحيح

[158] - [صحيح مسلم 4/ 2226]40 - (2901)

[ش (ترحل الناس) هكذا ضبطناه وهكذا ضبطه الجمهور وكذا نقله القاضي عن روايتهم ومعناه تأخذهم بالرحيل وتزعجهم]

النَّخْلِ،فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا،فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً،فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ،حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ،فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ،إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ،فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ،وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ،فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ [ص: 2252]،إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ،عَيْنُهُ طَافِئَةٌ،كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ،فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ،فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ،إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ،فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا،يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا،يَوْمٌ كَسَنَةٍ،وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ،وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ،وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ،أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا،اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ،فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ،فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ،فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ،وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ،فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ،أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا،وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا،وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ،ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ،فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ،فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ،فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ [ص:2253] لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ،وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ،فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ،فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ،ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا،فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ،ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ،يَضْحَكُ،فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ،فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ،بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ،وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ،إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ،وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ،فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ،وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ،فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ،فَيَقْتُلُهُ،ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ

عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ،فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ،فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي،لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ،فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ [ص:2254] وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ،فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا،وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ،وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ،حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ،فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ،فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ،فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ،فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ،فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ،فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ،ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ،فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ،ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ،وَرُدِّي بَرَكَتَكِ،فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ،وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا،وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ،حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ،وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ،فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً،فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ،فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ،وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ،يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ،فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " (أخرجه مسلم ) [159].

---

[159] - [صحيح مسلم 4/ 2254]110 - (2937)

البخت :واحدتها البختية وهى الناقة طويلة العنق ذات السنامين =الحدب :الغليظ من الأرض فى ارتفاع =حرز :ضم =خلة :طريق =الذرى :جمع الذروة وهى أعلى الشىء والمراد السنام –الرسل :اللبن =يرغب :يدعو=الزلفة :المكان يحفر ليحبس فيه ماء السماء وقيل المرآة =الزهم :الريح المنتنة =الزهمة :الريح المنتنة =السارحة :الماشية =اليعاسيب :جمع يعسوب وهوذكر النحل = عاث :أفسد =الفئام :الجماعة الكثيرة =الفخذ :حى الرجل إذا كان من أقرب عشيرته =الفرسى :جمع الفريس

**وأما اليوم الآخر:فالمراد باليوم الآخر:هويوم القيامة الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء.وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.**

*** مفهومُ الإيمان باليوم الآخر:**

هوالاعتقادُ الجازم بصحة إخبارِ الله تعالى وإخبارِ رسله عليهم الصلاة والسلام بفناءِ هذه الدنيا،وما يسبقُ ذلك من أماراتٍ وما يقع في اليومِ الآخر من أهوالِ واختلافِ أحوال،كذلك التصديقُ بالأخبارِ الواردة عن الآخرةِ وما فيها من النعيم والعذاب،وما يجري فيها من الأمور العظامِ،كبعث الخلائقِ وحشرهم ومحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم الاختياريةِ التي قاموا بها في الحياةِ الدنيا.

***ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر:**

1. **الإيمان بالبعث:**

وهوإحياءُ الموتى حين ينفخُ في الصُّور النفخةَ الثانية،قال تعالى:{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {48} مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ {49} فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ {50} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ {51} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ {52} إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ {53} فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {54}(سورة يس ).

---

وهم القتلى =القحف :القشر =القطط :شديد جعودة شعر الرأس =يكن :يستر =اللقحة :الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة =الممحل :المجدب المقحط =المدر :القرى والأمصار واحدتها مدرة = ينسلون :يخرجون مسرعين =النغف :جمع النغفة وهودود يوجد فى أنوف الإبل والغنم فتموت به فى أقرب وقت =يتهارجون :يجامعون النساء بحضرة الناس =المهرودة :الحلة أوالشقة وقيل الثوب المهرود الذى يصبغ بالورس والزعفران =الوبَر :البيت المتخذ من صوف الإبل والمراد أهل البادية = **وانظر كتابي الخلاصة في أشراط الساعة الكبرى**

وقال تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ {68} وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {69} وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوأَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ {70}(سورة الزمر ).

فيقومُ الناس لربِّ العالمين،حفاةً عراةً غرلاً،قال الله تعالى:{ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) [المؤمنون/15-16] }.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ: " يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ " ثُمَّ قَرَأَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء: 104]. (أخرجه أحمد )[160].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ»،ثُمَّ قَرَأَ: " {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] "[161].

2. **الإيمان بالحساب والجزاء:**

فكلُّ إنسان يحاسَبُ على عملهِ في الدنيا،ثم يوفَّى حسابَهُ قال الله تعالى:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } (47) سورة الأنبياء.

وقال تعالى:{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {71} قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ {72} وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

---

[160] - [مسند أحمد ط الرسالة 3/ 418][(1950 ) وابن حبان برقم (7442 و7445 ) وهوصحيح = الغرل :جمع أغرل وهوالذى لم يختتن

[161] - [تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر 16/ 428] صحيح

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {73} وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {74} (سورة الزمر ).

3. **ونؤمنُ بحوض نبينا محمدٍ ﷺ في عرَصات القيامة**،وأن ماءَه أشدُّ بياضاً من اللبنِ وأحلى من العسلِ،وآنيتَهُ بعددِ نجومِ السماء،وطولَهُ شهرٌ،وعرضَه شهرٌ،من شربَ منه شربةً لم يظمأْ بعدها أبداً،فعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا،أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ،آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ،يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ،مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ،عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ،مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ،مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ،وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».(أخرجه مسلم )[162].

4. **وأنَّ أصنافاً من أمةِ محمد ﷺ سيُذادونَ عنه،ويمنعونَ من وروده**،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ،فَقَالَ:«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ،وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ،وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا:أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:«أَنْتُمْ

---

[162] - صحيح مسلم (4/ 1798) 36 - (2300) والحديث متواتر
[ش (ألا في الليلة المظلمة) بتخفيف ألا وهي التي للاستفتاح وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم (آنية الجنة) ضبطه بعضهم برفع آنية وبعضهم بنصبها وهما صحيحان فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف أي هي آنية الجنة ومن نصب فبإضمار أعني أو نحوه (يشخب) الخاء مضمومة ومفتوحة والشخب السيلان وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة (ميزابان) قال في اللسان وزب الشيء يزب وزوبا إذا سال الجوهري الميزاب المثعب فارسي معرب قال وقد عرب بالهمز وربما لم يهمز والجمع مآزيب إذا همزت وميازيب إذا لم تهمز (عمان) هي بلدة بالبلقاء من الشام قال الحازمي قال ابن الأعرابي يجوز أن يكون فعلان من عم يعم فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة قال ويجوز أن يكون فعالا من عمن فينصرف معرفة ونكرة إذا عنى بها البلد هذا كلامه والمعروف في روايات الحديث وغيرها ترك صرفها]

أَصْحَابِي،وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا:كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ:«أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:" فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ،وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ:إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا ".( أخرجه مسلم )[163]

فعَنْ أَبِي حَازِمٍ،قَالَ:سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ،يَقُولُ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ،يَقُولُ:«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ،فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ،وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا،لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي،ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ:فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ،- وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا،فَقَالَ:هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا،فَقُلْتُ:نَعَمْ،قَالَ:وَأَنَا - أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ:" إِنَّهُمْ مِنِّي،فَيُقَالُ:إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ،فَأَقُولُ:سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي " (أخرجه البخاري)[164].

5. **وفي ذلك اليوم تدنوفيه الشمسُ من رؤوس العباد،حتى يكونَ عرقُ الناس على قدر أعمالهم،**فعن الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ

---

[163] - صحيح مسلم (1/ 218) 39 - (249)

[ش (بين ظهري خيل دهم بهم) قيل الظهر مقحم وفي الحديث أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى والمراد نفس الغني والمعنى بين أفراس وقوله دهم بهم أي سود لم يخالط لونها لون آخر (وأنا فرطهم على الحوض) أي متقدمهم إليه قال ابن الأثير يقال فرط يفرط فهو فارط وفرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والأرشية (ألا هلم) معناه تعالوا قال أهل اللغة في هلم لغتان أفصحهما هلم للرجل والرجلين والمرأة والجماعة من الصنفين بصيغة واحدة وبهذه اللفظة جاء القرآن في قوله تعالى هلم شهداءكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا واللغة الثانية هلم يا رجل وهلما يا رجلان وهلموا يا رجال وللمرأة هلمي وللمرأتان هلمتا وللنسوة هلممن (سحقا سحقا) معناه بعدا بعدا والمكان السحيق البعيد ونصب على تقدير ألزمهم الله سحقا أو سحقهم سحقا]

[164] - صحيح البخاري (9/ 46)(7050 )

اللَّهِ -- يَقُولُ « تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ».« فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِى الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا ».قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ - - بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.( أخرجه مسلم)[165].

6. **ونؤمنُ بالصِّراط المنصوبِ على مَتن جهنمَ**،وهوالجسرُ الذي بين الجنةِ والنارِ،يمرُّ عليه الناسُ على قدرِ أعمالهم،فمنهم مَنْ يمرُّ كلمحِ البصر،ومنهم مَنْ يمرُّ كالبرق،ومنهم من يمرُّ كالريحِ،ومنهم من يمرُّ كالفرس الجوادِ،ومنهم من يمرُّ كركابِ الإبل،ومنهم من يعدوعدواً،ومنهم من يمشي مشياً،ومنهم ومن يزحفُ زحفاً،ومنهم من يُخطف خطفاً ويُلقَى في جهنم،فإنَّ على الجسر كلاليبَ تخطفُ الناسَ بأعمالهم،فمنْ مرَّ على الصراطِ دخل الجنةَ ونجا،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ،يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ،فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ،فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ،وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ،وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ،وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا،فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ،هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا،فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ،فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ،وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ،وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.وَبِهِ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ،أَمَا رَأَيْتُمْ

---

[165] - برقم(7385 )-حقويه :خاصرتيه

شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ " قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ،غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ،فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ،مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ،وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ،ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ،وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ،مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ،فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ،وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ،فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا،فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ،فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ،وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ،فَيَقُولُ: يَا رَبِّ،قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا،وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا،فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ،فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ،فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ،فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ،ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ،فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ،فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو،فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ،فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ،فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ،فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ،فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ،ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ،ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ،فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ،فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ،فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا،فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا،فَيَتَمَنَّى،ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا،فَيَتَمَنَّى،حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ،فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا»
وقَالَ عَطَاءٌ،وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ،حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»،قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»،قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ «مِثْلُهُ مَعَهُ» ( أخرجه البخاري ومسلم)[166]0

7. فإذا عبروا عليه،وقفوا عند قنطرة بين الجنة والنار،فيُقتَصّ من بعضهم لبعض،فإذا هُذّبوا ونُقُّوا،أذن لهم في دخول الجنة،عَنْ أَبِي المُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ،أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ،فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ،فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا،حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ،فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» ( أخرجه البخاري )[167].

8. وأول من يستفتحُ بابَ الجنة محمدٌ عليه الصلاة والسلام،وأولُ من يدخل الجنةَ من الأمم أمتُه ﷺ،عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ».( أخرجه مسلم )[168]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ،فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ،فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ". ( أخرجه مسلم )[169].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ

---

[166] - [صحيح البخاري 8/ 117](6573) و[صحيح مسلم 1/ 163]299 - (182)

[ش (تضارون) تضرون أحدا أو يضركم أحد بمنازعة ومضايقة.(يجيز) يمشي عليه ويقطعه.(به) أي بالجسر الذي على جهنم.قال النووي مذهب أهل السنة أن رؤية المؤمنين ربهم ممكنة.ثم قال فقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة على إثباتها في الآخرة للمؤمنين.قال العيني روي في إثبات الرؤية حديث الباب وعن نحو عشرين صحابيا.[23 / 133]]

[167] - [صحيح البخاري 8/ 111](6535)

[168] - [صحيح مسلم 1/ 188]331 - (196)

[169] - [صحيح مسلم 1/ 188]333 - (197)

الْجَنَّةَ،بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ،فَاخْتَلَفُوا،فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ،فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ،هَدَانَا اللهُ لَهُ - قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا،وَغَدًا لِلْيَهُودِ،وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى ".(أخرجه مسلم)[170].

9. **ونؤمنُ بالجنةِ والنار،وأنهُما مخلوقتانِ لا تفنيانِ،**وأنَّ الله خلقَ لهما أهلاً فمنْ شاءَ منهم فإلى الجنةِ بفضلِه،ومنْ شاءَ منهم فإلى النارِ بعدلِه،قال تعالى:{ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) } [آل عمران/15]

وقال تعالى:{ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) } [آل عمران/136]

وقال تعالى:{ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198) } [آل عمران/198]

وقال تعالى:{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13)} [النساء/13]

وقال تعالى:{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57) } [النساء/57]

وقال تعالى:{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122) } [النساء/122]

وقال تعالى:{قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

---

[170] - [صحيح مسلم 2/ 585] 20 - (855)

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ( 119) } [المائدة/119]
وقال تعالى:{ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)} [هود/108]......
وأما في خلود أهل النار فقد قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162) } [البقرة/161-162]
وقال تعالى:{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوفِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88)} [آل عمران/85-88]
وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)} [النساء:168،169]
وقال تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)} [الأنعام/128]
وقال تعالى:{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) } [التوبة/67،68]

وقال تعالى:{ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)} [هود/106،107]

وقال تعالى:{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29) }[النحل/28،29]

وقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) } [الأحزاب/64-65]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ:اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا،فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا،ثُمَّ جَاءَ،فَقَالَ:أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا،ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ،ثُمَّ قَالَ:يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا،فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا،ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ:أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ " قَالَ:" فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ:يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا،فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا،ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ:أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا،فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ:يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا،فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا،ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ:أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ".(أخرجه أبوداود)[171]

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:أُتِيَ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ،قَالَ ﷺ:«أَوَلَا تَدْرِينَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ خَلْقًا فَجَعَلَهُمْ لَهَا أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ،وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» [172].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أُنَيْسَةَ،أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ،أَخْبَرَهُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ،سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ،{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ

---

171 - سنن أبي داود (4/ 236) (4744) صحيح
172 - صحيح ابن حبان - مخرجا (14/ 47)(6173 ) صحيح

بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ} [الأعراف:172] قَالَ:قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ الْآيَةَ فَقَالَ عُمَرُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺسُئِلَ عَنْهَا،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ،ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ،فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً،فَقَالَ:خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ،ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً،فَقَالَ:خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ "،فَقَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ،وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ» "[173]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ،قَالَ:قَامَ فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،فَقَالَ:«يَا بَنِي أَوْدٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،تَعْلَمُونَ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ،ثُمَّ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ،وَإِقَامَةٌ لَا ظَعْنَ فِيهِ،وَخُلُودٌ لَا مَوْتٌ فِي أَجْسَادٍ لَا تَمُوتُ»[174]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ:مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا،وَزَهِدْنَا فِي الدُّنْيَا،وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ،فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ فَآنَسْنَا أَهَالِينَا،وَشَمَمْنَا أَوْلاَدَنَا أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ،وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ كَيْ يُذْنِبُوا فَيَغْفِرَ لَهُمْ قَالَ:قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّ خُلِقَ الخَلْقُ؟ قَالَ:مِنَ الْمَاءِ،قُلْتُ:الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ:لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ،وَمِلاَطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ،وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ،وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلاَ يَبْأَسُ،وَيَخْلُدُ وَلاَ يَمُوتُ،لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ،وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ ثُمَّ قَالَ:ثَلاَثٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ،الإِمَامُ العَادِلُ،وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ،وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ

---

[173] - سنن أبي داود (4/ 227) (4703 ) و[صحيح ابن حبان - مخرجا 14/ 38](6166 ) و[مسند أحمد ط الرسالة 1/ 399](311 ) صحيح لغيره

[174] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 157)(281 ) صحيح

الغَمَامِ،وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ،وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ:وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ."[175]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ،وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ " [176].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ،أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ،فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ،ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،خُلُودٌ لَا مَوْتَ،وَيَا أَهْلَ النَّارِ،خُلُودٌ لَا مَوْتَ "[177].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ،وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ،جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ،ثُمَّ يُذْبَحُ،ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،خُلُودٌ لَا مَوْتَ،يَا أَهْلَ النَّارِ،خُلُودٌ لَا مَوْتَ،فَازْدَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ،وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ " [178].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ،فَيُنَادِي مُنَادٍ:يَا أَهْلَ الجَنَّةِ،فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ،فَيَقُولُ:هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ:نَعَمْ،هَذَا المَوْتُ،وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ،ثُمَّ يُنَادِي:يَا أَهْلَ النَّارِ،فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ،فَيَقُولُ:وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ:نَعَمْ،هَذَا المَوْتُ،وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ،فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ:يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ،وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ،ثُمَّ قَرَأَ:{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم:39]،وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [مريم:39] "[179]

---

[175] - سنن الترمذي ت بشار (4/ 253)(2526) صحيح لغيره -الأذفر: الطيب الرائحة =الملاط :الطين الذى يطلى به الحائط

[176] - [صحيح البخاري 8/ 113](6545 )

[177] - [السنن الكبرى للنسائي 10/ 289]( 11505) صحيح

[178] - [مسند أحمد ط الرسالة 10/ 198](5993 ) صحيح

[179] - صحيح البخاري (6/ 93)(4730 ) وصحيح مسلم (4/ 2188) 40 - (2849)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ» قَالَ:" فَيُقَالُ:يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ،فَيَقُولُونَ:نَعَمْ،هَذَا الْمَوْتُ،فَيُقَالُ:يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ،فَيَقُولُونَ:نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ،ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ " قَالَ:" فَيَقُولُ:يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ،وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ:ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم:39] وَأَشَارَ بِيَدِهِ فِي الدُّنْيَا ".[180]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺفِي هَذِهِ الْآيَةِ {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ} [مريم:39] قَالَ:" يُنَادَى:يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،فَيَشْرَئِبُّونَ،فَيَنْظُرُونَ،ثُمَّ يُنَادَى:يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ،فَيُقَالُ:هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ؟ قَالَ:فَيَقُولُونَ:لَا،قَالَ:فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ،فَيُقَالُ:هَذَا الْمَوْتُ،ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيُذْبَحُ،قَالَ:ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ،وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ:ثُمَّ قَرَأَ {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} [مريم:39][181]

وقَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،فِي قَوْلِهِ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ} [مريم: 39] قَالَ: يُصَوِّرُ اللَّهُ الْمَوْتَ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ،فَيُذْبَحُ،قَالَ: فَيَيْأَسُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ الْمَوْتِ،فَلَا يَرْجُونَهُ،فَتَأْخُذُهُمُ الْحَسْرَةُ مِنْ أَجْلِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ،وَفِيهَا أَيْضًا الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ،وَيَأْمَنُ أَهْلُ الْجَنَّةِ

---

[(يؤتى الموت) أي يجسد ويؤتى به.(كهيئة) كخلقة.(كبش) ذكر الغنم.(أملح) أبيض يشوبه سواد.(فيشرئبون) يمدون أعناقهم لينظروا.(خلود) استمرار وعدم فناء.(الحسرة) الندم على التقصير.(قضي الأمر) فرغ من الحساب.(في غفلة) في الدنيا حيث كانوا يستطيعون أن يعملوا للآخرة.(لا يؤمنون) بالله تعالى وما بينه في شرائعه مما يكون في الآخرة / مريم 39 /]

[180] - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (15/ 545) صحيح

[181] - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (15/ 546) صحيح

الْمَوْتَ،فَلَا يَخْشَوْنَهُ،وَأَمِنُوا الْمَوْتَ،وَهُوَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ،لِأَنَّهُمْ يُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّةِ [182]

10. **والجنةُ دارُ النعيم التي أعدَّها الله تعالى للمؤمنين في مقعدٍ صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ**،فيها من أنواعُ النعيم المقيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ،قال تعالى:( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) [السجدة:17].

وقال تعالى:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)} [الغاشية/8-16].

وقال تعالى:{ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28) [المطففين/22-28] }.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  قَالَ:" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ،مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ،وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ،وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:" اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة:17] ".( أخرجه البخاري ومسلم)[183].

11. **وأمَّا النارُ فهي دارُ العذاب التي أعدَّها الله تعالى أصلاً للكافرين**،قال تعالى:( وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ للكَافِرِينَ ) [آل عمران:131].

---

182 - [تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر 15/ 546] حسن لغيره = **انظر التفاصيل في كتابي الإيمان بيوم القيامة وأهواله**

183 - صحيح البخاري (6/ 115) (4779 ) وصحيح مسلم (4/ 2174) 2 - (2824)

**وانظر كتابي (( صفة الجنة في القرآن والسنة ))**

وقال تعالى:{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) [النبأ/21-30] }.
**وأهلُ النار خالدين فيها أبدا،** قال تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} (36) سورة فاطر.
وقال تعالى:{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78) [الزخرف/74-78] }.
وقال تعالى:{ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22) [الحج/19-22] }
وقال تعالى:{ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56) [الواقعة/51-56] }
ويدخلها عصاةُ المسلمين،ولكنها ليست دارهم التي أعدَّت لهم،ولذلك إذا دخلوها لم يخلدوا فيها،بل يعذَّبون

بقدر ذنوبهم ثم مصيرهم إلى الجنة التي هي دارُ المؤمنين.[184]
**12. ونؤمنُ بالشفاعةِ التي أذنَ الله تعالى بها لنبيه محمد ﷺ،فله في القيامة عدة شفاعاتٍ:**
**-أما الأولى:فشفاعتُه في أهل الموقف كي يقضَى بينهم بعد أن يتراجعَ الأنبياءُ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام عن الشفاعةِ حتى تنتهي إلى نبينا محمدٍ عليه الصلاة والسلام**،فعن مَعْبَدَ بْنِ هِلاَلٍ العَنَزِيِّ،قَالَ:اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ البُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ،فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى،فَاسْتَأْذَنَّا،فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ،فَقُلْنَا لِثَابِتٍ:لاَ تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ،فَقَالَ:يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلاَءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ،فَقَالَ:حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ:" إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ،فَيَأْتُونَ آدَمَ،فَيَقُولُونَ:اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ،فَيَقُولُ:لَسْتُ لَهَا،وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ،فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ،فَيَقُولُ:لَسْتُ لَهَا،وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ،فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ:لَسْتُ لَهَا،وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ،وَكَلِمَتُهُ،فَيَأْتُونَ عِيسَى،فَيَقُولُ:لَسْتُ لَهَا،وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ،فَيَأْتُونِي،فَأَقُولُ:أَنَا لَهَا،فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي،فَيُؤْذَنُ لِي،وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ،فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ،وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،فَيَقُولُ:يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ،وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ،وَسَلْ تُعْطَ،وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،فَأَقُولُ:يَا رَبِّ،أُمَّتِي أُمَّتِي،فَيَقُولُ:انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ،فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ،ثُمَّ أَعُودُ،فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ،ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ

---
[184] - **انظر التفاصيل في كتابي (( صفة النار في القرآن والسنة ))**

سَاجِدًا،فَيُقَالُ:يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ،وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ،وَسَلْ تُعْطَ،وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،فَأَقُولُ:يَا رَبِّ،أُمَّتِي أُمَّتِي،فَيَقُولُ:انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ،فَأَنْطَلِقُ،فَأَفْعَلُ،ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ،ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،فَيَقُولُ:يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ،وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ،وَسَلْ تُعْطَ،وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،فَأَقُولُ:يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي،فَيَقُولُ:انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ،فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ،فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ " فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا:لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ،فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ:يَا أَبَا سَعِيدٍ،جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ،فَقَالَ:هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالحَدِيثِ،فَانْتَهَى إِلَى هَذَا المَوْضِعِ،فَقَالَ:هِيهْ،فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا،فَقَالَ:لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلاَ أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا،قُلْنَا:يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ،وَقَالَ:خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ،قَالَ:" ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ،ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،فَيُقَالُ:يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ،وَقُلْ يُسْمَعْ،وَسَلْ تُعْطَهْ،وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،فَأَقُولُ:يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،فَيَقُولُ:وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي،وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " أخرجه البخاري ومسلم[185].

---

[185] - صحيح البخاري (9/ 146) (7510 ) وصحيح مسلم (1/ 182):326 - (193)

[ش (ماج) اضطرب واختلط.(خليل الرحمن) هو الذي أحبه محبة كاملة لا نقص فيها ولا خلل.(روح الله وكلمته) أي الذي خلقه مباشرة بكلمة منه دون واسطة أب.(فأستأذن على ربي) أتوسل إليه أن يأذن لي بالشفاعة (يلهمني محامد) يلقي في نفسي معاني للحمد لم تسبق لي.(أخر) أسقط على وجهي.(متوار) مختف في منزل أبي خليفة الطائي البصري خوفا من

وهي التي عناها القرآن الكريم بقوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} (79) سورة الإسراء
-**وأمَّا الثانيةُ:فيشفعُ في أهلِ الجنةِ أن يدخلوا الجنة**،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،حُذَيْفَةَ،قَالَا:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ،فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ،فَيَأْتُونَ آدَمَ،فَيَقُولُونَ:يَا أَبَانَا،اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ،فَيَقُولُ:وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ،لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ،اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ "،قَالَ:" فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ:لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ،إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ،اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا،فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ،فَيَقُولُ:لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ،اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ،فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ:لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ،فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ،فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ،وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ،فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا،فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ:قُلْتُ:بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ:" أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ،ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ،وَشَدِّ الرِّجَالِ،تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ:رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ،حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ،حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا "،قَالَ:«وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ،فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ،وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.( أخرجه مسلم )[186]

---

الحجاج.(بالحسن) البصري.(هيه) زد من هذا الحديث.(وهو جميع) مجتمع وهو الرجل الذي بلغ أشده أراد أنه كان شابا حين حدثه بذلك (تتكلوا) تعتمدوا على الشفاعة فتتركوا العمل]

[186] - صحيح مسلم (1/ 187) 329 - (195)
(تزلف) أي تقرب كما قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت (من وراء وراء) قال الإمام النووي قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمة عليه وقال الفتح صحيح وتكون الكلمة مؤكدة كشذر مذر وشغر بغر وسقطوا بين بين فركبهما وبناهما

**- وأما الثالثة:فهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين**؛كما في شفاعته لعمه أبي طالب،فيكون في ضحضاح من نار؛فعن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ لِلنَّبِيِّ : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ،فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ:«هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ،وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (أخرجه الشيخان)[187].

لأنَّ الله أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين،ونبينا  أخبر أن شفاعته لأهل التوحيد خاصة.فشفاعتُه لعمه أبي طالب خاصة به وخاصة لأبي طالب،وهذه الشفاعات الثلاث خاصة له .

**- وأما الرابعة:فشفاعته فيمن استحق النار من الموحدين أن يخرج منها،أولا يدخلها أصلاً**،وهذا النوع له ،ولسائر النبيين والصديقين والشهداء ونحوهم ممن أذنَ الله لهم،فيشفعُ فيمن استحقَّ النار ألا يدخلَها،ويشفعُ فيمن دخلَها أن يخرجَ منها،فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،عَنِ النَّبِيِّ قَالَ:«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ  فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ،يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ» (أخرجه البخاري)[188]

---

على الفتح (وترسل الأمانة والرحم) إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى (جنبتي الصراط) معناهما جانباه ناحيتاه اليمنى واليسرى (وشد الرجال) الشد هو العدو البالغ والجري (تجري بهم أعمالهم) هو تفسير لقوله  فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره (حافتي الصراط) هما جانباه (ومكدوس) قال في النهاية أي مدفوع وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط

[187] - صحيح البخاري (5/ 52) (3883 ) وصحيح مسلم (1/ 194) 357 - ( 209)

[(ما أغنيت) ماذا نفعته وأي شيء دفعته عنه.(عمك) أبي طالب.(يحوطك) يصونك ويدافع عنك.(ضحضاح) هو الموضع القريب القعر والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب.(الدرك) طبق من أطباق جهنم وأسفل كل شيء ذي عمق ويقال لما انخفض درك كما يقال لما ارتفع درج]

[188] - صحيح البخاري (8/ 116)(6566 )

وعَنْ حُذَيْفَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ مُنْتِنِينَ قَدْ مَحَشَتْهُمُ النَّارُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ فَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيُّونَ»[189]

وعَنْ حُذَيْفَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الْفَاجِرُ فِي دِينِهِ،الْأَحْمَقُ فِي مَعِيشَتِهِ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الَّذِي قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنْبِهِ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ»[190]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ:« شَفَاعَتِى لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى ».( أخرجه أبوداود )[191].

---

[189] - مسند أبي داود الطيالسي (1/ 335)(420) صحيح

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:هَذَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ،أَحَدُهُمَا إِخْبَارٌ عَنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى،وَعِظَمِ مَغْفِرَتِهِ أَيْ:يَبْلُغُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ حَتَّى يَغْفِرَ لِمَنْ كَانَ فَاجِرًا فِي دِينِهِ،أَيْ مُتَخَلِّعًا مُنْهَمِكًا فِي الْمَعَاصِي،مُرْتَكِبًا لِلْكَبَائِرِ،مُضَيِّعًا لِلْحُقُوقِ،مُتَعَدِّيًا جَائِرًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ كُلَّهَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى الْفُجُورِ؛ لِأَنَّ الْفُجُورَ مَيْلٌ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ،وَانْحِرَافٌ عَنْ سُنَنِ الْهَدْيِ،وَالْفُجُورُ الْكَذِبُ أَيْضًا،يُقَالُ:يَمِينٌ فَاجِرَةٌ،أَيْ كَاذِبَةٌ.قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ:جَعَلْتُمْ حَارِثَةَ بْنَ لَامٍ إِلَيْهَا تَحْلِفُونَ بِهِ فُجُورًا.أَيْ كَذِبًا وَمَيْلًا عَنِ الْحَقِّ.وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:وَالسَّخْلَةُ فَلَمْ يَحْمِلْهُ،اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَاجِرًا،أَيْ:جَارَ وَمَالَ.فَيَكُونُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لِلْجَائِرِ الْمَائِلِ عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ الْمُرْتَكِبِ لِلْكَبَائِرِ قَوْلًا وَفِعْلًا.وَالْأَحْمَقُ فِي الْمَعِيشَةِ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ،وَلَا يُوَفِّرُ الْحُقُوقَ عَلَى أَهْلِهَا الْمُبَذِّرُ بِمَا فِي يَدَيْهِ،الْمُنْفِقُ لَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ إِذَا كَانَ صَادِقًا فِي إِيمَانِهِ بِاللَّهِ مُوَحِّدًا لَهُ غَيْرَ مُشْرِكٍ وَلَا جَاحِدٍ لَهُ.وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ إِمَّا بِالْعَفْوِ،وَالتَّجَاوُزِ،وَالْمَغْفِرَةِ الَّتِي هِيَ مَضْمُونُ مَشِيئَتِهِ بِقَوْلِهِ:{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:48] أَوْ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺكَمَا قَالَ ﷺ:«شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺوَقِيلَ لَهُ:مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».وَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:لِمَنْ تَشْفَعُ؟ قَالَ:«لِأَصْحَابِ الدِّمَاءِ وَالْعَظَائِمِ»بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص:291)

[190] - المعجم الكبير للطبراني (3/ 168)(3022 ) حسن

[191] - سنن أبي داود (4/ 236) (4739 ) وسنن الترمذي ت شاكر (4/ 625)(2435) وهوصحيح مشهور

أَيِ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ بِذُنُوبِهِمُ الْكَبَائِرِ فَلَا يَدْخُلُونَ بِهَا النَّارَ وَأُخْرِجُ بِهَا مَنْ أَدْخَلَتْهُ كَبَائِرُ ذُنُوبِهِ النَّارَ مِمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كَذَا فِي السِّرَاجِ الْمُنِيرِ "عون المعبود وحاشية ابن القيم (13/ 51) وانظر شرح العقيدة الواسطية - (ج 1 / ص 287) والتنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة - (ج 1 / ص 76)

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها لثبوت أدلتها وأنها لا تحققُ إلا بشرطين:

الشرط الأول:إذن الله للشافع أن يشفعَ،كما قال تعالى:{مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} الآية (255) البقرة ،وقوله تعالى:{مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} الآية (3) من سورة يونس.

الشرط الثاني:رضا الله عن المشفوع له كما قال تعالى:{وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} الآية (28) الأنبياء ويجمع الشرطين قوله تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شيئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى} الآية (26) النجم.)[192].

14- **ويُخرجُ الله تعالى من النار أقواماً بغير شفاعةٍ،بفضله سبحانه ورحمته**،فعَنْ أَنَسٍ:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:"يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً،ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً،ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً ".أخرجه البخاري ومسلم[193].

وعن أبي الزُّبَيْرِ،أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ،يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ،فَقَالَ:نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا،انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ:فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا،وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ،الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ،ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ،فَيَقُولُ:مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ:نَنْظُرُ رَبَّنَا،فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ:حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ،فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ،قَالَ:فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ،وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا،أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا،ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ

---

[192] - **انظر التفاصيل في كتابي (( الإيمان بيوم القيامة وأهواله ))**

[193] - صحيح البخاري (9/ 122)(7410 ) وصحيح مسلم (1/ 182) 325 - ( 193)

[ش(الخير) الإيمان.(برة) قمحة.(ذرة) النملة الصغيرة]

كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ،تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ،ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ،ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ،فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ،ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ،وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ:لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً،فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ،وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ،وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ،ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا ".أخرجه مسلم[194].

وعن جَابِرَ قالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:«نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ فَوْقَ النَّاسِ،فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا،وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ،الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ،حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ،فَيَقُولُ:مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَيَقُولُونَ:نَنْتَظِرُ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ،فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمُ،فَيَقُولُونَ:حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ،فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ» قَالَ جَابِرٌ:فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«ثُمَّ يَنْطَلِقُ وَيَتْبَعُونَهُ»[195].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا،وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا،رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا،فَيَقُولُ اللَّهُ:اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ،فَيَأْتِيهَا،فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى،فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ:يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى،فَيَقُولُ:اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ،فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى،فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ:يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى،فَيَقُولُ:اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ،فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ:إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ:تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ:تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ،وَكَانَ

---

[194] - صحيح مسلم (1/ 177) 316 - (191)
(حراقه) معناه أثر النار والضمير في حراقه يعود على المخرج من النار = الحسك :جمع حسكة وهى الشوكة الصلبة = الزمرة :الجماعة من الناس
[195] - الزهد لأسد بن موسى (ص:45)(54 ) صحيح

يَقُولُ:«ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً».( أخرجه البخاري ومسلم )[196].

**15- ويبقى في الجنة فضلٌ فينشئ الله له أقواماً فيدخلهم الجنة**،فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،فَيَبْقَى مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ،فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا - يَعْنِي - خَلْقًا حَتَّى يَمْلَأَهَا ". ( أخرجه أحمد)[197].

**16- ونؤمنُ برؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة،وفي الجنة**،كما قال تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) [القيامة/22،23] }.

**وكما تواترت الأخبارُ بذلك عن رسول الله ﷺ بأنَّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كما يرونَ القمر ليلةَ البدر لا يضامونَ في رؤيته**،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ أُنَاسٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ:«هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا:لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا:لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:" فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ،يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ،فَيَقُولُ:مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ،فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ،وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ،وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ،وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا،فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ:نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ،هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا،فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ،فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ:أَنْتَ رَبُّنَا

---

[196] - صحيح البخاري (8/ 117) (6571 ) وصحيح مسلم (1/ 174) 309 - (186)
[(حبوا) زحفا.(مثل الدنيا) أي أرضها من حيث السعة والنفع.(تسخر مني أو تضحك مني) تفعل بي ما يفعله الضاحك والساخر وقال ذلك حين استخفه الفرح وأدهشه.(بدت نواجذه) ظهرت أواخر أسنانه.(أدنى) أقل.(منزلة) مكانا ومنزلا]

[197] - [مسند أحمد ط الرسالة 20/ 17](12541 ) صحيح - وهوفي البخاري برقم(4850 ) ومسلم برقم7354 ) ضمن حديث عن أبي هريرة

فَيَتْبَعُونَهُ،وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"
فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ،وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ:اللَّهُمَّ سَلِّمْ
سَلِّمْ.وَبِهِ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ،أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ
السَّعْدَانِ؟ " قَالُوا:بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:" فَإِنَّهَا مِثْلُ
شَوْكِ السَّعْدَانِ،غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا
اللَّهُ،فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ،مِنْهُمُ المُوبَقُ
بِعَمَلِهِ،وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ،ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ
القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ،وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ
يُخْرِجَ،مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ
يُخْرِجُوهُمْ،فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ،وَحَرَّمَ اللَّهُ
عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ،فَيُخْرِجُونَهُمْ
قَدْ امْتُحِشُوا،فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ
الحَيَاةِ،فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ،وَيَبْقَى رَجُلٌ
مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ،قَدْ قَشَبَنِي
رِيحُهَا،وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا،فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ،فَلاَ
يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ،فَيَقُولُ:لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي
غَيْرَهُ،فَيَقُولُ:لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ،فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ
عَنِ النَّارِ،ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ:يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ
الجَنَّةِ،فَيَقُولُ:أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،وَيْلَكَ
ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ،فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو،فَيَقُولُ:لَعَلِّي إِنْ
أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ،فَيَقُولُ:لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ
غَيْرَهُ،فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ
غَيْرَهُ،فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ،فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ،ثُمَّ يَقُولُ:رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ،ثُمَّ
يَقُولُ:أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،وَيْلَكَ يَا ابْنَ
آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ،فَلاَ
يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ،فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ
فِيهَا،فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ:تَمَنَّ مِنْ كَذَا،فَيَتَمَنَّى،ثُمَّ يُقَالُ
لَهُ:تَمَنَّ مِنْ كَذَا،فَيَتَمَنَّى،حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ،فَيَقُولُ
لَهُ:هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:«وَذَلِكَ الرَّجُلُ
آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا»

قَالَ عَطَاءٌ،وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ،حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:«هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»،قَالَ أَبُو سَعِيدٍ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  يَقُولُ:«هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»،قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:حَفِظْتُ «مِثْلُهُ مَعَهُ» ( أخرجه البخاري)[198].

---

[198] - صحيح البخاري (8/ 118)(6573و6574 ) وصحيح مسلم (1/ 163) 299 - (182)

[ش (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وفي الرواية الأخرى هل تضامون) وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر وروى أيضا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب ومعناه لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضا في رؤيته (فإنكم ترونه كذلك) معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف (الطواغيت) هو جمع طاغوت قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى قال الواحدي الطاغوت يكون واحدا وجمعا ويؤنث ويذكر قال الله تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فهذا في الواحد وقال تعالى في الجمع والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم وقال في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال في المصباح وهو في تقدير فعلوت بفتح العين لكن قدمت اللام موضع العين واللام واو محركة مفتوح ما قبلها فقلبت ألفا فبقي في تقدير فعلوت وهو من الطغيان قاله الزمخشري (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم) معناه يمد الصراط عليها (فأكون أنا وأمتي أول من يجيز) معناه يكون أول من يمضي عليه ويقطعه يقال أجزت الوادي وجزته لغتان بمعنى واحد وقال الأصمعي أجزته قطعته وجزته مشيت فيه (وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) أما الكلاليب فجمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل فيها التنور قال صاحب المطالع هي خشبة في رأسها عقافة حديد وقد تكون حديدا كلها ويقال لها أيضا كلاب وأما السعدان فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب (بقي بعمله) ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه أحدها المؤمن بقي والثاني والثالث الموبق يعني بعمله قال القاضي هذا أصحها وكذا قال صاحب المطالع هذا الثالث هو الصواب قال وفي يقي على الوجه الأول ضبطان أحدهما بالباء الموحدة والثاني بالياء المثناة قال النووي والموجود في معظم الأصول ببلادنا هو الوجه الأول (قد امتحشوا) معناه احترقوا (فينبتون منه) معناه ينبتون بسببه (كما تنبت الحبة في حميل السيل) الحبة

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ النَّاسُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ »،قَالُوا:لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ »،قَالُوا:لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،فَيَقُولُ:مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ،فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ،وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ،وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ،وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا،فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ:نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَقَامُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا،فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ،قَالَ:فَيَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا،وَيُضْرَبُ جِسْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ»،قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُهُ،وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ:اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ،وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ،هَلْ تَدْرُونَ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ »،قَالُوا:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ،فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ،فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ

---

هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول وجمعها حبب وحميل السيل ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه محمول السيل والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته (قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها) قشبني معناه سمني وآذاني وأهلكني كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب وقال الداودي معناه غير جلدي وصورتي وأما ذكاؤها فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها والأشهر في اللغة ذكاها مقصور وذكر جماعات أن المد والقصر لغتان (هل عسيت) لغتان بفتح السين وكسرها قال في الكشاف عند قوله تعالى (2 / 246 هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه (انفهقت) معناه انفتحت واتسعت (ليذكره من كذا وكذا) معناه يقول له تمن من الشيء الفلاني ومن الشيء الآخر يسمى له أجناس ما يتمنى،قال العيني روي في إثبات الرؤية حديث الباب وعن نحو عشرين صحابيا.[23 / 133]

بِعَمَلِهِ،وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ،ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ،وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ،مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ،فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ،قَالَ:وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ،قَالَ:فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ،يُقَالُ لَهُ:مَاءُ الْحَيَاةِ،فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ،قَالَ:وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا،وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا،فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ،فَلَا يَزَالُ يَدْعُو،فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:فَلَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،فَيَقُولُ:لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ،فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ،ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ:يَا رَبِّ،قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ،فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا:أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ،فَلَا يَزَالُ يَدْعُو،فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا:فَلَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،فَيَقُولُ:لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ،وَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ،فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَلَمَّا قَرَّبَهُ مِنْهَا انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ،فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ،ثُمَّ يَقُولُ:يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ،فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا:أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ،وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ،قَالَ:فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ جَلَّ وَعَلَا،فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ دُخُولِ الْجَنَّةِ،فَإِذَا دَخَلَ قِيلَ لَهُ:تَمَنَّ كَذَا وَتَمَنَّ كَذَا،فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ،فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا:هُوَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»،قَالَ أَبُو سَعِيدٍ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،يَقُولُ:«هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ،فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:حَفِظْتُ:« هُوَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا »[199]

---

[199] - صحيح ابن حبان - مخرجا (16/ 450)(7429 ) صحيح

قوله :فيأتيهم الله إِلَى آخِره،هَذَا من أَحَادِيث الصِّفَات فإمَّا أَن يُوقف عَن الْخَوْض فِي مَعْنَاهُ ويعتقد لَهُ معنى يَلِيق بِجلَال الله تَعَالَى مَعَ الْجَزْم بِأَن



الله تَعَالَى لَيْسَ كمثله شَيْء وَأَنه منزه عَن التجسيم والانتقال والتحيز فِي جِهَة وَعَن سَائِر صِفَات المخلوقين أَو يؤول على مَا يَلِيق بِهِ فَيجْعَل الْإِتْيَان عبارَة عَن رُؤْيَتهمْ إِيَّاه وَلِأَن الْعَادة أَن من غَابَ عَن غَيره لَا يُمكنهُ رُؤْيَته إِلَّا بالإتيان وَقيل المُرَاد يَأْتِيهم بعض مَلَائكَته قَالَ القَاضِي وَهَذَا الْوَجْه أشبه عِنْدِي بِالْحَدِيثِ قَالَ وَيكون هَذَا الْملك الَّذِي جَاءَهُم فِي الصُّورَة الَّتِي أنكروها من سمات الْحُدُوث الظَّاهِرَة على الْملك الْمَخْلُوق قَالَ أَو يكون مَعْنَاهُ يَأْتِيهم الله بِصُورَة وَيظْهر لَهُم فِي صُورَة مَلَائكَته ومخلوقاته الَّتِي لَا تشبه صِفَات الْإِلَه ليختبرهم وَهَذَا آخر امتحان للْمُؤْمِنين فَإِذا قَالَ لَهُم هَذَا الْملك أَو هَذِه الصُّورَة أَنا ربكُم وَعَلِيهِ من عَلامَة الْمَخْلُوق مَا ينكرونه ويعلمون بِهِ أَنه لَيْسَ رَبهم استعاذوا بِاللَّه مِنْهُ وَأما قَوْله فيأتيهم الله فِي صورته الَّتِي يعْرفُونَ فَالْمُرَاد الَّتِي يعلمونها ويعرفونه بهَا وَإِنَّمَا عرفوه بِصفتِهِ وَإِن لم تكن تقدّمت لَهُم رُؤْيَة لَهُ سُبْحَانَهُ لأَنهم يرونه لَا يشبه شَيْئا من مخلوقاته فيعلمون أَنه رَبهم وَإِنَّمَا عبر عَن الصّفة بالصورة لمجانسة الْكَلَام فَإِنَّهُ تقدم ذكر الصُّورَة،فيتبعونه أَي يتبعُون أمره إيَّاهُم بذهابهم إِلَى الْجنَّة أَو مَلَائكَته الَّذين يذهبون بهم إِلَى الْجنَّة "..قَالَ أَبُو سعيد وَعشرَة أَمْثَاله إِلَى آخِره قَالَ الْعلمَاء وَجه الْجمع أَن النَّبِي  أعلم أَولا بِمَا جَاءَ فِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة ثمَّ تكرم الله سُبْحَانَهُ فَزَاد مَا فِي رِوَايَة أبي سعيد فَأخْبر بِهِ النَّبِي وَلم يسمعهُ أَبُو هُرَيْرَة وَذَلِكَ الرجل آخر أهل الْجنَّة دُخُولا الْجنَّة" شرح السيوطي على مسلم (1/ 232)

# حقائق هامة عن البعث والنشور

***-البعث ضرورة شرعية وعقلية :**

أولا:إن الله خلق الخلقَ لغايةٍ محددة في الدنيا إلى أجلٍّ مسمًّى،فإذا كان كذلك،فإنَّ الحياةَ الدنيا لا يمكن أن تكون آخر المطاف،حتى يعلمَ الله المصلحَ من المفسد،ويجازي كلا بعمله،قال الله تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (115) سورة المؤمنون.

ثانيا:اتفاقُ الرسالات السماوية جميعا على أن الناسَ سوف يموتون ويبعثون ليوم يجازون فيه على أعمالهم.بل وحتى الأديانِ الأرضية تقومُ على حقيقة البعثِ والجزاءِ.

ثالثا:شعورُ كلِّ الناس قديما وحديثا بوجود حياةٍ أخرى يلقى فيها الإنسان جزاءَ عمله الذي قام به في هذه الدنيا من خير أوشر.وهذه الغريزةُ الموجودة في نفس الإنسان هي التي تجعله يعرف الخيرَ بالجملة ويحبُّ فعله،ويعرف الشرَّ كذلك ويكرَهُ فعله وفاعله.فهذا الشعورُ ينبعثُ من إحساسِ الإنسانِ بوجود حياة أخرى يجازَى فيها على عمله،ويستحيلُ أن يتفقَ شعورُ الناس قاطبةً على ذلك،ثمَّ يكونُ منطلقَ ذلك ونهايتَه وهمٌ وخيالٌ.

رابعا:نشاهدُ في حياتنا الدنيا ظالمينَ بقوا على حالهم حتى الموت،ومظلومينَ كذلك حتى آخر حياتهم،فإذا كانتِ الحياة الدنيا هي نهايةَ المطافِ،فهل يكونُ ذلك عدلاً وحكمةً!!.

كما أننا نشاهدُ في الأرض كفاراً ومؤمنينَ،وكلٌّ منهم يظلُّ على حالهِ حتى مماتهِ- مع اختلافِ أعمالهم في الحياة الدنيا- فهلْ من العدلِ أن يسوَّى بينهم بأن يكون الموتُ هوختامَ الرواية ولا شيءَ بعدها!! .

قال الله تعالى:{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } (28) سورة ص،وقال تعالى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} (21) سورة الجاثية.

*** إمكانُ البعث:**

لقد تضافرتِ الأدلةُ على إمكانِ البعث،وهي من القوةِ بحيثُ يعجزُ عاقلٌ عن إنكارهِ،لأنَّ قضيةَ البعثِ متقررةٌ في النفوسِ.ومن الأدلة على ذلك:

1- الأخبارُ السابقة من الله تعالى عن الرسلِ الكرام،فقد اتفقتْ جميعُ الرسالاتِ على أنَّ الله تعالى قادرٌ على إعادة الخلقِ بعد موتهم وأنه تعالى فاعلٌ ذلك لا محالةَ.قال الله تعالى:{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (7) سورة التغابن،وقال الله تعالى:{اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُولَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا} (87) سورة النساء.

2- أنَّ القادر على فعل الشيءِ ابتداء وإيجاده من العدمِ لا يعجزه أن يعيدَ ذلك الشيء بعد عدمه.فالله تعالى هوفاطرُ السماوات والأرضِ ومن فيهن ابتداء أ فيعجزهُ أن يفنيَ ذلك ثم يعيدُه!!

لذا قال الله تعالى:{وَهُوالَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوأَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (27) سورة الروم،وقال تعالى:{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (104) سورة الأنبياء.

3- إنَّ الأرضِ تكونُ هامدةً لا حياة فيها،فينزل الله تعالى الماء فتنمووتخضرُّ.فالقادرُ على إحيائها قادرٌ على إحياء الموتى.قال الله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى

الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (39) سورة فصلت،وقال تعالى :{ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوخَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوبِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوالْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)[يس/77-83] }.

أو لم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده،أنا خلقناه من نطفة مرَّت بأطوار حتى كَبِر،فإذا هو كثير الخصام واضح الجدال؟

وضرب لنا المنكر للبعث مثلا لا ينبغي ضربه،وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق،ونسي ابتداء خلقه،قال:مَن يحيي العظام البالية المتفتتة؟

قل له:يحييها الذي خلقها أول مرة،وهو بجميع خلقه عليم،لا يخفى عليه شيء.

الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب نارًا محرقة،فإذا أنتم من الشجر توقدون النار،فهو القادر على إخراج الضد من الضد.وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته،ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

أو ليس الذي خلق السموات والأرض وما فيهما بقادر على أن يخلق مثلهم،فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى،إنه قادر على ذلك،وهو الخلاق لجميع المخلوقات،العليم بكل ما خلق ويَخْلُقُ،لا يخفى عليه شيء.

إنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا أن يقول له:«كن» فيكون،ومن ذلك الإماتة والإحياء،والبعث والنشور.
فتنزه الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك،فهو المالك لكل شيء،المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع،وقد ظهرت دلائل قدرته،وتمام نعمته،وإليه تُرجعون للحساب والجزاء.[200]
إن الأمر أيسر وأظهر من أن يدور حوله سؤال.فما بال الجدل الطويل؟! «قُلْ: يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ.وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» ..ثم يزيدهم إيضاحا لطبيعة القدرة الخالقة،وصنعها فيما بين أيديهم وتحت أعينهم مما يملكون: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ».
والمشاهدة الأولية الساذجة تقنع بصدق هذه العجيبة! العجيبة التي يمرون عليها غافلين.عجيبة أن هذا الشجر الأخضر الريان بالماء،يحتك بعضه ببعض فيولد نارا ثم يصير هو وقود النار.بعد اللدونة والاخضرار ..والمعرفة العلمية العميقة لطبيعة الحرارة التي يختزنها الشجر الأخضر من الطاقة الشمسية التي يمتصها،ويحتفظ بها وهو ريان بالماء ناضر بالخضرة والتي تولد النار عند الاحتكاك،كما تولد النار عند الاحتراق ..هذه المعرفة العلمية تزيد العجيبة بروزا في الحس ووضوحا.والخالق هو الذي أودع الشجر خصائصه هذه.والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.غير أننا لا نرى الأشياء بهذه العين المفتوحة ولا نتدبرها بذلك الحس الواعي.فلا تكشف لنا عن أسرارها المعجبة.ولا تدلنا على مبدع الوجود.ولو فتحنا لها قلوبنا لباحت لنا بأسرارها،ولعشنا معها في عبادة دائمة وتسبيح!
ثم يستطرد في عرض دلائل القدرة وتبسيط قضية الخلق والإعادة للبشر أجمعين: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

---

[200] - التفسير الميسر (1/ 445)

السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ» ..والسماوات والأرض خلق عجيب هائل دقيق ..هذه الأرض التي نعيش عليها ويشاركنا ملايين الأجناس والأنواع،ثم لا نبلغ نحن شيئا من حجمها،ولا شيئا من حقيقتها،ولا نعلم عنها حتى اليوم إلا القليل ..هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس التي تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها ..وهذه الشمس واحدة من مائة مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا،والتي تؤلف دنيانا القريبة! وفي الكون مجرات أخرى كثيرة.أو دنييات كدنيانا القريبة.عد الفلكيون حتى اليوم منها مائة مليون مجرة بمناظيرهم المحدودة.وهم في انتظار المزيد كلما أمكن تكبير المناظير والمراصد.وبين مجرتنا أو دنيانا والمجرة التالية لها نحو خمسين وسبع مائة ألف سنة ضوئية (السنة الضوئية تقدر بستة وعشرين مليون مليون من الأميال! ) ..وهناك كتل ضخمة من السدم التي يظن أنه من نثارها كانت تلك الشموس.وهذا هو الجزء الذي يدخل في دائرة معارفنا الصغيرة المحدودة! تلك الشموس التي لا يحصيها العد.لكل منها فلك تجري فيه.ولمعظمها توابع ذات مدارات حولها كمدار الأرض حول الشمس ..وكلها تجري وتدور في دقة وفي دأب.لا تتوقف لحظة ولا تضطرب.وإلا تحطم الكون المنظور واصطدمت هذه الكتل الهائلة السابحة في الفضاء الوسيع ..هذا الفضاء الذي تسبح فيه تلك الملايين التي لا يحصيها العد،كأنها ذرات صغيرة.لا نحاول تصويره ولا تصوره ..فذلك شيء يدير الرؤوس! «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ ».وأين الناس من ذلك الخلق الهائل العجيب؟

«بَلى! وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ» ..ولكن الله - سبحانه - يخلق هذا وذلك ويخلق غيرهما بلا كلفة ولا جهد.ولا يختلف بالقياس إليه خلق الكبير وخلق الصغير: «إِنَّما

أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ.فَيَكُونُ».يكون هذا الشيء سماء أو أرضا.ويكون بعوضة أو نملة.هذا وذلك سواء أمام الكلمة ..كن ..فيكون! ليس هناك صعب ولا سهل.وليس هنالك قريب ولا بعيد ..فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائنا ما يكون.إنما يقرب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود.[201]

[201] - [في ظلال القرآن للسيد قطب-ط1 - ت- علي بن نايف الشحود ص: 3762]

# ثمراتُ الإيمان باليوم الآخر

لما كانَ الإيمان باليوم الآخر أحدَ أصولِ الإيمان الستةِ التي لا يصحُّ إيمانُ مسلمٍ بدونها.
ولما لذلك الإيمانِ من أثرٍ في حياة المسلمِ وطاعته لأوامر الله (عزَّ وجلَّ) واجتنابِ نواهيه،ولما له من أثرٍ في صلاحِ القلوبِ وصلاحِ الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة،ولما في نسيانِ ذلك اليوم العظيمِ والغفلةِ عنه من خطرٍ على حياةِ الناسِ ومصيرِهِم..فلا غرابةَ إذن أن يردَ ذكرُ هذا اليوم كثيراً في القرآن الكريم،حتى لا تكاد تخلومنه صفحةٌ من صفحاتهِ.
وإذا كانَ الكتابُ والسنَّةُ قد اهتما غاية الاهتمامِ بتفاصيل ذلك اليوم المشهودِ،وبأحوال هذا النبأ العظيم؛ فإنه من الحمقِ والجهلِ ألا نهتمَّ بما اهتمَّ به الوحيانِ.
إنَّ أعظمَ قضيةٍ يجبُ أن ينشغلَ بها كلُّ واحد منا هي:قضيةُ وجودهِ وحياتهِ والغايةِ منها،وقضيةُ مستقبلهِ ومصيرهِ وشقائهِ وسعادتهِ،فلا يجوزُ أن يتقدمَ ذلك شيءٌ مهما كان،فكلُّ أمر دونه هينٌ،وكلُّ خطبٍ سواه حقيرٌ.وهل هناكَ أعظمُ وأفدحُ من أن يخسرَ الإنسانُ حياتَه وأهلَه،ويخسرَ مع ذلك سعادتَه وسعادتَهم،فماذا يبقى بعد ذلك؟ قال تعالى:{فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (15) سورة الزمر.
وقال تعالى:{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ} (45) سورة الشورى.
وأهميةُ هذا الموضوع تتجلَّى فيما يلي:

1- انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان وما صحب ذلك من مكر الليل والنهار بأساليب جديدة ودعايات خبيثة تزين الدنيا في أعين الناس وتصدهم عن الآخرة،ومع ما كان عليه صحابة رسول الله -ﷺ- من الإيمان والتقوى،فقد كانَ يحذرهم من الاغترار بالدنيا وضرورة الاستعداد للآخرة،مع أنَّ الدنيا لم تنفتحْ عليهم مثل اليوم،فلا شكَّ ولا ريبَ أننا أحوجُ منهم بكثير إلى أن نتذكرَ الآخرة ويذكِّرَّ بعضُنا بعضاً،بعظمةِ شأنها وأهمية الاستعداد لها،فعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ،قَالَ:خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ،فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:أَمَّا بَعْدُ،«فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ،وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ،يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا،وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا،فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ،فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ،فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا،لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا،وَوَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ،أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً،وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ،وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ،حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا،فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ،فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا،فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ،وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا،وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا،وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ،حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا،فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا»[202]

---

[202] - صحيح مسلم (4/ 2278) 14 - (2967)

[ش (آذنت) أي أعلمت (بصرم) الصرم الانقطاع والذهاب (حذاء) مسرعة الانقطاع (صبابة) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء (يتصابها) في القاموس تصابيت الماء شربت صبابته (قعرا) قعر الشيء أسفله (كظيظ) أي ممتلئ (قرحت) أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته (سعد بن مالك) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه]

2- ركونُ كثيرٍ من الناس للدنيا،ولقد ترتبَ على ذلك أن قستِ القلوب،وتحجرتِ الأعينِ،وهُجِرَ كتابُ الله (عز وجل)،وإذا قرأ أحدُنا القرآن قرأهُ بقلب لاهٍ،فأنَّى لمثل ذلك القلبِ أن يخشعَ لذكر اللهِ؟ وأنَّى لعينيهِ أن تدمعَ خوفاً من الله،وقد انعكس ذلك على الصلاةِ،فقلّ الخاشعونَ والمطمئنون فيها..والله المستعان.

3- لما في تذكُّرِ ذلك اليومِ ومشاهدهِ العظيمةِ من حثٍّ على العملِ الصالحِ،والمبادرةِ لفعل الخيراتِ وترك المنكراتِ،بل ما تكاسلَ المتكاسلون في عمل الصالحات سواءٌ الواجب منها والمسنونُ إلا بسببِ الغفلةِ عن الآخرة والانشغالِ عنها،يقول تعالى في وصف عباده الصالحين:{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (37) سورة النــور،وقال تعالى:{أَمَّنْ هُوقَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُورَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (9) سورة الزمر.

4- لمَّا ظهرَ في عصرنا اليومَ من المشكلاتِ المعقدةِ والأمراضِ المزمنةِ،التي نشأتْ عنها الأمراضُ النفسيةُ المتنوعةُ من القلقِ والاكتئابِ،اللذين يؤديانِ غالباً إلى حياةٍ يائسةٍ،ومن أسبابِ ذلك:البعدُ عن الله تعالى،وعن تذكُّرِ اليومِ الآخر.

5- لَمَّا تميزَ به زماننا اليومَ من كثرةِ المظالم في بعض المجتمعاتِ واعتداءِ الناس بعضهم على بعضٍ،من أكلٍ لأموالِ غيرهِم بدونِ وجهِ حقٍّ،وكذلك النيلُ من الأعراضِ،والحسدِ والتباغضِ،والفرقةِ والاختلافِ،وبخاصة بين بعضَ الدعاةِ وطلبةِ العلم،ولا شكَّ أنه لا شيءَ مثلَ تذكرِ اليومِ الآخرِ،وتذكُّـرِ الوقـوف بين يدي اللـه (عز وجلَ) علاجاً لتلكَ الأمراضِ.

6- ولمَّا كان الركونُ إلى الدنيا والغفلةُ عن الآخرةِ من أعظمِ الأسبابِ في وهنِ النفوس وضعفها كان لا بدَّ من التذكيرِ المستمرِّ بذلك اليوم،وما فيه من نعيمٍ أوجحيمٍ،لأنَّ في هذا التذكير أكبرَ الأثر في نشاط الهممِ وعدمِ الاستسلام للوهـنِ واليأسِ رجـاءَ ثواب اللـهِ (عزَّ وجلَّ) وما أعدَّهُ للمجاهدين في سبيله الداعين إليه.
7- ولمَّا قلَّ في برامجِ الدعوةِ والتربيةِ الاعتناءُ بهذه الجانب العظيمِ من التربية مما له الأثرُ الكبيرُ في الاستقامةِ على الجادة،والدعوةِ إلى الله على بصيرةٍ،ولكنْ نرى من بعضِ المهتمينَ بالدعوة من يستهينُ بهذا الجانبِ العظيمِ حتى صارَ بعضُهم يقللُ من أثرِ التذكرةِ بالآخرة بقوله:إن هذا الأمرَ يغلبُ عليه الوعظُ أوهذا مقالٌ عاطفيٌّ وعظيٌّ... إلخ..مع أنَّ المتأملَ لكتابِ الله (سبحانه) وسنَّةِ رسوله -- يرَى بجلاءٍ جانبَ الوعظِ بارزاً بالربطِ بين الدنيا والآخرةِ والثوابِ والعقابِ..نسألُ اللهَ أن يهدينا جميعاً،وأنْ يوفقَنا للاقتداءِ بالسنَّةِ والسيرِ على نهجِها.

**الآثارُ المرجوةُ لليقين باليوم الآخر:**

إنَّ في اليقينِ باليوم الآخرِ وأنبائه العظيمة لآثاراً واضحةً وثماراً طيبةً،لابدَّ أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه،وفي حياته كلِّها،ولكنَّ هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضمَّ إليه الصبر ومجاهدة الشهوات والعوائقِ،لأن الواحد منا -مع يقينهِ باليوم الآخر وأهواله -يرى في حياته أن ثمراتِ هذا اليقين ضعيفةٌ،فلابد إذن من سببٍ لهذا الأمر.

**وهناك ثمرات كثيرة للإيمان باليوم الآخر ومنها:**

**1- الإخلاصُ لله (عز وجل) والمتابعةُ للرسول :**

إنَّ الموقنَ بلقاءِ الله (عز وجل) يوم الفزعِ الأكبر،لا تلقاهُ إلا حريصاً على أعماله،خائفاً من كلِ ما يحبطها

من أنواعِ الشركِ الأكبر أوالشركِ الأصغر،حيث إنَّ الشركَ الأكبر يحبطُ جميعَ الأعمالِ،فتصير هباءً منثوراً،والشركُ الأصغر يحبطُ العملَ الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء،والعُجب،والمنِّ،وطلبِ الجاهِ والشرف في الدنيا،فكلَّما كان العبدُ موقناً بلقاء ربه كان منه الحرصُ الشديد على ألا تضيعَ منه أعمالُه الصالحةُ في موقف القيامة،يومَ أن يكون في أشدِّ الأوقات حاجةُ إليها؛ ولذلك فهويجاهدُ نفسه بحمايةِ أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله (تعالى) لعلَّ الله (عز وجل) أن ينفعه بها،كما أن اليقينَ بالرجوعِ إلى الله (عز وجل) يجعلُ العبد في أعماله كلِّها متبعاً للرسول -ﷺ- غيرَ مبتدع ولا مبدلٍ؛لأن الله (عز وجل) لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً صواباً،قال (تعالى):- ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُولِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)) [الكهف:110].

**2- الحذرُ من الدنيا والزهدُ فيها والصبرُ على شدائدها وطمأنينةُ القلب وسلامتُه:**

إذا أكثرَ العبدُ ذكر الآخرة،وكانت منه دائماً على بالٍ،فإنَّ الزهدَ في الدنيا والحذرَ منها ومن فتنتها سيحلانِ في القلبِ،وحينئذٍ لا يكترثُ بزهرتِها،ولا يحزن على فواتها،ولا يمدنَّ عينيه إلى ما متَّع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها،قال تعالى :{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (131) سورة طـه. وهذه الثمرةُ يتولد عنها بدورها ثمارٌ أخرى مباركةٌ طيبةٌ منها:القناعةُ،وسلامةُ القلب من الحرص والحسد والغلِّ والشحناء؛لأن الذي يعيشُ بتفكيره في الآخرة وأنبائِها العظيمة لا تهمُّه الدنيا الضيقةُ المحدودةُ،مع ملاحظة أن إيمانَ المسلمِ باليوم الآخر وزهدَه في الدنيا لا يعني

انقطاعَه عنها وعدم ابتغاءِ الرزق في أكنافِها؛يقول (تعالى):{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (77) سورة القصص
كما يتولدُ أيضا من هذا الشعور،الراحةُ النفسيةُ والسعادةُ القلبيةُ،وقوةُ الاحتمال والصبرُ على الشدائد والابتلاءات،ذلك للرجاء فيما عند الله (عز وجل) من الأجرِ والثواب،وأنه مهما جاء من شدائدَ الدنيا فهي منقطعةٌ ولها أجلٌ،فهوينتظرُ الفرجَ ويرجوالثواب الذي لا ينقطعُ يوم الرجوعِ إلى الله (عز وجل)،قال (تعالى): {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (104) سورة النساء.
وما إنْ يفقدُ القلبُ هذه المعاني حتى يخيمَ عليه الهمُّ والتعاسةُ،ومن هنا ينشأُ القلقُ والانزعاجُ والضيقُ والحزنُ،أما ذاك الذي عرف الدنيا على حقيقتِها،وامتلأ قلبهُ بهمِّ الآخرة وأنبائها،فإن نفسَه لا تذهبُ على الدنيا حسراتٍ،ولا تنقطعُ نفسه لهثاً في طلبها،ولا يأكلُ قلبَه الغلُّ والحسدُ والتنافسُ فيها،ولا يقلُّ صبرُه ولا يجزعُ قلبهُ عند المحنِ والشدائد،ومهما حُرِم في هذه الدنيا الفانيةِ،فهويعلمُ أنَّ للهِ (عز وجل) في ذلك الحكمةَ البالغةَ،وهويرجوالأجرَ يوم القيامة،قال (تعالى):{ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35) }[الزخرف/33-35].

**3- التزودُ بالأعمال الصالحة وأنواع القربات ،واجتنابُ المعاصي والمبادرةُ بالتوبة والاستغفار:**

فهو راجٍ خائفٌ،والسائرُ على الطريق إذا خافَ أسرعَ السيرِ مخافة الفواتِ.
عن بُكَيْرَ بْنِ فَيْرُوزَ،قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ،وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ،أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ،أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ» (أخرجه الترمذي)[203].
وهو(سبحانه) كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة،فكذلك جعل الخوفَ لأهل الأعمال الصالحة،فعُلم أن الرجاءَ والخوفَ النافع ما اقترنَ به العمل،قال (تعالى):((إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)) [المؤمنون: 57- 60].
وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ الهَمْدَانِيِّ،أَنَّ عَائِشَةَ،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: 60] قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ،وَلَكِنَّهُمُ [ص:328] الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ،وَهُمْ

---

[203] - [سنن الترمذي ت شاكر 4/ 633](2450 ) صحيح
قَوْلُهُ (مَنْ خَافَ) أَيِ الْبَيَاتَ وَالْإِغَارَةَ مِنَ الْعَدُوِّ وَقْتَ السَّحَرِ (أَدْلَجَ) بِالتَّخْفِيفِ مِنْ سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَبِالتَّشْدِيدِ مِنْ آخِرِهِ (وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ) أَيْ وَصَلَ إِلَى الْمَطْلَبِ،قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِسَالِكِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى طَرِيقِهِ وَالنَّفْسَ وَأَمَانِيَّهُ الْكَاذِبَةَ أَعْوَانُهُ فَإِنْ تَيَقَّظَ فِي مَسِيرِهِ وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي عَمَلِهِ أَمِنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ وَمِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ بِأَعْوَانِهِ ثُمَّ أَرْشَدَ إِلَى أَنَّ سُلُوكَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ صَعْبٌ وَتَحْصِيلَ الْآخِرَةِ مُتَعَسِّرٌ لَا يَحْصُلُ بِأَدْنَى سَعْيٍ فَقَالَ (أَلَا) بِالتَّخْفِيفِ لِلتَّنْبِيهِ (إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ) أَيْ مِنْ مَتَاعِهِ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ (غَالِيَةٌ) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ رَفِيعَةُ الْقَدْرِ (أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ) يَعْنِي ثَمَنُهَا الْأَعْمَالُ الْبَاقِيَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أملا وَبِقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأموالهم بأن لهم الجنة" [تحفة الأحوذي 7/ 123]

يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 61] ". ( أخرجه الترمذي) [204].

واللهُ سبحانه وصفَ أهلَ السـعادة بالإحسانِ مع الخوفِ،ووصفَ الأشقيـاء بالإسـاءةِ مع الأمن[205] .

قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)}[المؤمنون/57-61]،وقــال تعـالـى:((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [البقرة:218].

**4- الدعوةُ إلى الله عز وجل والجهادِ في سبيله:**

إنهما من أفضل القرباتِ والأعمال الصالحـة،وأثرهما عظيمٌ في إنقاذ الناس بإذن ربهم من الظلماتِ إلى النور،قال تعالى:((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إلى اللَّهِ وَعملَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ)) [ فصلت:33]

وفي الجهاد أيضاً:حقيقةُ الزهد في الحياة الدنيا،وفيه أيضاً:حقيقةُ الإخلاص؛فإنَّ الكلام فيمن جاهدَ في سبيل الله،لا في سبيل الرياسةِ،ولا في سبيل المال،ولا في سبيل الحميَّةِ..وهذا لا يكون إلا لمن قاتلَ ليكون الدينُ كلُّه لله،ولتكونَ كلمةُ الله هي العليا،وأعظمُ مراتب الإخلاص:تسليمُ النفس والمال للمعبود،كما قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ

---

[204] - [سنن الترمذي ت شاكر 5/ 327]( 3175 ) صحيح

[205] - الجواب الكافي،ص 57،58.

السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)}[التوبة/111-112].
"وفي الحديث عن الجهادِ في سـبيل الله عز وجل،ومحاربةِ الفساد وتعبيدِ الناس لربِّ العالمين أكبرُ ردٍّ على الذين يرونَ أن التعلقَ باليوم الآخر والاستعدادَ له يعني اعتزالَ الناسِ،وتركَ الدنيا لأهلها،والاشتغالَ بالنفس وعيوبها،وتركَ الحياة يأسن فيها أهلُها.قال تعالى:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (32) سورة الأعراف
إن الناس إذا كانوا في فترات من الزمان يعيشون سلبيين ويدعون الفساد والشر والظلم والطغيان والتخلف والجهالة تغمر حياتهم الدنيا - مع ادعائهم الإسلام - فإنما هم يصنعون ذلك كله أوبعضه لأن تصورهم للإسلام قد فسد وانحرف ولأن يقينهم في الآخرة قد تزعزع وضعف! لا لأنهم يدينون بحقيقة هذا الدين ويستيقنون من لقاء اللّه في الآخرة.فما يستيقن أحد من لقاء اللّه في الآخرة،وهويعي حقيقة هذا الدين،ثم يعيش في هذه الحياة سلبيا،أومتخلفا،أوراضيا بالشر والفساد والطغيان.
إنما يزاول المسلم هذه الحياة الدنيا،وهويشعر أنه أكبر منها وأعلى.ويستمتع بطيباتها أويزهد فيها وهويعلم أنها حلال في الدنيا خالصة له يوم القيامة.ويجاهد لترقية هذه الحياة وتسخير طاقاتها وقواها وهويعرف أن هذا واجب الخلافة عن اللّه فيها.ويكافح الشر والفساد والظلم محتملا الأذى والتضحية حتى الشهادة وهوإنما يقدم لنفسه في الآخرة..إنه يعلم من دينه أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن ليس هنالك طريق للآخرة لا يمر

بالدنيا وأن الدنيا صغيرة زهيدة ولكنها من نعمة اللّه التي يجتاز منها إلى نعمة اللّه الكبرى..
وكل جزئية في النظام الإسلامي منظور فيها إلى حقيقة الحياة الآخرة وما تنشئه في التصور من سعة وجمال وارتفاع وما تنشئه في الخلق من رفعة وتطهر وسماحة ومن تشدد في الحق وتحرج وتقوى وما تنشئه في النشاط الإنساني من تسديد وثقة وتصميم.
من أجل ذلك كله لا تستقيم الحياة الإسلامية بدون يقين في الآخرة.ومن أجل ذلك كله كان هذا التوكيد في القرآن الكريم على حقيقة الآخرة..
وكان العرب في جاهليتهم - وبسبب من هذه الجاهلية - لا تتسع آفاقهم التصورية والشعورية والفكرية للاعتقاد في حياة أخرى غير هذه الحياة الدنيا ولا في عالم آخر غير هذا العالم الحاضر:ولا في امتداد الذات الإنسانية إلى آماد وآفاق وأعماق غير هذه الآماد المحسوسة..مشاعر وتصورات أشبه شيء بمشاعر الحيوان وتصوراته..شأنهم في هذا شأن الجاهلية الحاضرة..«العلمية» كما يصر أهلها على تسميتها!
«وَقالُوا:إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ»..وكان اللّه - سبحانه - يعلم أن الاعتقاد على هذا النحويستحيل أن تنشأ في ظله حياة إنسانية رفيعة كريمة..
هذه الآفاق الضيقة في الشعور والتصور،التي تلصق الإنسان بالأرض،وتلصق تصوره بالمحسوس منها كالبهيمة..وهذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان،التي تطلق السعار في النفس،والتكالب على المتاع المحدود،والعبودية لهذا المتاع الصغير،كما تطلق الشهوات من عقالها تعربد وحدها بلا كابح،ولا هدنة،ولا أمل في عوض،إن لم تقض هذه الشهوات الهابطة الصغيرة،التي لا تكاد تبلغ نزوات البهيمة!..وهذه الأنظمة والأوضاع،التي تنشأ في الأرض منظورا فيها

إلى هذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان بلا عدل ولا رحمة،ولا قسط ولا ميزان..إلا أن يصارع الأفراد بعضهم بعضا،وتصارع الطبقات بعضها بعضا،وتصارع الأجناس بعضها بعضا..وينطلق الكل في الغابة انطلاقا لا يرتفع كثيرا على انطلاق الوحوش والغيلان! كما نشهد اليوم في عالم «الحضارة»..في كل مكان..
كان اللّه - سبحانه - يعلم هذا كله ويعلم أن الأمة التي قدر أن يعطيها مهمة الإشراف على الحياة البشرية،وقيادتها إلى القمة السامقة التي يريد أن تتجلى فيها كرامة الإنسانية في صورة واقعية..أن هذه الأمة لا يمكن أن تؤدي واجبها هذا إلا بأن تخرج بتصوراتها وقيمها من ذلك الجحر الضيق إلى تلك الآفاق والآماد الواسعة..من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة..ولهذا كان ذلك التوكيد على حقيقة الآخرة..أولا لأنها حقيقة.واللّه يقص الحق.وثانيا لأن اليقين بها ضرورة لاستكمال إنسانية الإنسان:تصورا واعتقادا،وخلقا وسلوكا،وشريعة ونظاما.
ومن ثم كانت هذه الإيقاعات العنيفة العميقة التي نراها في هذه الموجة من نهر السورة المتدفق..الإيقاعات التي يعلم اللّه أن فطرة الإنسان تهتزلها وترجف فتتفتح نوافذها،وتستيقظ أجهزة الاستقبال فيها،وتتحرك وتحيا،وتتأهب للتلقي والاستجابة..ذلك كله فضلا على أنها تمثل الحقيقة:«وَلَوتَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ.قالَ:أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ؟ قالُوا:بَلى وَرَبِّنا.قالَ:فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»..هذا مصير الذين قالوا:؟ إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ»..وهذا هومشهدهم البائس المخزي المهين وهم موقوفون في حضرة ربهم الذي كذبوا بلقائه،لا يبرحون الموقف.وكأنما أخذ بأعناقهم حتى وقفوا في هذا المشهد الجليل الرهيب:«قالَ:أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ؟»..

وهوسؤال يخزي ويذيب! «قالُوا:بَلى وَرَبِّنا»..الآن.وهم موقوفون على ربهم.في الموقف الذي نفوا على سبيل التوكيد أن يكون! وفي اختصار يناسب جلال الموقف،ورهبة المشهد،وهول المصير،يجيء الأمر العلوي بالقضاء الأخير:«قالَ:فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»..
وهومصير يتفق مع الخلائق التي أبت على نفسها سعة التصور الإنساني وآثرت عليه جحر التصور الحسي! والتي أبت أن ترتفع إلى الأفق الإنساني الكريم،وأخلدت إلى الأرض،وأقامت حياتها وعاشت على أساس ذلك التصور الهابط الهزيل! لقد ارتكست هذه الخلائق حتى أهلت نفسها لهذا العذاب الذي يناسب طبائع الكافرين بالآخرة الذين عاشوا ذلك المستوى الهابط من الحياة! بذلك التصور الهابط الهزيل![206]

**5- اجتنابُ الظلم بشتَّى صوره:**

نظراً لكثرة الظلم والشحناء بين المسلمين في عصرنا الحاضر،وأنه لا شيء يمنع النفسَ من ظلم غيرها في نفس أومال أوعرض:كاليقينِ بالرجوع إلى الله عز وجل،وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقه،وإنصافِ المظلوم ممن ظلمه،فإذا تذكرَ العبد هذا الموقفَ العصيبَ الرهيب،وأنه لا يضيعُ عند الله شيء،كما قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } (47) سورة الأنبياء،وقوله تعالى:{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} (111) سورة طـه.
إذا تذكر َهذه المواقف واتعظ بهذه الآيات،وأيقنَ بتحققها فلا شكَّ أن ذلك سيمنعُه من التهاونِ في حقوق الخلق،والحذر من ظلمهم في دمٍ أومال أوعرض،خاصةً

---
[206] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1485]

وأن حقوقَ العباد مبنيةٌ على المشاحَّة والحرص على استيفاء الحقِّ من الخصم،وبالذاتِ في يوم الهول الأعظمِ الذي يتمنَّى العبد فيه أن يكون له مظلمةٌ عند أمه وأبيه وصاحبته وبنيه،فضلاً عن غيرهم من الأباعد،ومعلومٌ أن التقاضي هنالك ليس بالدينار والدرهم،ولكن بالحسنات والسيئات.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ،فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ،قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ،إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ،وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»،قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:" قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ:إِنَّمَا سُمِّيَ المَقْبُرِيَّ لِأَنَّهُ كَانَ نَزَلَ نَاحِيَةَ المَقَابِرِ " (أخرجه البخاري)[207].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا:الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،فَقَالَ:«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ،وَصِيَامٍ،وَزَكَاةٍ،وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا،وَقَذَفَ هَذَا،وَأَكَلَ مَالَ هَذَا،وَسَفَكَ دَمَ هَذَا،وَضَرَبَ هَذَا،فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ،ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (أخرجه مسلم)[208].

---

[207] - صحيح البخاري (3/ 130)(2449 )
[ش (له مظلمة) أي قد ظلم أحدا بقول أو فعل.(عرضه) جانبه الذي يصونه ويحامي عنه من نفسه وحسبه.(فليتحلله) يطلب منه العفو والمسامحة أو يؤدي إليه مظلمته.(فحمل عليه) ألقي على الظالم عقوبات سيئات المظلوم]

[208] - صحيح مسلم (4/ 1997) 59 - (2581)
[ش (إن المفلس من أمتي) معناه أن هذا حقيقة المفلس أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه

وقال تعالى:{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31) [الزمر/30،31] }.

**6- حصولُ الأمن والاستقرار والألفةِ بين الناس بالحكمِ بشريعة الله:**

إنَّ مجتمعاً يسودُ بين أهله الإيمانُ بالله عز وجل واليقينَ بالآخرة والجزاء والحساب،لا شكَّ أنه مجتمعٌ تسودُه المحبةُ ويعمُّه السلامُ؛لأنَّ تعظيم اللهِ سبحانه سيجعلُ هذه النفوسَ لا ترضى بغير شرعِ الله عز وجل بديلاً،ولا تقبلُ الاستسلامَ إلا لحكمِه،وهذا بدورِهِ سيُضفي الأمنَ والأمانَ على مثل هذه المجتمعاتِ،لأن أهلَها يخافونَ الله ويخافونَ يومِ الفصل والجزاء،فلا تحاكمَ إلا لشرعِ الله،ولا تعاملَ إلا بأخلاقِ الإسلامِ الفاضلةِ:فلا خيانةَ ولا غشَّ ولا ظلمَ،ولا يعني هذا أنه لا يوجدُ في المجتمعاتِ المسلمةِ من يظلمُ أويخونُ أويغشُّ،فهذا لم يسلمْ منه عصرُ النبوةِ ولا الخلافةِ الراشدة،لكنَّ هذه المعاصي تبقَى فرديةً،يؤدِّبُ أفرادُها بحكمِ الله عز وجل وحدوده،إذا لم يردعْهم وازعُ الدين والخوفِ من الله،والحالاتُ الفرديةُ تلك ليستْ عامةً،قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} (82) سورة الأنعام،وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُومُبِينٌ (208) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)} [البقرة/208،209]..

إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان.بهذا الوصف المحبب إليهم،والذي يميزهم ويفردهم،ويصلهم باللّه الذي يدعوهم..دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة. وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم للّه،في ذوات أنفسهم،وفي الصغير والكبير من أمرهم.أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية

---

وإفلاسه]

ناشزة من تصور أوشعور،ومن نية أوعمل،ومن رغبة أورهبة،لا تخضع للّه ولا ترضى بحكمه وقضاه.استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية.الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير،في الدنيا والآخرة سواء.
وتوجيه هذه الدعوة إلى الذين آمنوا إذ ذاك تشي بأنه كانت هنالك نفوس ما تزال يثور فيها بعض التردد في الطاعة المطلقة في السر والعلن.وهوأمر طبيعي أن يوجد في الجماعة إلى جانب النفوس المطمئنة الواثقة الراضية..وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا ليخلصوا ويتجردوا وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريد اللّه بهم،وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم،في غير ما تلجلج ولا تردد ولا تلفت.
والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام.عالم كله ثقة واطمئنان،وكله رضى واستقرار.لا حيرة ولا قلق،ولا شرود ولا ضلال.سلام مع النفس والضمير.سلام مع العقل والمنطق.سلام مع الناس والأحياء.سلام مع الوجود كله ومع كل موجود.سلام يرف في حنايا السريرة.وسلام يظلل الحياة والمجتمع.سلام في الأرض وسلام في السماء.وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره للّه ربه،ونصاعة هذا التصور وبساطته..
إنه إله واحد.يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه فلا تتفرق به السبل،ولا تتعدد به القبل ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك - كما كان في الوثنية والجاهلية - إنما هوإله واحد يتجه إليه في ثقة وفي طمأنينة وفي نصاعة وفي وضوح.
وهوإله قوي قادر عزيز قاهر..فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود.

وقد أمن كل قوة زائفة واطمأن واستراح.ولم يعد يخاف أحدا أويخاف شيئا،وهويعبد اللّه القوي القادر العزيز القاهر.ولم يعد يخشى فوت شيء.ولا يطمع في غير من يقدر على الحرمان والعطاء.
وهوإله عادل حكيم،فقوته وقدرته ضمان من الظلم،وضمان من الهوى،وضمان من البخس.وليس كآلهة الوثنية والجاهلية ذوات النزوات والشهوات.ومن ثم يأوي المسلم من إلهه إلى ركن شديد،ينال فيه العدل والرعاية والأمان.
وهورب رحيم ودود.منعم وهاب.غافر الذنب وقابل التوب.يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.
فالمسلم في كنفه آمن آنس،سالم غانم،مرحوم إذا ضعف،مغفور له متى تاب..
وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام فيجد في كل صفة ما يؤنس قلبه،وما يطمئن روحه،وما يضمن معه الحماية والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة والاستقرار والسلام .
كذلك يفيض السلام على قلب المسلم من صحة تصور العلاقة بين العبد والرب.وبين الخالق والكون.وبين الكون والإنسان..فاللّه خلق هذا الكون بالحق وخلق كل شيء فيه بقدر وحكمة.وهذا الإنسان مخلوق قصدا،وغير متروك سدى،ومهيأ له كل الظروف الكونية المناسبة لوجوده،ومسخر له ما في الأرض جميعا.
وهوكريم على اللّه،وهوخليفته في أرضه.واللّه معينه على هذه الخلافة.والكون من حوله صديق مأنوس،تتجاوب روحه مع روحه،حين يتجه كلاهما إلى اللّه ربه.وهومدعوإلى هذا المهرجان الإلهي المقام في السماوات والأرض ليتملاه ويأنس به.وهومدعوللتعاطف مع كل شيء ومع كل حي في هذا الوجود الكبير،الذي يعج بالأصدقاء المدعوين مثله إلى ذلك المهرجان!
والذين يؤلفون كلهم هذا المهرجان! والعقيدة التي تقف

صاحبها أمام النبتة الصغيرة،وهي توحي إليه أن له أجرا حين يرويها من عطش،وحين يعينها على النماء،وحين يزيل من طريقها العقبات..هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة.عقيدة تسكب في روحه السلام وتطلقه يعانق الوجود كله ويعانق كل موجود ويشيع من حوله الأمن والرفق،والحب والسلام.
والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفي القلق والسخط والقنوط..إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة..إن الحساب الختامي هناك والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب.فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أولم يلق جزاءه.ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس،فسوف يوفاه بميزان اللّه.ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد،فالعدل لا بد واقع.وما اللّه يريد ظلما للعباد.
والاعتقاد بالآخرة حاجز كذلك دون الصراع المجنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات.بلا تحرج ولا حياء.فهناك الآخرة فيها عطاء،وفيها غناء،وفيها عوض عما يفوت.وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة وأن يخلع التجمل على حركات المتسابقين وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود! ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة،وأنه مخلوق ليعبد اللّه..من شأنها - ولا شك - أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضيء.ترفع شعوره وضميره،وترفع نشاطه وعمله،وتنظف وسائله وأدواته.فهويريد العبادة بنشاطه وعمله وهويريد العبادة بكسبه وإنفاقه وهويريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج اللّه فيها.فأولى به ألا

يغدر ولا يفجر وأولى به ألا يغش ولا يخدع وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة.وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل،وألا يعتسف الطريق،وألا يركب الصعب من الأمور.فهوبالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود الطاقة..ومن شأن هذا كله ألا تثور في نفسه المخاوف والمطامع،وألا يستبد به القلق في أية مرحلة من مراحل الطريق.

فهويعبد في كل خطوة وهويحقق غاية وجوده في كل خطرة،وهويرتقي صعدا إلى اللّه في كل نشاط وفي كل مجال.

وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر اللّه،في طاعة اللّه،لتحقيق إرادة اللّه..وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق وبلا قنوط من عون اللّه ومدده وبلا خوف من ضلال القصد أوضياع الجزاء..ومن ثم يحس بالسلام في روحه حتى وهويقاتل أعداء اللّه وأعداءه.فهوإنما يقاتل للّه،وفي سبيل اللّه،ولإعلاء كلمة اللّه ولا يقاتل لجاه أومغنم أونزوة أوعرض ما من أعراض هذه الحياة.كذلك شعوره بأنه يمضي على سنة اللّه مع هذا الكون كله.قانونه قانونه،ووجهته وجهته.فلا صدام ولا خصام،ولا تبديد للجهد ولا بعثرة للطاقة.وقوى الكون كله تتجمع إلى قوته،وتهتدي بالنور الذي يهتدي به،وتتجه إلى اللّه وهومعها يتجه إلى اللّه.

والتكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة.لا تتجاوز الطاقة ولا تتجاهل طبيعة الإنسان وتركيبه ولا تهمل طاقة واحدة من طاقاته لا تطلقها للعمل والبناء والنماء ولا تنسى حاجة واحدة من حاجات تكوينه الجثماني والروحي لا تلبيها في يسر وفي سماحة وفي رخاء..ومن ثم لا يحار ولا

يقلق في مواجهة تكاليفه.يحمل منها ما يطيق حمله،ويمضي في الطريق إلى اللّه في طمأنينة وروح وسلام.
والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني،في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة،والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال..كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام.
هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق.هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره.ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب،تختلف درجة صفائه،ولكنه يظل في جملته خيرا من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر،وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة - آصرة العقيدة - حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان،واللغات والألوان،وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان..
هذا المجتمع الذي يسمع اللّه يقول له:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (10) سورة الحجرات..والذي يرى صورته في قول رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ،وَتَرَاحُمِهِمْ،وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».[209]..
هذا المجتمع الذي من آدابه:{وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (86) سورة النساء.{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (18) سورة لقمان..{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

---

[209] - صحيح مسلم (4/ 1999) 66 - (2586)
[ش (تداعى له سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك ومنه قوله تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط]

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (34) سورة فصلت..{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (11) سورة الحجرات..{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (12) سورة الحجرات..

هذا المجتمع الذي من ضماناته:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (6) سورة الحجرات.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (27) سورة النــور..وقول رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- «لَا تَحَاسَدُوا،وَلَا تَنَاجَشُوا،وَلَا تَبَاغَضُوا،وَلَا تَدَابَرُوا،وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ،وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ،وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ،دَمُهُ،وَمَالُهُ،وَعِرْضُهُ».[210]..

ثم هذا المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة ولا يتبجح فيه الإغراء،ولا تروج فيه الفتنة،ولا ينتشر فيه التبرج،ولا تتلفت فيه الأعين على العورات،ولا ترف فيه الشهوات على الحرمات،ولا ينطلق فيه سعار الجنس وعرامة اللحم والدم كما تنطلق في المجتمعات

---

[210] - صحيح مسلم (4/ 1986) 32 - (2564)

[ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته]

الجاهلية قديما وحديثا..هذا المجتمع الذي تحكمه
التوجيهات الربانية الكثيرة،والذي يسمع الله -سبحانه-
يقول:{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ
آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ} (19) سورة النــور ..{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي
فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ
فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (2) سورة النــور..
{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا
وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (4) سورة النــور
..{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (30) سورة
النــور..{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
لِبُعُولَتِهِنَّ أَوآبَائِهِنَّ أَوآبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوأَبْنَائِهِنَّ أَوأَبْنَاء
بُعُولَتِهِنَّ أَوإِخْوَانِهِنَّ أَوبَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوبَنِي أَخَوَاتِهِنَّ
أَونِسَائِهِنَّ أَومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوالتَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ
مِنَ الرِّجَالِ أَوالطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ
النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (
31) سورة النــور
والذي يخاطب فيه نساء النبي - أطهر نساء الأرض في
أطهر بيت في أطهر بيئة في أطهر زمان {يَا نِسَاء النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (32)
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا (33)} سورة الأحزاب..

وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها،ويأمن الزوج على زوجته،ويأمن الأولياء على حرماتهم وأعراضهم،ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم.حيث لا تقع العيون على المفاتن،ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم.فإما الخيانة المتبادلة حينذاك وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب..بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن،ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان!
وأخيرا إنه ذلك المجتمع الذي يكفل لكل قادر عملا ورزقا،ولكل عاجز ضمانة للعيش الكريم،ولكل راغب في العفة والحصانة زوجة صالحة،والذي يعتبر أهل كل حي مسؤولين مسؤولية جنائية لومات فيهم جائع حتى ليرى بعض فقهاء الإسلام تغريمهم بالدية.
والمجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم بحكم التشريع،بعد كفالتها بالتوجيه الرباني المطاع.فلا يؤخذ واحد فيه بالظنة،ولا يتسور على أحد بيته،ولا يتجسس على أحد فيه متجسس،ولا يذهب فيه دم هدرا والقصاص حاضر ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أونهبا والحدود حاضرة.
المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون.كما يقوم على المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة اللّه لا بإرادة حاكم،ولا هوى حاشية،ولا قرابة كبير.
وفي النهاية المجتمع الوحيد بين سائر المجتمعات البشرية،الذي لا يخضع البشر فيه للبشر.إنما يخضعون حاكمين ومحكومين للّه ولشريعته وينفذون حاكمين ومحكومين حكم اللّه وشريعته.فيقف الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام اللّه رب العالمين وأحكم الحاكمين،في طمأنينة وفي ثقة وفي يقين..
هذه كلها بعض معاني السلم الذي تشير إليه الآية وتدعوالذين آمنوا للدخول فيه كافة.ليسلموا أنفسهم

كلها للّه فلا يعود لهم منها شيء،ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ إنما تعود كلها للّه في طواعية وفي انقياد وفي تسليم..
ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان،في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام،أوالتي عرفته ثم تنكرت له،وارتدت إلى الجاهلية،تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان..هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري،وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين.
وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو«السويد».حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام.وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقدا والعلاج المجاني في المستشفيات.وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان،مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت..وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب..
ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلوالقلوب من الإيمان باللّه؟
إنه شعب مهدد بالانقراض،فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة.والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس

والأرواح والأعصاب..ثم الانتحار..والحال كهذا في أمريكا..والحال أشنع من هذا في روسيا..
إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلومن بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة.فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة،ولينعموا فيه بالأمن والظل والراحة والقرار:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً..وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ.إِنَّهُ لَكُمْ عَدُومُبِينٌ»..
ولما دعا اللّه الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة...حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان.فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان.إما الدخول في السلم كافة،وإما اتباع خطوات الشيطان.إما هدى وإما ضلال:إما إسلام وإما جاهلية.إما طريق اللّه وإما طريق الشيطان.وإما هدى اللّه وإما غواية الشيطان..وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه،فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.
إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدا منها،أويخلط واحدا منها بواحد..كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته،ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة اللّه وشريعته،ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر..إن هذا في سبيل الشيطان،سائر على خطوات الشيطان..
ليس هنالك حل وسط،ولا منهج بين بين،ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك! إنما هناك حق وباطل.هدى وضلال.إسلام وجاهلية.منهج اللّه أوغواية الشيطان.واللّه يدعوالمؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة ويحذرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان.ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم،ويستثير مخاوفهم بتذكير هم بعداوة الشيطان لهم،تلك العداوة

الواضحة البينة،التي لا ينساها إلا غافل.والغفلة لا تكون مع الإيمان.[211]
أما عندما يقلُّ الوازعُ الدينيُّ والخوفُ من الآخرةِ،ويكونُ التحاكمُ إلى أهواءِ البشر وحكمِهم فهذا هوالبلاءُ العظيمُ والفسادُ الكبيرُ:حيثُ تداسُ القيمُ والحرماتُ،ويأكلُ القويُّ الضعيفَ،وبالتالي:لا يأمنُ الناسُ على أديانهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم،وكفى بذلك سبباً في عدمِ الأمنِ والاستقرارِ،وانتشارِ الخوف،واختلالِ حياةِ الناس.

**7- تقصير الأمل وحفظ الوقت:**

إنَّ من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد:طولَ الأمل،والأمانيَّ الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلةٍ شديدة عن الآخرة،واغترارٍ بزينة الحياة الدنيا،وتضييعِ ساعات العمر النفيسة في اللهثِ وراءها حتى يأتي الأجلُ الذي يقطع هذه الآمال،وتذهبُ النفس حسراتٍ على ما فرطت في عمرها،وأضاعتْ من أوقاتها.ولكنَّ اليقين بالرجوع إلى الله عز وجل،والتذكر الدائم لقِصر الحياة الدنيا وأبديةِ الآخرة وبقائها،هوالعلاجُ الناجعُ لطول الأملِ وضياع الأوقاتِ.
عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيِّ،قَالَ:خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ،إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ طُولُ الْأَمَلِ،وَاتِّبَاعُ الْهَوَى،فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ،وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ،أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً،وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ،وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ،فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ،وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا،فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ،وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ ".[212]

---

[211] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 437]

[212] - شعب الإيمان (13/ 173)(10130 ) وقصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص:26)(3 ) صحيح

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛أَنَّهُ قَالَ:تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرَفُوا بِهِ،وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ؛فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكَرُ فِيهِ الْحَقُّ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِ،وَأَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا كُلُّ نَوُمَةٍ مَيِّتُ الدَّاءِ،أُولَئِكَ أَئِمَّةُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الْعِلْمِ،لَيْسُوا بِالْعُجُلِ الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ.ثُمَّ قَالَ:إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً،وَإِنَّ الْآخِرَةَ مُقْبِلَةٌ،وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ،فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ،وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا،أَلَا وَإِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا وَالتُّرَابَ فِرَاشًا وَالْمَاءَ طِيبًا؛أَلَا مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ شَارِدٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ،وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْحُرُمَاتِ،وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ؛أَلَا إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مُخَلَّدِينَ،وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذَّبِينَ،شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ،وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ،وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ،وَحَوائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ،صَبَرُوا أَيَّامًا لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ،أَمَّا اللَّيْلُ؛ فصافون أَقْدَامَهُمْ،تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ،يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ،رَبَّنَا رَبَّنَا! يَطْلُبُونَ فِكَاكَ رِقَابِهِمْ،وَأَمَّا النَّهَارُ؛ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ،بَرَرَةٌ،أَتْقِيَاءُ،كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ،يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَقُولُ:مَرْضَى،مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ،وَقَدْ خُولِطُوا،وَلَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمُ أَمْرًا عَظِيمًا "[213]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ،أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  يَقُولُ: " لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ " (أخرجه البخاري )[214].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ

---

[213] - المجالسة وجواهر العلم (2/ 148) (277 ) والرقة والبكاء لابن قدامة (ص:49) ضعيف

[214] - [صحيح البخاري 8/ 89] (6420) و[صحيح مسلم 2/ 724]114 - ( 1046)

[(شابا) قويا لاستحكام المحبة لما ذكر في قلبه.(الأمل) طول العمر - (قلب الشيخ شاب 00 الخ) هذا مجاز واستعارة ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه]

قَبْلَ هِرَمِكَ،وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ،وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ " (أخرجه الحاكم )[215].

**8- سلامةُ التفكير وانضباطُ الموازين وسموالأخلاق:**

لا يستوي من يؤمنُ بالله واليوم الآخر ويوقنُ بيوم الحساب والجزاء ولا يغفل عنه،ومَنْ لا يؤمنُ بالآخرة،أويؤمن بها ولكنَّه في لهووغفلةٍ عنهـا،لا يستويان أبـــداً في الدنيا ولا في الآخرة،أما في الآخرة فيوضحه قوله تعالى:{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} (20) سورة الحشر. وأما في الحياة الدنيا فلا يلتقي أبداً من يعلمُ أن له غاية ًعظيمة في هـذه الحياة،وأن مردَّه إلى الله عز وجل في يوم الجزاءِ والحسابِ والنشور،مع من لا يعلم ُمن هذه الحياة الدنيا إلا ظاهرها،وأنها كلُّ شيء عنده،وهوعن الآخرةِ من الغافلين.قال تعالى:{أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوأَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} (19) سورة الرعد،وقال تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) [آل عمران/190-194] }.

إنهما لا يلتقيانِ في التفكير،ولا في الميزانِ الـذي تـوزنُ بـــه الأشـــياءُ والأحداث،ولا في

[215] - [المستدرك على الصحيحين للحاكم 4/ 341](7846 ) صحيح

الأحكـامِ،وبالتالي:فبقدرِ ما تسموأخلاقُ الأوَّلِ وتعلوهمتُه لسمومنهجه وميزانهِ بقدر ما تسفلُ وترذلُ أخلاقُ الآخرِ لسفالة تصورهِ وفساد ميزانِه.،قال تعالى في وصف أهل الدنيا:{ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } (7) سورة الروم.

**9- الفوزُ برضا الله سبحانه وجنته،والنجاةُ من سخطه والنار:**

وهذه ثمرةُ الثمار،وغايةُ الغايات،قال تعالى:((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ)) [آل عمران:185].

إنه لا بدَّ من استقرار هذه الحقيقة في النفس:حقيقةُ أنَّ الحياةَ في هذه الأرض موقوتةٌ،محدودةٌ بأجل؛ثم تأتي نهايتُها حتماً..يموتُ الصالحون يموتُ الطالحون.يموت المجاهدون ويموت القاعدون.يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذَلون للعبيد.يموت الشجعانُ الذين يأبون الضيم،ويموتُ الجبناء الحريصون على الحياة بأيِّ ثمن..يموت ذووالاهتمامات الكبيرةِ والأهدافِ العالية،ويموتُ التافهون الذين يعيشون فقط للمتاعِ الرخيص.الكل يموت..{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}..كلُّ نفس تذوقُ هذه الجرعة،وتفارقُ هذه الحياة..لا فارقَ بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة ِمن هذه الكأس الدائرة على الجميع.إنما الفارق في شيء آخر؛الفارق في قيمة أخرى.الفارق في المصير الأخير:{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ }..

هذه هي القيمة التي يكون فيها الافتراقُ.وهذا هوالمصير الذي يفترق فيه فلانٌ عن فلان.القيمةُ الباقيةُ التي تستحقُّ السعي والكدَّ.والمصيرُ المخوِّف الذي يستحقُّ أن يحسب له ألفَ حساب:{ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ }..ولفظ { زحزح } بذاته

يصور معناه بجرسه،ويرسم هيئته،ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبيةً تشدُّ إليها من يقترب منها،ويدخل في مجالها!
فهوفي حاجةٍ إلى من يزحزحهُ قليلاً قليلاً ليخلصه من جاذبيتها المنهومة!
فمن أمكن أن يزحزحَ عن مجالها،ويستَنقَذَ من جاذبيتها،ويدخل الجنة..فقد فاز..[216]

**10-تقويةُ الدافع الداخلي للعمل الصالح،واستشعارُ قيمة الحياة،وأنها ابتلاء للآخرة ومزرعة لها.**

**11- تسليةُ المؤمنِ عما يفوته في الدنيا،حتى يعلم َأن ثوابه الأعظم إنما هوفي الآخرة،وأنَّ كل ما يصيـبُه من بلاء في الدنيا فيصبرُ عليه فإنه يضاعِف حسناته في الآخرة.**

فعَنِ الزُّهْرِيِّ،قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ،حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا» (أخرجه البخاري)[217] .

وعنِ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ،قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى،قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ،أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ،وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ،فَادْعُ اللَّهَ لِي،قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ،وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ،فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ،فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ،فَدَعَا لَهَا " (أخرجه البخاري)[218] .

---

[216] - في ظلال القرآن - (ج 2 / ص 22)

[217] - [صحيح البخاري 7/ 114]( 5640) [(كفر الله بها عنه) محي بسببها من ذنوبه (يشاكها) يصاب بها جسده]

[218] - [صحيح البخاري 7/ 116](5652) و[صحيح مسلم 4/ 1994] 54 - (2576)
[(امرأة) قيل اسمها سعيرة الأسدية وقيل شقيرة (أصرع) يصيبني الصرع وهو علة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات وقد يكون هذا بسبب احتباس الريح في منافذ الدماغ وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من

وقال تعالى:{ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148) [آل عمران/146-148] }.

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،قَالَ:" لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ- بِالْبَطْحَاءِ،فَأَخَذَ بِيَدِي،فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ،فَمَرَّ بِعَمَّارٍ،وَأَبِي عَمَّارٍ،وَأُمِّ عَمَّارٍ،وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ:" صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ،فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ".( أخرجه أبونعيم في معرفة الصحابة )[219].

**12- ازدياد الخوف والخشية من الله تعالى**،والرجاء في ثوابه الذي أعده لعباده المتقين،وذلك بالعمل بمقتضى أوامره واجتناب نواهيه والالتزام بشرعه.فعن بُكَيْرَ بْنِ فَيْرُوزَ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ،وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ،أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ،أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ» (أخرجه الترمذي )[220].

وعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَنْزِلَ،أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ

---

الجن (أتكشف) أي فأخشى أن تظهر عورتي وأنا لا أشعر (صبرت) على هذا الابتلاء (ولك الجنة) أي درجة عالية فيها بمقابل صبرك (على ستر الكعبة) متعلقة بأستار الكعبة وقيل كانت تفعل ذلك إذا خشيت أن يأتيها الصرع]

[219] - معرفة الصحابة لأبي نعيم [5 /2812](6662 ) وهوحديث حسن

[220] - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 633)(2450 ) صحيح

أدلج:الإدلاج مخففَا :السير من أول الليل،والادِّلاج مثقلا :السَّير من آخره،والمراد بالإدلاج ها هنا :التشمير في أول الأمر،فإن من سار من أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل

جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ» (أخرجه الحاكم في المستدرك)[221].

**13- الإيمانُ بالآخرة صمام الأمان لهذا الإنسان في هذه الدار**،فهوالذي يمنعه من الفسادِ والإلحادِ،ومن لم يؤمن بالآخرة لا يرتدعُ عن قبيحٍ ولا منكرٍ،قال تعالى:{وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ} (74) سورة المؤمنون.

**14- الحرصُ على طاعة الله تعالى رغبةً في ثوابِ ذلك اليوم**،والبعدِ عن معصيته،خوفاً من عقاب ذلك اليوم،قال تعالى:{...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (90) سورة الأنبياء.

**15- اليقين بالآخرة يؤدي للهداية والفلاح:**

قال تعالى:{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) [البقرة/2-5] }.

فاليقينُ بالآخرة هومفرقُ الطريقِ بين من يعيشُ بين جدرانِ الحسِّ المغلقةِ،ومن يعيشُ في الوجودِ المديد الرحيب.بين من يشعرُ أن حياتَه على الأرض هيَ كلُّ ما له في هذا الوجود،ومن يشعرُ أن حياتَه على الأرض ابتلاءٌ يمهِّدُ للجزاء،وأنَّ الحياةَ الحقيقية إنما هي هنالكَ،وراء هذا الحيِّز الصغير المحدودِ[222].

واليقينُ بالآخرة هوالضمانُ ليقظةِ القلب البشري،وتطلعِه إلى ما عند الله،واستعلائهِ على أوهاق

---

[221] - [المستدرك على الصحيحين للحاكم 4/ 343](7852 ) حسن = الدلجة :السير في أول الليل والمراد التشمير والجد في الطاعة = الراجفة :النفخة الأولى في الصور،والتي تميت الخلائق = الرادفة :النفخة الثانية في الصور يوم القيامة

[222] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 233]

[223]الأرضِ،وترفعُه على متاع الحياة الدنيا؛ومراقبةِ الله في السرِّ والعلن وفي الدقيقِ والجليلِ؛والوصولِ إلى درجة الإحسانِ التي سئل عنها رسول الله  فقال:« الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »[224] .

وهؤلاءِ المحسنونُ هم الذين يكون الكتاب لهم هدىً ورحمةً؛لأنهم بما في قلوبهم من تفتحٍ وشفافيةٍ يجدون في صحبةِ هذا الكتاب راحةً وطمأنينةً؛ويتَّصِلون بما في طبيعتهِ من هدى ونورٍ،ويدركونَ مراميهِ وأهدافهِ الحكيمة،وتصطلحُ نفوسُهم عليه،وتحسُّ بالتوافقِ والتناسق ووحدةِ الاتجاه،ووضوحِ الطريق.

وإنَّ هذا القرآن ليعطي كلَّ قلبٍ بمقدارِ ما في هذا القلب من حساسيةٍ وتفتحٍ وإشراقٍ؛وبقدر ما يقبلُ عليه في حبٍّ وتطلعٍ وإعزازٍ.إنه كائنٌ حيٌّ يعاطفُ القلوبَ الصديقةَ،ويجاوبُ المشاعر المتوجهةَ إليه بالرفرفةِ والحنينِ!

{ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (5) سورة البقرة.

ومن هُديَ فقد أفلحَ،فهوسائرٌ على النورِ،واصلٌ إلى الغايةِ،ناجٍ من الضلالِ في الدنيا،ومن عواقبِ الضلالِ في الآخرة؛وهومطمئنٌ في رحلته على هذا الكوكبِ تتناسقُ خطاهُ مع دورة الأفلاكِ ونواميسِ الوجود؛فيحسُّ بالأنسِ والراحةِ والتجاوبِ مع كلِّ كائنٍ في الوجودِ[225] .

**16- الذين آمنوا بالله واليوم الآخر َلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ:**

قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا

---

[223] - الأوهاق جمع وهق :وهوالحبْلُ المُغارُ يُرْمى في أُنشوطَة فتؤْخَذُ به الدابّة والإنسانُ - تاج العروس - (ج 1 / ص 6621)

[224] - [صحيح البخاري 6/ 115]( 4777 ) [ش (رؤوس الناس) رؤساءهم وأمراءهم ومن بيدهم زمام أمورهم]

[225] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3526]

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) } [البقرة/62 ]،وقال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) }[المائدة/69]

فهؤلاء لا يخافون على مستقبلهم،فقد ضمنه لهم من خلقهم،ولا يحزنون على نعمة أولعاعةٍ تفوتهم في هذه الدار،رجاء ما عند الله تعالى من ثوابٍ عظيم ادخره لهم،قال تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (131) سورة طـه

**17- الإيمانُ بالله واليوم الآخرِ،مع الأخذِ بلوازمهما يجعل البلادَ آمنةً من غضبِ اللهِ ومقته،ويرزقها من الطيباتِ:**

قال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) } [البقرة/126]

ومفهومُ الآيةِ المخالفِ ،أنَّ منْ لم يكنْ كذلك،سيعيشُ في قلقِ وخوفٍ ورعبٍ،وسيحرمه الله تعالى خيراتٍ كثيرةً،بسبب عدم إيمانه بالله واليوم الآخر مع العذاب الشديدِ،والمصير المحتوم الذي ينتظره يوم القيامة،كما قال تعالى:{ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) [النبأ/27-30] }.

**18- الإيمانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ هومنبعُ كلِّ خيرٍ،وسببُ كلِّ برٍّ:**

قال تعالى:{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [البقرة/177].

قال الإمام الرازيُّ رحمه الله:" إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُنْفِقَ مَحْبُوبَهُ إِلَّا إِذَا تَوَسَّلَ بِإِنْفَاقِ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ إِلَى وِجْدَانِ مَحْبُوبٍ أَشْرَفَ مِنَ الْأَوَّلِ،فَعَلَى هَذَا الْإِنْسَانُ لَا يمكنه أن ينفق الدُّنْيَا إِلَّا إِذَا تَيَقَّنَ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ،وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْتَرِفَ بِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ إِلَّا إِذَا أَقَرَّ بِوُجُودِ الصَّانِعِ الْعَالِمِ الْقَادِرِ،وَأَقَرَّ بِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الِانْقِيَادُ لِتَكَالِيفِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ،فَإِذَا تَأَمَّلْتَ عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ إِنْفَاقُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَجْمِعًا لِجَمِيعِ الخصال الْمَحْمُودَةِ فِي الدُّنْيَا"[226].

**19- الإيمانُ بالله واليوم الآخر،هوالذي يجعل الإنسان يحافظ على الأمانة:**

قال تعالى:{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ} (228) سورة البقرة،فالمطلقةُ لا تكتم ما في رحمها خوفا من الله تعالى،وخوفا من لقائه

**20- الإيمان بالله واليوم الآخر هوالذي يجعلُ الإنسانَ ينتصرُ على نفسهُ وهواهُ:**

قال تعالى:{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (232) سورة البقرة.

---

[226] - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (8/ 288)

وعَنِ الحَسَنِ،{فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} [البقرة:232] قَالَ:حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ،أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ،قَالَ:زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا،حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا،فَقُلْتُ لَهُ:زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ،فَطَلَّقْتَهَا،ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا،لاَ وَاللَّهِ لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا،وَكَانَ رَجُلًا لاَ بَأْسَ بِهِ،وَكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ:{فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} [البقرة:232] فَقُلْتُ:الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ» (أخرجه البخاري )[227].

وعَنِ الْحَسَنِ،حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ،قَالَ:كَانَتْ لِي أُخْتٌ تُخْطَبُ إِلَيَّ فَأَتَانِي ابْنُ عَمٍّ لِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ،ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا لَهُ رَجْعَةٌ،ثُمَّ تَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا،فَلَمَّا خُطِبَتْ إِلَيَّ أَتَانِي يَخْطُبُهَا،فَقُلْتُ:«لَا،وَاللَّهِ لَا أُنْكِحُهَا أَبَدًا»،قَالَ:فَفِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} [البقرة:232] الْآيَةَ،قَالَ:«فَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ».(أخرجه أبوداود )[228].

## 22- الإيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يمنع المرء من الرياءِ:

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)} [البقرة/264]،وقال تعالى:{ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْآَمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39)} [النساء/38،39].

---

227 - صحيح البخاري (7/ 16)(5130 ) [ش (فرشتك) جعلتها لك فراشا]
228 - سنن أبي داود (2/ 230) (2087 ) صحيح

**23- الإِيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعلنا نردُّ كلَّ ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله ﷺ:**

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)} [النساء/59]

فمنْ لم يردَّ المتنازعَ فيه إلى الله تعالى (كتابه ) وإلى رسوله ﷺ (سنته) فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر على الحقيقة،وإن ادعى ما ادَّعى !!

24- **الإِيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعلُ المرءَ راسخاً في العلمِ :**

قال تعالى:{ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162) } [النساء/162]

**25- الإِيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعل المرءَ يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ويحافظ عليها:**

قال تعالى:{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة/18] .

إِنَّ الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ هُمُ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَحْدَهُ،وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ،وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ،وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ،وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً غَيْرَ اللهِ،فَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَيَقُولونَ كَلِمَةَ الحَقِّ،وَيَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ؛وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ هُومِمَّنْ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدَ اللهِ،لِتَوافُقِ فِعْلِهِ مَعَ إِيمَانِهِ،وَكَانَ مِنَ المُهْتَدِينَ إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ.[229]

---

[229] - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص 1254]

**26- الإيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يثبت المؤمنين في القتال،فلا يفرون،ولا يستأذنون:**

قال تعالى:{ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)} [التوبة/44،45].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:{عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}[التوبة:44]،نَسَخَتْهَا الَّتِي فِي النُّورِ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[النور:62].أخرجه البيهقي في السنن[230].

وهذه هي القاعدة التي لا تخطئ؛فالذين يؤمنون باللّه،ويعتقدون بيوم الجزاء،لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد؛ولا يتلكأون في تلبية داعي النفرة في سبيل اللّه بالأموال والأرواح بل يسارعون إليها خفافا وثقالا كما أمرهم اللّه،طاعة لأمره،ويقينا بلقائه،وثقة بجزائه،وابتغاء لرضاه.وإنهم ليتطوعون تطوعا فلا يحتاجون إلى من يستحثهم،فضلا عن الإذن لهم.إنما يستأذن أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلكأون ويتلمسون المعاذير،لعل عائقا من العوائق يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف العقيدة التي يتظاهرون بها،وهم يرتابون فيها ويترددون.

---

230 - السنن الكبرى للبيهقي (9/ 292) (18582 ) وهوصحيح

إن الطريق إلى اللّه واضحة مستقيمة،فما يتردد ويتلكأ إلا الذي لا يعرف الطريق،أوالذي يعرفها ويتنكبها اتقاء لمتاعب الطريق! [231]

**27- الإيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعل المرءَ ينتفعُ بالموعظةِ:**

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوحَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) [الطلاق/1-3] }

والمخاطبون بهذه الأحكام هم المؤمنون المعتقدون باليوم الآخر.فهويقول لهم:إنه يعظهم بما هومن شأنهم.فإذا صدقوا الإيمان به وباليوم الآخر فهم إذن سيتعظون ويعتبرون.وهذا هومحك إيمانهم،وهذا هومقياس دعواهم في الإيمان! [232]

**28- الإيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعل المرءَ لا تأخذه رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ:**

قال تعالى:{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) [النور/2 ] }

---

[231] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2265]

[232] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 4486]

**29- الإيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعلُ المرءَ لا يُوَادُّ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ :**

قال تعالى:{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوكَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوأَبْنَاءَهُمْ أَوإِخْوَانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة/22] }.

لا تجد -أيها الرسول- قومًا يصدِّقون بالله واليوم الآخر،ويعملون بما شرع الله لهم،يحبون ويوالون مَن عادى الله ورسوله وخالف أمرهما،ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم،أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثَبَّتَ في قلوبهم الإيمان،وقوَّاهم بنصر منه وتأييد على عدوهم في الدنيا،ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار،ماكثين فيها زمانًا ممتدًا لا ينقطع،أحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم،ورضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفيع الدرجات،أولئك حزب الله وأولياؤه،وأولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.[233]

**30- الإيمانُ بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ هوالذي يجعل المرءَ يعترف بجريمته،ويطلب تطهيره منها:**

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،طَهِّرْنِي،فَقَالَ:«وَيْحَكَ،ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»،قَالَ:فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ،ثُمَّ جَاءَ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،طَهِّرْنِي،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«وَيْحَكَ،ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»،قَالَ:فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ،ثُمَّ جَاءَ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،طَهِّرْنِي،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ،قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ:«فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟» فَقَالَ:مِنَ الزِّنَى،فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«أَبِهِ جُنُونٌ؟»

---

[233] - التفسير الميسر (1/ 545)

فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ،فَقَالَ:«أَشَرِبَ خَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ،فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ،قَالَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«أَزَنَيْتَ؟» فَقَالَ:نَعَمْ،فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ،فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ،قَائِلٌ يَقُولُ:لَقَدْ هَلَكَ،لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ،وَقَائِلٌ يَقُولُ:مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ،أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ،ثُمَّ قَالَ:اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ،قَالَ:فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً،ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ،فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ،فَقَالَ:«اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»،قَالَ:فَقَالُوا:غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»،قَالَ:ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ،طَهِّرْنِي،فَقَالَ:«وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ:أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ،قَالَ:«وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ:إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى،فَقَالَ:«آنْتِ؟» قَالَتْ:نَعَمْ،فَقَالَ لَهَا:«حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ»،قَالَ:فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ،قَالَ:فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَ:«قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ»،فَقَالَ:«إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»،فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،فَقَالَ:إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ،قَالَ:فَرَجَمَهَا".( أخرجه مسلم )[234].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ،وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا،فَأَنَا هَذَا،فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ،فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ،لَوْ سَتَرْتَ

---

[234] - صحيح مسلم (3/ 1322) 22 - (1695) [ش (ويحك) قال في النهاية ويح كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها (فاستنكهه) أي شم رائحة فمه طلب نكهته بشم فمه والنكهة رائحة الفم (غامد) بطن من جهينة (إنها حبلى من الزنى) أرات إني حبلى من الزنى فعبرت عن نفسها بالغيبة (فكفلها رجل من الأنصار) أي قام بمؤنتها ومصالحها وليس هو من الكفالة التي هي بمعنى الضمان لأن هذا لا يجوز في الحدود التي لله تعالى (إلى رضاعه) إنما قاله بعد الفطام وأراد بالرضاعة كفايته وتربيته وسماه رضاعا مجازا]

نَفْسَكَ،قَالَ:فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا،فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ،فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ،وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ،إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود:114] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ:يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ:«بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً» (أخرجه مسلم )[235].

وعَنْ مُعَاذٍ،قَالَ: " أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَرَى فِي رَجُلٍ لَقِيَ امْرَأَةً لَا يَعْرِفُهَا،فَلَيْسَ يَأْتِي الرَّجُلُ مِن امْرَأَتِهِ شَيْئًا إِلَّا قَدْ أَتَاهُ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُجَامِعْهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114] فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ» قَالَ مُعَاذٌ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِلْمُؤْمِنينَ عَامَّةً؟ قَالَ: «بَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً»[236].

وعَنِ الزُّبَيْدِيِّ،قَالَ: ثَنَا سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُمَامَةَ،يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِمْ فِيَّ حَدَّ اللَّهِ مَرَّةً وَاثْنَتَيْنِ.فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ؛ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ،قَالَ: " أَيْنَ هَذَا الْقَائِلُ: أَقِمْ فِيَّ حَدَّ اللَّهِ؟ " قَالَ: أَنَا ذَا قَالَ: «هَلْ أَتْمَمْتَ الْوضُوءَ وَصَلَّيْتَ مَعَنَا آنِفًا؟» قَالَ: نَعَمْ.قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَمَا وَلَدَتْكَ أُمُّكَ،فَلَا تَعُدْ» وَأَنْزَلَ اللَّهُ حِينَئِذٍ عَلَى رَسُولِهِ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود: 114] الْآيَةَ "[237].

---

[235] - صحيح مسلم (4/ 2116) 42 - (2763) وهناك أحاديث عديدة في هذا الباب
[ش (إني عالجت امرأة) معنى عالجها أي تناولها واستمتع بها (دون أن أمسها) المراد بالمس الجماع ومعناه استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع (بل للناس كافة) هكذا تستعمل كافة حالا أي كلهم ولا يضاف فيقال كافة الناس ولا الكافة بالألف واللام وهو معدود في تصحيف العوام ومن أشبههم]

[236] - [تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر 12/ 622] صحيح لغيره

[237] - [تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر 12/ 623] صحيح

[illegible]

# الباب الثالث
# أهمُّ خصائصِ العقيدة الإسلامية

**1- إنَّ أولى خصائص هذه العقيدة أنها ربانيةٌ من عند اللهِ،وأنها لم تتغيرْ ولم تتبدلْ،وهذا يطمئنُ النفسَ أنها خيرٌ لأنفسنِا،وأنَّ السعادةَ تكمنُ في تنفيذها،وأنَّ الشقاءَ يترتبُ على تركها:**

أ.فالخيرُ والبركةُ والسعادةُ ووفرة ُالإنتاج كلُّها من بركاتِ تطبيقِ الشريعة المبنية على هذه العقيدة،قال تعالى:{ وَلَوأَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }.(الأعراف:96).وقال تعالى:{ وَلَوأَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } (المائدة:66)

ب.وما دامتْ ربانيةٌ من الله عز وجلَّ فإنها مبرأةٌ من النقصِ،سالمةٌ من العيب،بعيدةٌ عن الحيفِ والظلم،لأنَّ اللهَ له المثل الأعلى في السماوات والأرضِ ،قال تعالى:{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (90) سورة النحل.وقال تعالى:{...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا..} (3) سورة المائدة

ج-.ومادامتْ ربانيةً فهي التي تشبعُ جَوعةَ الفطرةِ للعبادةِ لا يسدُّها إلا منهاجُ الله،ولا تملأُها النظمُ الفلسفيةُ،ولا السلطانُ السياسيُّ،ولا الثراءُ الماليُّ،قال تعالى:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (30) سورة الروم

وهذه الجوعةُ الفطريةُ للجوع إلى قوةٍّ عليا تبرزُ باديةً للعِيان أمامَ الأعاصيرِ والكوارثِ والمِحنِ،فهذا ( ستالين ) الذي كان يقولُ:(لا إلهَ والحياةُ مادةٌّ،والدينُ علقةٌ تمتصٌّ دماءَ الشعوبِ) يضعفُ أمامَ هولِ الحربِ العالميةِ الثانيةِ،فإذا به يُخرجُ القساوسةَ منَ السجنِ حتى يدعونَ له بالنصرِ،ومرةً ثانيةً أمامَ شدةِ المرضِ يرسلُ وراءَ القسيسِ حتى يصليَ لهُ ويستغفرَ.

د.ومادامتْ ربانيةً فالناسُ أمامها سواءٌ،لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوَى،فاللهُ خالقُ الناسِ أجمعينَ فكلُّهم عبيدُه،وهولا يفضِّلُ لوناً على لونٍ،الأبيضَ على الأسود -كما هوالحالُ في القانونِ الأمريكيِّ-

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ،حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ  فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ،أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ،وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ،أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ،وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ،وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ،وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ،إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ "،قَالُوا:بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ،ثُمَّ قَالَ:" أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ "،قَالُوا:يَوْمٌ حَرَامٌ،ثُمَّ قَالَ:" أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ "،قَالُوا:شَهْرٌ حَرَامٌ،قَالَ:ثُمَّ قَالَ:" أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ "،قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ،قَالَ:" فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ " - قَالَ:وَلَا أَدْرِي قَالَ:أَوْ أَعْرَاضَكُمْ،أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،فِي شَهْرِكُمْ هَذَا،فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ "،قَالُوا:بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ،قَالَ:" لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " (أخرجه أحمد)[238].

ولا يفضِّلُ الرجالَ على النساءِ من بابِ قوله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوأُنْثَى وَهُومُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (النحل:97)،وليس من بابِ قوله تعالى:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ..} (34) سورة النساء.

---

238 - مسند أحمد ط الرسالة (38/ 474) (23489 ) صحيح

فتأمل الفرق..ولا يحابيهم سبحانهُ -لأنَّ الرجلَ والمرأة كلَّهم خلقُه- ولا يفضِّلُ طبقةً على طبقةٍ كالأشرافِ على العبيدِ،ولا يفضِّلُ جنساً على جنسٍ،كتفضيلِ العرقِ الآريِّ والجنسِ الأبيضِ على غيره (وألمانيا فوقَ الجميع)،ولذا فهي العقيدةُ الوحيدةُ التي تنصِفُ الناسَ وتعدلُ بينهم،والناسُ يقفونَ فيها على قدمِ المساواةِ حاكمِهم ومحكومِهم سواءٌ،قال تعالى:{ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.(الأنعام: 115)

**2- ومنْ خصائصِ هذه العقيدةِ أنها ثابتةٌ:**

قال تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (18) سورة الجاثية.

وثباتُ العقيدةِ ناتجٌ عن أنها منزلةٌ من عندِ الله،وقد انقطعَ الوحيُ بالتحاقِ رسول الله  بالرفيقِ الأعلى منَ الجنة،وبقيتْ النصوصُ ثابتةً إلى يوم الدينِ لا ينسخُها ناسخٌ ولا يبدِّلهُا كافرٌ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :" إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا:كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي،وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ " ( أخرجه الحاكم في المستدرك)[239].

والإنسانُ يتحركُ ويتطورُ وينمو،ولكنْ داخلَ إطارِ العقيدةِ الثابتِ الذي يتسعُ لحركةِ الإنسان ونموِّه،وإذا خرجَ الإنسانُ من الإطار الثابتِ فإنهُ يسبحُ كالنجمِ الذي يفلتُ من مدارهِ،ويسيرُ إلى نهايتهِ التي تؤدِّي إلى اصطدامهِ بكوكبٍ آخرَ،فيتحطَّمُ ويحطِّمُ معهُ غيرَه.

ولا بدَّ من شيءٍ ثابتٍ يرجع الناسُ إليه،حتى يطمئنُّوا ويستريحوا،ويكونَ عندهم مقياسٌ يعرفونَ طولَ الأشياء وعرضِها ووزنِها،أما الذين يقولونَ بأنَّ كلَّ شيءٍ متطورٌ في الحياةِ حتَّى الدينَ والأخلاقَ والنظمَ،فهذا يؤدِّي إلى فوضَى كبيرةٍ،فلا نعرفُ الحكمَ على أيِّ شيءٍ،ولأضربَ مثلاً:الزنا مثلا ثابتةٌ حرمتُه وبشاعتُه في الرسالاتِ التي

---

[239] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 172) (319 ) صحيح

نزلت منْ عندِ اللهِ،فلا يختلفُ في هذه القضيةِ اثنانِ.فإذا كانَ المقياسُ الذي حكمنا به على الزِّنا أنهُ قبيحٌ ثابتٌ،فإنَّ الزنا يبقَى بشعاً،ويستقرُّ في ذهنِ الأجيالِ أن َّهذا الحكمَ ثابتٌ لا يتغيرُ،فتتربَّى قلوبهُم على كراهيةِ الزنا واحتقارهِ.
أمَّا إذا كانَ القانونُ والدِّينُّ غيرَ ثابتينِ،وكانا متطورينِ،فإنه يعني أنَّ الزنا كانَ بشعاً في فترةٍ من الفتراتِ،ولكنَّ الزنا الآنَ في عرفِ الذينَ يقولونَ بتطوِّر الأخلاقِ- مثل ُ( فرويد )- ضرورةً بيولوجيةً لا بدَّ منها.
وكذلك سترُ العوراتِ وتغطيةُ اللحم باللباسِ -خاصةً من قبلِ النساء- كانَ أمراً طبيعياً وثابتاً في الأخلاقِ والأديانِ،ويبقَى ثابتاً إلى يوم الدينِ،أمَّا في الأخلاقِ المتطورةِ فلقدْ كانَ سترُ العورة ِمستحسناً في عصرٍ منَ العصورِ،ثم جاءَ القرنُ العشرينُ ورأى أنَّ سترَ العورةِ شيءٌ مستقبحٌ،وأصبحَ أصحابَهُ ينادونَ بكشفِ العورة ِ في أجهزةِ إعلامهم وأبواقهم التي تفوحُ منها رائحةُ الخبثِ والكيدِ والغدرِ بهذا الكائن ِالإنسانيِّ الذي يريدونَ تحطيمَهُ.
وثباتُ العقيدةِ يضعُ ميزاناً ثابتاً يقيسُ الناسَ،فالميزانُ واحدٌ،الكيلوفي هذا الميزان تساوي (1000) غم،فإذا جئنا نزنُ شخصاً فإننا نضعُه في هذا الميزانِ الواحدِ،ونضعُ مقابلَهُ كيلواتٍ حتى نعرفَ وزنهُ،وهنا يكونُ الحكم صحيحاً على وزن جميع الناسِ،لأنَّ الوزنَ واحدٌ والعيارَ واحدٌ،فإذا جاءَ قومٌ وغيَّروا الميزانَ،وقالوا عن الكيلوإنها قنطارٌ،فإنَّ الشخصَ الذي يزنُ سبعينَ كيلوغراماً في الميزانِ الأولِ هونفسه يزنُ سبعين قنطاراً في الميزانِ الثاني،والشخصُ هوالشخصُ.
وعندما يختلفُ الميزانُ لا يمكنُ أن يكونَ الحكمُ صحيحاً،ولذا فإنَّ الرجل عندَ الناس يكونُ مبجلاً مطاعاً محترماً لأنه ثقيلٌ في ميزانهم،ولكنْ عندما نضعُه في ميزانِ اللهِ الثابتِ فإنه قدْ لا يزنُ شيئا،فمثلاً الوليدُ بنُ

المغيرةِ كانتْ قريشٌ تعتبرهُ زعيماً وتقول:{ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }.(الزخرف:31)
ولكنَّ اللهَ تعالى يقول عنهُ وعن أمثالِه:وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) [القلم/10-15]،ويقول:{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (الأنفال:55).
فقريشٌ لا تقطعُ أمراً إلا بعدَ استشارتهِ واستنصاحهِ،واللهُ يسميهِ دابةً،والمؤمنونَ يعتبرونَهُ دابَّةً،بلْ أقلَّ منَ الدابَّةِ،قال تعالى عنه وعن أمثاله:{ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ }.(الأعراف:179)،وقال تعالى:{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} (22) سورة الأنفال.
وثباتُ العقيدة يجعلُها أصلاً يرجعُ الناس إليهِ حاكمُهم ومحكومُهم على السواء،والناسُ يستريحونَ ويسعدونَ،لأنَّ الحاكمَ لا يستطيعُ أن يظلمَ الناس،ويقولَ قبل أن يظلمَهم:غيرتُ القانونَ،ولا يستطيعُ المحكومونَ أن يقولوا للحاكمِ:نحن لا نعرفُ القانونَ لأنهُ جديدٌ.
ولكنه إذا كانَ ثابتاً،فإنَّ الناسَ يتربونَ منذُ نعومةِ أظفارهِم على معرفتهِ،ويكونُ النظامُ حيًّا في نفوسهم،ويعيشُ في حسِّهم.فلا يستطيعُ الحاكمُ في الدِّينِ الربانيِّ أنْ يدعيَ أنَّ الظروفَ طارئةٌ،ولا أنْ يقولَ:أحكامٌ عسكريةٌ يوقفُ بها تطبيقَ دينِ اللهِ،وتحتَ هذه الأسماءِ ووراءَ هذه الشعاراتِ تسفكُ الدماءُ،وتداسُ الكرامةُ،وتنتهكُ الحرمةُ،وهذا هوشأنُ جميعِ الأنظمة الوضعيةِ الأرضيةِ،أوبتعبيرٍ أدقَّ (الأديانُ الأرضيةُ) التي اخترعَها البشرُ منْ عندِ أنفسهم،وأبرزُ ما تكونُ هذه الظاهرةُ في الأنظمةِ العسكريةِ والانقلاباتِ الثوريةِ،ففي كلِّ انقلابٍ قانونٌ جديدٌ،وفي كلِّ مرةٍ تُنصَبُ المشانقُ

وتعلَّقُ على أعوادٍ في الأسواقِ،ودعكَ عنِ التحقيقاتِ مع النساءِ في الظلامِ،والناسُ الذين يدفَنونَ أحياءً،أويوضعونَ في براميلِ النيتريكِ،حتى يذوبوا ثم يطالَبُ أهلُهم بهم لأنهم فرُّوا منَ السجنِ!!
وفي كلِّ مرةٍ يغيَّرُ فيها النظامُ تفقِدُ البلدُ أعزَّ أبنائها،وأقدرَ كفاءاتِها،وأعلى طاقاتِها،وأثمنَ ما لديها،وهمُ العيناتُ من الشبابِ والمفكرينَ والقادةِ وغيرهِم.
وثباتُ العقيدةِ الربانيةِ يجعلُ الناسَ جميعاً تحت ظلِّ الدستورِ والحكمِ،وليسَ هنالك حاكمٌ فوقَ القانونِ ومحكومٌ تحتَ القانونِ،ونظامٌ يسري على الحاكمِ،ونظامٌ يسري على المحكومِ،فالله -سبحانه وتعالى- هوالذي...{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (الأنبياء:23) أمَّا الخليفةُ والأميرُ والحاكمُ فهم جميعاً خلقُ الله،ويعبدونَ اللهَ بتنفيذِ هذا القانونِ الربانيِّ،فما داموا منْ خلقِ الله فهمْ عبيدٌ،وليسوا آلهةً لا يُسألونَ.
**3- ومنْ خصائصِ هذه العقيدةِ الوضوحُ:**
فالعقيدةُ الإسلاميةُ عقيدةٌ واضحةٌ لا غموضَ فيها ولا تعقيدٌ،فهي تتلخصُ في أنَّ لهذهِ المخلوقاتِ إلهاً واحداً مستحِقًّا للعبادةِ هواللهُ تعالى،الذي خلقَ الكونَ البديعَ المنسَّقَ،وقدَّر كلَّ شيءٍ فيه تقديرا،وأنَّ هذا الإلهَ ليسَ له شريكٌ ولا شبيهٌ ولا صاحبةٌ ولا ولدٌ.
فهذا الوضوحُ يناسبُ العقلَ السليمَ،لأنَّ العقلَ- دائماً - يطلبُ الترابطَ والوحدة َعندَ التنوعِ والكثرةِ،ويريدُ أنْ يُرجعَ الأشياءَ المختلفةَ إلى سببٍ واحدٍ.وكما أنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ واضحةٌ،فهي كذلك لا تدعوا إلى الاتباعِ الأعمَى،بل على العكسِ فإنها تدعوا إلى التبصُّر والتعقُّل،قال تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوإِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (108) سورة يوسف،ولأنَّ العقيدة َمما تحارُ العقولُ المجردةُ فيها،ولا تصلُ إلى إدراكِها إلا منْ طريقِ الشارعِ الحكيمِ،فقد رجعَ كثيرٌ من الفلاسفةِ وأهلِ

الكلامِ من المسلمينَ عن مناهجِهم العقليةِ المجردةِ إلى منهجِ الكتابِ والسُّنةِ،ومن هؤلاءِ الفخرُ الرازيُّ- وهومنْ كبارِ الفلاسفةِ المسلمينَ- إذ يقولُ بعد عمرٍ طويلٍ في البحثِ العقليِّ:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ... وَغَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا...وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا...سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ:قِيلَ وَقَالُوا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ...فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا...رِجَالٌ،فَزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ،وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ،فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا،وَلَا تُرْوِي غَلِيلًا،وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ،اقْرَأْ فِي الْإِثْبَاتِ { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: 5]،{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: 10] وَاقْرَأْ فِي النَّفْيِ: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه: 110] ثُمَّ قَالَ:" وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي " [240].

**4- فطريةُ العقيدة الإسلامية:**

إنَّ العقيدةَ الإسلامية ليست غريبةً عن الفطرةِ السليمة ولا مناقضةً لها،بل هي على وفاقٍ تامٍّ وانسجامٍ كاملٍ معها.وليس هذا بالأمر الغريبِ،إذ إنَّ خالقَ الإنسانِ العليمِ بحالهِ هوالذي شرعَ له منَ الدِّينِ ما يناسبُ فطرتَهُ التي خلقهُ عليها،كما قال تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ

---
[240] - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - (ج 1 / ص 482) ومنهاج السنة النبوية - (ج 5 / ص 190) ودرء التعارض - (ج 1 / ص 89) وسير أعلام النبلاء - (ج 21 / ص 501)

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (30) سورة الروم،وقوله تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُواللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (14) سورة الملك،والواقعُ شاهدٌ على موافقةِ الفطرة للعقيدةِ الإسلامية القائمةِ على الإخلاصِ لله وحدَهُ،فما أنْ يصابَ الإنسانُ بضرٍّ تعجزُ أمامَه القوى الماديةُ إلا ويلجأُ إلى اللهِ تعالى في تذللٍ وخضوعٍ،ويستوي في ذلك الكافرُ والمؤمنُ،قال تعالى:{هُوالَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (22) سورة يونس،بل حتى الطفلُ الصغيرُ،فإنه لوتُركَ على حالهِ دون أنْ يؤثرَ عليه والداهُ أوالبيئةُ من حولِه لنشأَ معتقداً بالله تعالى ربًّا وإلهاً لا يعبدُ سواهُ،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ،فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ،كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ،هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يَقُولُ:أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} [الروم:30] الْآيَةَ (أخرجه الشيخان) [241].

**5- عقيدةٌ توقيفيةٌ مبرهَنةٌ:**

---

[241] - صحيح البخاري (2/ 100) (1385 )وصحيح مسلم (4/ 2047) 22 - (2658)

[ش (الفطرة) قال المازري قيل هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وإن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين وقيل هي ما قضى عليه من سعادة أو شقاوة يصير إليها وقيل هي ما هيئ له (كما تنتج البهيمة بهيمة) بضم التاء الأولى وفتح الثانية ورفع البهيمة ونصب بهيمة ومعناه كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء أي مجتمعة الأعضاء سليمة من نقص لا توجد فيها جدعاء وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء ومعناه أن البهيمة تلد بهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها]

تتميزُ العقيدةُ الإسلامية بأنها توقيفيةٌ،فلا تجاوزَ فيها للنصوص المثبتةِ لها،كما إنها عقيدةٌ مبرهنةٌ تقوم على الحجةِ والدليل،ولا تكتفي في تقرير قضاياها بالخبرِ المؤكّد والإلزامِ الصارمِ،بل تحترمُ العقولَ والمبادئَ التي يقومُ عليها الدينُ كلُّه،ذلك أنها لا تثبُتُ في جميع جزئياتها وكلياتها إلا بدليلٍ من الكتابِ أوالسُّنةِ.بل إنَّ أتباعها منهيونَ عن الخوضِ في مسائلِها إلا عن علمٍ وبرهانٍ،قال تعالى:{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (36) سورة الإسراء،وقال تعالى:{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (115) سورة التوبة،كما أنَّ القرآنَ الكريمَ حين يدعوا الناس إلى الإيمانِ بمفرداتِ العقيدةِ يقيمُ على ذلك الأدلةَ الواضحةَ من آياتِ الأنفسِ والآفاقِ،فلا يدعوهم إلى التقليدِ الأعمَى أوالإتباعِ على غيرِ هدًى،بل إنه يأمرهُم أن يطلبوا البرهانَ والدليلَ قال تعالى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (111) سورة البقرة،ويترتب على البرهنةِ والتوقيفيةِ ما يلي:

ا-تحديدُ مصادرِ العقيدة بالكتابِ والسنةِ الصحيحةِ.

ب- الالتزامُ بألفاظِ الكتاب والسنةِ المعّبرُ بها عن الحقائقِ العَقدية.

ت- استعمالُ تلك الألفاظِ فيما سيقتْ لأجلهِ.

ث- عدمُ تحميلِ تلك الألفاظِ ما لا تحتملُ من المعاني.

ج- السكوتُ عن ما سكتَ عنه الكتابُ والسُّنةُ،وذلك بتفويضِ علمِه إلى الله تعالى وحدَهُ.

ح- أنْ نقدِّمَ دلالةَ الكتابِ والسنة على ما سواهما من عقلٍ أوحسٍّ أوذوقٍ أوغير ذلك من وسائل المعرفةِ.

ومن أمثلةِ الدلائلِ التي ساقها الله عز وجل في القرآن الكريم القائمةِ على البراهين ما يلي:

*- الدليلُ العقليُّ قال تعالى:{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (35) سورة الطور.
*-الدليلُ من الأنفسِ قال تعالى:{وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (21) سورة الذاريات.
*-الدليلُ من الآفاقِ قال تعالى:{ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) [الرحمن/19،20]  }.

**6-عقيدةٌ ثابتةٌ ودائمةٌ:**

لما كانتِ العقيدة الإسلاميةُ تقومُ على الدليل والبرهانِ،لزمَ أن تكون عقيدةً ثابتة ً ودائمةً،قال الله تعالى:{ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ..} (64) سورة يونس. فهي عقيدةٌ ثابتةٌ ومحددةٌ،لا تقبلُ الزيادةَ ولا النقصانَ،ولا التحريفَ ولا التبديلَ.فليسَ لحاكمٍ أومجمعٍ من المجامعِ العلميةِ أومؤتمرٍ من المؤتمراتِ الدينيةِ ليسَ لأولئكَ جميعاً ولا لغيرهِم أنْ يضيفوا إليها شيئاً أويحذفوا منها شيئاً،وكلُّ إضافةٍ أوتحويرٍ مردودٌ على صاحبِه كائناً منْ كانَ،فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ،فَهُوَ رَدٌّ» [242].

وقد هددَ القرآنُ الكريمُ العلماءَ خاصةً من أن تميلَ بهم الأهواءُ والأطماعُ أوالإغراءتُ الماديةُ فيزيدوا أوينقصوا شيئاً من الدِّينِ قال الله تعالى :{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ } (79) سورة البقرة.

وعلى هذا فكلُّ البدعِ والأساطيرِ والخرافاتِ التي دُستْ في بعض كتبِ المسلمين،أو أشيعتْ بين عامتهم باطلةٌ مردودةٌ لا يقرُّها القرآنُ ولا تؤخذُ حجةً عليه،وإنما الحجةُ

---

[242] - صحيح البخاري (3/ 184) (2697) وصحيح مسلم (3/ 1343) 17 - (1718)
[(أحدث) اخترع.(أمرنا هذا) ديننا هذا وهو الإسلام.(ما ليس فيه) مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها وفي بعض النسخ (ما ليس منه).(رد) باطل ومردود لا يعتد به]

فيما ثبتَ من نصوصِهِ فقط،كما قال الله تعالى:{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (165) سورة النساء.
ولقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام ؛من اليهود،والنصارى،والمجوس،وغيرهم،فما إن يعتقد هؤلاء أن عظمها قد وهن،وأن جذوتها قد خبت،ونارها قد انطفأت،حتى تعود جذعة ناصعة نقية ؛ فهي ثابتة إلى قيام الساعة،محفوظة بحفظ الله ـ تعالى ـ تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ؛ورعيلاً بعد رعيل،لم يتطرق إليها التحريف،أوالزيادة،أوالنقصان،أوالتبديل.
كيف لا والله ـ عز وجل ـ هوالذي تكفل بحفظها،وبقائها ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه ؟،قال تعالى:( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )[الحجر:9].
**7- إنها عقيدةٌ وسطٌ لا إفراط فيها ولا تفريط:**
إنَّ العقيدة َالإسلامية وسطٌ بين الذينَ ينكرونَ كلَّ ما وراءِ الطبيعةِ مما لم تصلْ إليه حواسُّهم،وبين الذين يثبتونَ للعالم ِ أكثرَ من إلهٍ،والذين يحلُّون روحَ الإله في الملوكِ والحكام،بل وفي بعض الحيواناتِ والنباتات والجماداتِ؟!!.
فقد رفضتِ العقيدةُ الإسلامية الإنكارَ الملحدَ،كما رفضتِ التعددَ الجاهلَ والإشراكَ الغافلَ،وأثبتتْ للعالمِ إلهاً واحداً لا شريكَ له.كما أنها وسطٌ في الصفاتِ الواجبةِ لله تعالى،فلمْ تسلكْ سبيلَ الغلوفي التجريدِ فتجعلْ صفاتِ الإله صوراً ذهنيةً مجردةً عن معنًى قائمٍ بذاتٍ لا توحِي بخوفٍ ولا رجاءٍ،كما فعلتِ الفلسفةُ اليونانية،ولم تسلكْ كذلك سبيلَ التشبيهِ والتمثيلِ والتجسيم كما فعلتْ بعضُ العقائدِ حيثُ جعلتْ الإلهَ كأنهُ أحدُ المخلوقين يلحقُه ما يلحقُهم من نقصٍ وعيوبٍ.فالعقيدةُ الإسلاميةُ تنزهُ الله تعالى إجمالاً عن مشابهةِ المخلوقينَ بقواعدَ مثلَ قوله تعالى:{..لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوالسَّمِيعُ البَصِيرُ} (11) سورة

الشورى،وقوله تعالى:{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (4) سورة الإخلاص،وقوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (65) سورة مريم.

ومعَ هذا تصفُه بصفاتٍ إيجابيةٍ فعالةٍ تبعثُ الخوفَ والرجاءَ في نفوسِ العباد كما في قوله تعالى:{اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَالْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (255) سورة البقرة .

ثم إنها وسطٌ بين التسليمِ الساذجِ والتقليدِ الأعمى في العقائدَ،وبينَ الغلووالتوغلِ بالعقلِ لإدراكِ كلِّ شيءٍ حتى الألوهيةِ.فهي تنهَى عن التقليدِ الأعمى،حيث عابَ اللهُ على القائلين{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} (22) سورة الزخرف.

وتنهى عن التوغلِ بالعقلِ لإدراكِ كيفية صفاتِ الربِّ عزّ وجلَّ فقال تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (110) سورة طـه،وقال تعالى:{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (36) سورة الإسراء.

وتدعوهم إلى التوسطِ والأخذِ بالمدركاتِ كوسائطَ قال تعالى:{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) [الذاريات/20،21] }.

**8-أنها تقوم على التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ:**

وذلك لأنها غيب،والغيب يقوم على التسليم،فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها،كما في قوله تعالى:( ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ) [البقرة:2،3].

ذلك أن العقـــول لا تـــدرك الغيب،ولا تســـتقل بمعرفة الشـــرائع ؛لعجزها وقصـــورها ؛فكما أن ســـمع الإنســـان قاصر،وبصره كليل،وقوته محـدودة،فكـذلك عقلـه،فَتَعَيَّنَ الإيمـان بـالغيب والتسـليم لله ـــ عز وجل ـــ.فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: لَوْ كَانَ الـدِّينُ بِـالرَّأْيِ لَكَـانَ أَسْـفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ،وَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ»[243].

**9- اتصال سندها بالرسول ﷺ والتابعين وأئمة الدين قولاً،وعملاً،واعتقاداً:**

وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها ؛فلا يوجد ـ بحمد الله ـ أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،ليس له أصل أومستند من الكتاب والسنَّة،أوعن السلف الصالح،بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة.

**10- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس:**

فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقاً،كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟

فالحق لا يضطرب،ولا يتناقض،ولا يلتبس،بل يشبه بعضه بعضاً،ويصـدق بعضه بعضـاً ( وَلَوكَـانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْـرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً )[النساء:82].

**11- أنها قد تـــأتي بالمحـــار،ولكن لا تـــأتي بالمحال:**

ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول،وما قد تحار فيه الأفهـــام،كســـائر أمـــور الغيب ؛من عـــذاب القـــبر ونعيمه،والصراط،والحوض،والجنة والنـار،وكيفية صـفات الله عز وجل.

فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور،وكيفياتها،ولكنها لا تحيلها بل تسلِّم لذلك،وتنقاد،وتذعن ؛لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل،الذي لا ينطق عن الهوى.

---

[243] - [سنن أبي داود 1/ 42](162 ) صحيح

**12- العموم والشمول والصلاح:**

فهي عامـــــة،شــــاملة،صـــــالحة لكل زمـــــان ومكان،وحال،وأمة.بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

**13- أنها سبب للنصر والظهور والتمكين:**

فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة،فهم الظاهرون،وهم الناجون،وهم المنصورون،فعَنْ ثَوْبَانَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ،لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ،حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» [244].

فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله،ومن تركها خذله الله. وقد عَلِم ذلك كلُّ من قرأ التاريخ،فمتى حاد المسلمون عن دينهم،حاق بهم ما حاق،كما حدث لهم في الأندلس وغيرها.[245].

**14- أنها ترفع قدر أهلها:**

فمن اعتقدها،وزاد علمـاً بهـا،وعملاً بمقتضـاها،ودعـوة للنـــاس إليها أعلا الله قـــدره،ورفع له ذكـــره،ونشر بين النـــاس فضـــله،فـــرداً كـــان أوجماعة ؛ذلك أن العقيـــدة الصحيحة هي أفضل ما اكتسبته القلوب،وخـير ما أدركته العقول؛فهي تثمر المعارف النافعة،والأخلاق العالية.

**15- العقيـــــدة الإســـــلامية عقيـــــدة الألفة والاجتماع:**

---

[244] - صحيح مسلم (3/ 1523) 170 - (1920)

[ش (طائفة) قال البخاري هم أهل العلم وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث قال الإمام النووي يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض (من خذلهم) يعني من خالفهم(حتى يأتي أمر الله) المراد به هو الريح التي تأتي فتاخذ روح كل مؤمن ومؤمنة]

[245] - انظر كتابي (( **المفصل في عوامل النصر والهزيمة** ))

فما اتحد المســلمون،وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصــار والأمصــار إلا بتمســكهم بعقيــدتهم،وأخــذهم بها،وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها.
قـال تعـالى:{ وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُـوا وَاذْكُــرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْــدَاءً فَــأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَـفَا حُفْـرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَـذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِـهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[آل عمران:103 ]
يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ،أيْ بِعَهْدِهِ وَدِينِهِ وَذِمَّتِهِ وَقُرْآنِهِ،وَمَا أمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الإِلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالاجْتِمَاعِ،وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ،وَيَطْلُبُ إلَيْهِمْ أنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيهِمْ إذْ ألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ،وَآخَى بَيْنَهُم بَعْدَ العَدَاوَةِ المُسْتَحْكِمَةِ،وَالفُرْقَةِ التِي كَانَتْ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ،فَقَدْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ شَفِيرِ النَّارِ،بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلاَلِهِمْ وَاقْتِتَالِهِمْ،فَهَدَاهُمُ اللهُ وَأنْقَذَهُمْ.
وَكَمَا بَيَّنَ لَهُمْ رَبُّهُمْ،فِي هَــذِهِ الآيَــاتِ،مَا يُضْــمِرُهُ لَهُمُ اليَهُودُ مِنْ شَـرٍّ وَخِـدَاعٍ وَغِشٍّ،وَمَا كَـانُوا عَلَيـهِ فِي حَـالِ جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَفُرْقَةٍ وَاقْتِتَالٍ،وَمَا صَارُوا إليهِ بِفَضْـلِ الإِسْلاَمِ مِنْ وَحْـدَةٍ وَإِخَـاءٍ،كَـذَلِكَ يُبَيِّن سَـائِرَ حُجَجِـهِ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَى رَسُولِهِ،لِيُعِدَّهُمْ لِلاهْتِدَاءِ الدَّائِمِ،حَتَّى لا يَعُودُوا إلى عَمَــــلِ أهْــــلِ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ التَّفَــــرُّقِ وَالعَــــدَاوَةِ وَالاقْتِتَالِ.[246]

**16- أنها تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياع:**

فالمنهج واحد،والمبدأ واضح ثابت لا يتغير،فيسلم معتنقها من اتباع الهوى،ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء،والمحبة والبغضاء،بل تعطيه معياراً دقيقاً لا يخطىء أبداً،فيسلم من التشتت والتشرد والضياع،فيعرف من يوالي،ويعرف من يعادي،ويعرف ما

[246] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 396)

له وما عليه،قال تعالى:{ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران:101 ]
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ،وَيَتَوَكَّلْ عَلَيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنِ الغَيِّ وَالضَّلاَلِ،وَيُوصِلُهُ إلى الهِدَايَةِ وَالرَّشَادِ،وَطَرِيقِ السَّدَادِ.

**17- أنها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكرية:**

فلا قلق في النفس،ولا اضطراب في الفكر ؛لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه ـ عز وجل ـ فيرضى به رباً مدبراً،وحاكماً مشرعاً،فيطمئن قلبه بقدره،وينشرح صدره لحكمه،ويستنير فكره بمعرفته،قال تعالى: {هُوالَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (5) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (6) }[الفتح:4 - 6]

لقد كَانَ مِنْ شُرُوطِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ شَرْطَانِ تَرَكَا أَثَراً فِي نُفُوسِ المُؤْمِنِينَ:
1- أَنْ لاَ يَدْخُلَ المُسْلِمُونَ مَكَّةَ عَامَهُمْ ذَاكَ،وَأَنْ يَأتُوا مُعْتَمِرِينَ فِي العَامِ،الذِي يَلِيهِ.
2- أَنْ يَرُدَّ المُسْلِمُونَ مَنْ جَاءَهُمْ مِنْ قُرَيشٍ مُسْلِماً إلى قَوْمِهِم،وَأَنْ لاَ تَرُدَّ قُرَيشٌ مَنْ جَاءَها مِنَ المُسْلِمِينَ مُرْتَداً عَنِ الإِسْلامِ.

وَظَنَّ بَعْضُ المُسْلِمِين أَنَّ في هذينِ الشَّرْطِينِ غبْناً لِلمُسْلِمِينَ،حَتّى إِن رَسُولَ اللهِ لَمَّا أَمرَ المُسْلِمِينَ بِنَحْرِ الهَدْيِ،وَبِحَلقِ شُعُورِهِمْ،لَمْ يَمْتَثِلوا لأَمْرِهِ فِي بَادِئِ الأمرِ،فَقَدْ ثَارَتْ في نُفُوسِهِم الحَمِيَّةُ للإِسْلامِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهم،وَلِيَزْدَادُوا يَقِينا

في دِينِهِمْ بِطَاعَــةِ اللــهِ،وَطَاعَــةِ رَسُــولِهِ،وَاللــهُ تَعَــالى هُوالِــذِي يُــدَبِّرُ أمــرَ الكَــوْنِ،فَيَجْعَــلُ جَمَاعَــةً مِنْ جُنْــدِهِ يُقَاتِلُون لإعْلاَءِ كَلِمَةِ الحَـقِّ،وَيَجْعَـلُ غَيْـرَهم يُقَـاتِلُونَ في سَـبيلِ الشَّـيْطَانِ،وَلَوشَـاءَ اللـهُ لأَرْسَـلَ عَلَيْهِم جُنْـداً مِنَ السَّماءِ يَقْضُونَ عَلَيهم،لكِنَّهُ سُبْحَانَه وَتَعَالى شَرَعَ الجِهَادَ والقِتَــالَ لما في ذلِــكَ مِنَ المَصْــلَحَةِ التِي لاَ يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ،وَاللهُ عَلِيمٌ بِالأُمُورِ،حَكِيمٌ في شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

وَإنما قَدَّرَ اللهُ تَعَالى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ نِعْمَةَ اللهِ،وَيَشْكُرُوهَا فَيَدْخُلُوا الجَنَّةَ لِيَبْقَوْا فِيها خَالِدِينَ أبداً،وَلِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِأعْمَالِهِم الصَّالِحةِ،وفي ذلِكَ ظَفَرٌ لَهُم بِما يَرْجُونَ،وَمَا يَسْعَوْنَ إليهِ،وَهذا الظَّفَرُ بِالبْغِيةِ،وَدُخُولُ الجَنَّةِ،هُوالفَوزُ العَظِيمُ.

وَلِيُعَذِّبَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ،وَالمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِم وَالمُشْرِكَاتِ،في الدُّنيا بالقَهْرِ والغَلَبةِ،وَبِتَسْلِيطِ النَّبِيِّ وَالمُسْلِمِينَ عَلَيهِمْ،وفي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ الأَليمِ في نَارِ جَهَنَّمَ،وَقَدْ كَانَ هؤلاءِ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ يَظُنُّونَ أنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ الرَّسُولَ وَالمُؤْمِنينَ عَلَى الكَافِرِينَ،وَكَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِمِ الدَّوائِر وَقَدْ دَعَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هؤُلاءِ بِأنْ تَدُورَ عَلَيهِمْ أَحْدَاثُ الزَّمَنِ بِالسَّوْءِ،وأنْ تَنْزِلَ بِهِمِ النَّكَبَاتُ وَالمَصَائِبُ،ثُمَّ لَعَنَهم اللهُ وَغَضِبَ عَلَيهِمْ،وَأَنْذَرَهُم بِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أليماً في نَارِ جَهَنَّمَ،وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَصِيراً يَصِيرُ إِليهِ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ.[247]

## 18- سلامة القصد والعمل:

بحيث يَسْلَمُ معتنقها من الانحراف في عبادة الله ـ عز وجل ـ فلا يعبد غير الله،ولا يرجوسواه،قال تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }[الفاتحة:5]

وهنا كذلك مفرق طريق..مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية،وبين العبودية المطلقة للعبيد! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل

---

[247] - [أيسر التفاسير لأسعد حومد ص: 4466،بترقيم الشاملة آليا]

الشامل.التحرر من عبودية الأوهام.والتحرر من عبودية النظم،والتحرر من عبودية الأوضاع.وإذا كان اللّه وحده هوالذي يعبد،واللّه وحده هوالذي يستعان،فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص،كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات..
وهنا يعرض موقف المسلم من القوى الإنسانية،ومن القوى الطبيعية..
فأما القوى الإنسانية - بالقياس إلى المسلم - فهي نوعان:قوة مهتدية،تؤمن باللّه،وتتبع منهج اللّه..
وهذه يجب أن يؤازرها،ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح..وقوة ضالة لا تتصل باللّه ولا تتبع منهجه.وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها.
ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أوعاتية.فهي بضلالها عن مصدرها الأول - قوة اللّه - تفقد قوتها الحقيقية.تفقد الغذاء الدائم الذي يحفظ لها طاقتها.وذلك كما ينفصل جرم ضخم من نجم ملتهب،فما يلبث أن ينطفىء ويبرد ويفقد ناره ونوره،مهما كانت كتلته من الضخامة.على حين تبقى لأية ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها:«كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ».. غلبتها باتصالها بمصدر القوة الأول،وباستمدادها من النبع الواحد للقوة وللعزة جميعا.
وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هوموقف التعرف والصداقة،لا موقف التخوف والعداء.ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة اللّه ومشيئته.محكومتان بإرادة اللّه ومشيئته،متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه.
إن عقيدة المسلم توحي إليه أن اللّه ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقا مساعدا متعاونا وأن سبيله

إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها.ويتعرف إليها،ويتعاون وإياها،ويتجه معها إلى اللّه ربه وربها.
وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحيانا،فإنما تؤذيه لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها،ولم يهتد إلى الناموس الذي يسيرها.
ولقد درج الغربيون - ورثة الجاهلية الرومانية - على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم:«قهر الطبيعة»..ولهذا التعبير دلالته الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة باللّه،وبروح الكون المستجيب للّه.
فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمن الرحيم،الموصول الروح بروح هذا الوجود المسبحة للّه رب العالمين..فيؤمن بأن هنالك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة.إنه يعتقد أن اللّه هومبدع هذه القوى جميعا.خلقها كلها وفق ناموس واحد،لتتعاون على بلوغ الأهداف المقدرة لها بحسب هذا الناموس.وأنه سخرها للإنسان ابتداء ويسر له كشف أسرارها ومعرفة قوانينها.وأن على الإنسان أن يشكر اللّه كلما هيأ له أن يظفر بمعونة من إحداها.فاللّه هوالذي يسخرها له،وليس هوالذي يقهرها:«سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً»..
وإذن فإن الأوهام لن تملأ حسه تجاه قوى الطبيعة ولن تقوم بينه وبينها المخاوف..إنه يؤمن باللّه وحده،ويعبد اللّه وحده،ويستعين باللّه وحده.وهذه القوى من خلق ربه.وهويتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها،فتبذل له معونتها،وتكشف له عن أسرارها.فيعيش معها في كون مأنوس صديق ودود..وما أروع قول الرسول - ﷺ- وهوينظر إلى جبل أحد،فعَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو،مَوْلَى المُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،يَقُولُ:خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ،فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ،رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ،قَالَ:«هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا

وَنُحِبُّهُ» ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى المَدِينَةِ،قَالَ:«اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا،كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ،اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا» [248].

ففي هذه الكلمات كل ما يحمله قلب المسلم الأول محمد - ﷺ- من ود وألفة وتجاوب،بينه وبين الطبيعة في أضخم وأخشن مجاليها..[249]

**19- الربوبية المطلقة هي مفرق الطريق :**

والربوبية المطلقة هي مفرق الطريق بين وضوح التوحيد الكامل الشامل،والغبش الذي ينشأ من عدم وضوح هذه الحقيقة بصورتها القاطعة.وكثيرا ما كان الناس يجمعون بين الاعتراف بالله بوصفه الموجد الواحد للكون،والاعتقاد بتعدد الأرباب الذين يتحكمون في الحياة.ولقد يبدوهذا غريبا مضحكا.ولكنه كان وما يزال.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم عن جماعة من المشركين كانوا يقولون عن أربابهم المتفرقة:«ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى »..كما قال عن جماعة من أهل الكتاب:«اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ»..وكانت عقائد الجاهليات السائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام،تعج بالأرباب المختلفة،بوصفها أربابا صغارا تقوم إلى جانب كبير الآلهة كما يزعمون! فإطلاق الربوبية في هذه السورة،وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعا،هي مفرق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة.لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد،تقر له بالسيادة المطلقة،وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة،وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب..ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة

---

[248] - صحيح البخاري (4/ 35) (2889)
[ش (أحرم) أجعلها حراما.(لابتيها) مثنى لابة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء.(صاعنا ومدنا) مكاييل كانت معروفة والمعنى بارك لنا في الطعام الذي يكال بها]

[249] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 211]

وربوبيته القائمة.وإلى أن هذه الرعاية لا تنقطع أبدا ولا تفتر ولا تغيب،لا كما كان أرقى تصور فلسفي لأرسطومثلا يقول بأن اللّه أوجد هذا الكون ثم لم يعد يهتم به،لأن اللّه أرقى من أن يفكر فيما هودونه! فهولا يفكر إلا في ذاته! وأرسطو- وهذا تصوره - هوأكبر الفلاسفة،وعقله هوأكبر العقول! لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار..
يختلط فيها الحق بالباطل،والصحيح بالزائف،والدين بالخرافة،والفلسفة بالأسطورة..والضمير الإنساني تحت هذا الركام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون،ولا يستقر منها على يقين.
وكان التيه الذي لا قرار فيه ولا يقين ولا نور،هوذلك الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها،وصفاته وعلاقته بخلائقه،ونوع الصلة بين اللّه والإنسان على وجه الخصوص.
ولم يكن مستطاعا أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكون،وفي أمر نفسه وفي منهج حياته،قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصوره لإلهه وصفاته،وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح مستقيم في وسط هذا العماء وهذا التيه وهذا الركام الثقيل.
ولا يدرك الإنسان ضرورة هذا الاستقرار حتى يطلع على ضخامة هذا الركام،وحتى يرود هذا التيه من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار التي جاء الإسلام فوجدها ترين على الضمير البشري،والتي أشرنا إلى طرف منها فيما تقدم صغير.
(وسيجيء في استعراض سور القرآن الكثير منها،مما عالجه القرآن علاجا وافيا شاملا كاملا).
ومن ثم كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة،وتحديد التصور الذي يستقر عليه الضمير

في أمر اللّه وصفاته،وعلاقته بالخلائق،وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين.
ومن ثم كان التوحيد الكامل الخالص المجرد الشامل،الذي لا تشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد..هوقاعدة التصور التي جاء بها الإسلام،وظل يجلوها في الضمير،ويتتبع فيه كل هاجسة وكل شائبة حول حقيقة التوحيد،حتى يخلصها من كل غبش.ويدعها مكينة راكزة لا يتطرق إليها وهم في صورة من الصور.. كذلك قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا الوضوح في صفات اللّه وبخاصة ما يتعلق منها بالربوبية المطلقة.فقد كان معظم الركام في ذلك التيه الذي تخبط فيه الفلسفات والعقائد كما تخبط فيه الأوهام والأساطير..
مما يتعلق بهذا الأمر الخطير،العظيم الأثر في الضمير الإنساني.وفي السلوك البشري سواء.
والذي يراجع لجهد المتطاول الذي بذله الإسلام لتقرير كلمة الفصل في ذات اللّه وصفاته وعلاقته بمخلوقاته،هذا الجهد الذي تمثله النصوص القرآنية الكثيرة..الذي يراجع هذا الجهد المتطاول دون أن يراجع ذلك الركام الثقيل في ذلك التيه الشامل الذي كانت البشرية كلها تهيم فيه..قد لا يدرك مدى الحاجة إلى كل هذا البيان المؤكد المكرر،وإلى كل هذا التدقيق الذي يتتبع كل مسالك الضمير..ولكن مراجعة ذلك الركام تكشف عن ضرورة ذلك الجهد المتطاول،كما تكشف عن مدى عظمة الدور الذي قامت به هذه العقيدة - وتقوم في تحرير الضمير البشري وإعتاقه وإطلاقه من عناء التخبط بين شتى الأرباب وشتى الأوهام والأساطير!
وإن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها..كل هذا لا ينجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من

العقائد والتصورات،والأساطير والفلسفات! وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم..عندئذ تبدوالعقيدة الإسلامية رحمة.رحمة حقيقية للقلب والعقل،رحمة بما فيها من جمال وبساطة،ووضوح وتناسق،وقرب وأنس،وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق..[250]

**20- تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة:**

فهي تأمر أهلها بكل خير،وتنهاهم عن كل شر،فتأمرهم بالعدل والاعتدال،وتنهاهم عن الظلم والانحراف،قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[النحل:90]

إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ  بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ،وَيَنْدُبُ إِلَى الإِحْسَانِ وَالفَضْلِ،وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحْمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي القُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ،وَيَنْهَى عَنِ ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ وَالمُنْكَرَاتِ وَالفَوَاحِشِ،مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،مِمَّا يَأْتِيهِ العَبْدُ سِرّاً وَخِفْيَةً وَاللهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالخَيْرِ،وَيَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَالشَّرِّ،لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِي الفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ،فَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ.

لقد جاء هذا الكتاب لينشىء أمة وينظم مجتمعا،ثم لينشىء عالما ويقيم نظاما.جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أوأمة أوجنس إنما العقيدة وحدها هي الآصرة والرابطة والقومية والعصبية.ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات،واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب،والثقة بالمعاملات والوعود والعهود:

جاء «بِالْعَدْلِ» الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل،لا تميل مع الهوى،ولا تتأثر بالود والبغض،ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب،والغنى

---

[250] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 208]

والفقر،والقوة والضعف.إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع،وتزن بميزان واحد للجميع.
وإلى جوار العدل..«الْإِحْسانِ»..يلطف من حدة العدل الصارم الجازم،ويدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارا لود القلوب،وشفاء لغل الصدور.ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحا أويكسب فضلا.
والإحسان أوسع مدلولا،فكل عمل طيب إحسان،والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل،فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه،وعلاقاته بأسرته،وعلاقاته بالجماعة،وعلاقاته بالبشرية جميعا.
ومن الإحسان «إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى » إنما يبرز الأمر به تعظيما لشأنه،وتوكيدا عليه.وما يبني هذا على عصبية الأسرة،إنما يبنيه على مبدأ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام.وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل[251].
« وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ»..والفحشاء كل أمر يفحش أي يتجاوز الحد.ومنه ما خصص به غالبا وهوفاحشة الاعتداء على العرض،لأنه فعل فاحش فيه اعتداء وفيه تجاوز للحد حتى ليدل على الفحشاء ويختص بها.والمنكر كل فعل تنكره الفطرة ومن ثم تنكره الشريعة فهي شريعة الفطرة.وقد تنحرف الفطرة أحيانا فتبقى الشريعة ثابتة تشير إلى أصل الفطرة قبل انحرافها.والبغي الظلم وتجاوز الحق والعدل.
وما من مجتمع يمكن أن يقوم على الفحشاء والمنكر والبغي.ما من مجتمع تشيع فيه الفاحشة بكل مدلولاتها،والمنكر بكل مغرراته،والبغي بكل معقباته،ثم يقوم..

---
[251] - فصل التكافل الاجتماعي في كتاب «دراسات إسلامية».«دار الشروق».

والفطرة البشرية تنتفض بعد فترة معينة ضد هذه العوامل الهدامة،مهما تبلغ قوتها،ومهما يستخدم الطغاة من الوسائل لحمايتها.وتاريخ البشرية كله انتفاضات وانتفاضات ضد الفحشاء والمنكر والبغي.فلا يهم أن تقوم عهود وأن تقوم دول عليها حينا من الدهر،فالانتقاض عليها دليل على أنها عناصر غريبة على جسم الحياة،فهي تنتفض لطردها،كما ينتفض الحي ضد أي جسم غريب يدخل إليه.وأمر اللّه بالعدل والإحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغي يوافق الفطرة السليمة الصحيحة،ويقويها ويدفعها للمقاومة باسم اللّه.لذلك يجيء التعقيب:«يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» فهي عظة للتذكر تذكر وحي الفطرة الأصيل القويم...[252]

**21- تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور.**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ،وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ،وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" المستدرك للحاكم[253]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:أَخَذَ رَسُولُ اللهِ  بِمَنْكِبِي أَوقَالَ بِمَنْكِبَيَّ،فقَالَ:كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ،أَوعَابِرُ سَبِيلٍ،قَالَ:فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ،يَقُولُ:إِذَا أَصْبَحْتَ،فَلاَ تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ،وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحَ،وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ،وَمَنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ " صحيح ابن حبان [254]

**22- تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنة:**

---

[252] - انظر :أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 1991) وفي ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2846]

[253] - [المستدرك على الصحيحين للحاكم 4/ 341](7846 ) صحيح

[254] - صحيح ابن حبان - (2 / 472) (698) وصحيح البخارى- المكنز ( 6416)

لأنه يعلم أن الكتاب والسنَّة حق وصواب،وهدى ورحمة ؛فينبعث بذلك إلى تعظيمهما،والأخذ بهما,قال تعالى:
{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا }[الأحزاب:36 ]
فلَيْسَ لِمُؤمِنٍ وَلا لِمُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ قَضَاءً،أَنْ يَتَخَيَّروا مِنْ أَمْرِهِمْ غيرَ مَا قَضَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ لَهُمْ،وَلاَ أَنْ يُخَالِفُوا أَمْرَ اَللهِ وَأَمرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُما.وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ،وَنَهَيَا عَنْهُ،فَقَدْ جَارَ عَنِ السَّبِيلِ القَوِيمِ،وَسَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الهُدَى وَالرَّشَادِ.[255]
وليس لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به،لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها لأن ما يحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم! وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح وإن هم إلا أجراء،لهم أجرهم على العمل،وليس لهم ولا عليهم في النتيجة! عندئذ أسلموا أنفسهم حقيقة للّه.أسلموها بكل ما فيها فلم يعد لهم منها شيء.وعندئذ استقامت نفوسهم مع فطرة الكون كله واستقامت حركاتهم مع دورته العامة وساروا في فلكهم كما تسير تلك الكواكب والنجوم في أفلاكها،لا تحاول أن تخرج عنها،ولا أن تسرع أوتبطئ في دورتها المتناسقة مع حركة الوجود كله.
وعندئذ رضيت نفوسهم بكل ما يأتي به قدر اللّه،لشعورهم الباطن الواصل بأن قدر اللّه هوالذي يصرف كل شيء،وكل أحد،وكل حادث،وكل حالة.واستقبلوا قدر اللّه فيهم بالمعرفة المدركة المريحة الواثقة المطمئنة.وشيئا فشيئا لم يعودوا يحسون بالمفاجأة لقدر اللّه حين يصيبهم،ولا بالجزع الذي يعالج بالتجمل أوبالألم الذي يعالج بالصبر.إنما

---

[255] - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص 3450]

عادوا يستقبلون قدر اللّه استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمر مألوف في حسه،معروف في ضميره،ولا يثير مفاجأة ولا رجفة ولا غرابة!
ومن ثم لم يعودوا يستعجلون دورة الفلك ليقضوا أمرا هم يريدون قضاءه،ولم يعودوا يستبطئون الأحداث لأن لهم أَرَباً[256] يستعجلون تحقيقه،ولوكان هذا الأرب هونصر دعوتهم وتمكينها! إنما ساروا في طريقهم مع قدر اللّه،ينتهي بهم إلى حيث ينتهي،وهم راضون مستروحون،يبذلون ما يملكون من أرواح وجهود وأموال في غير عجلة ولا ضيق،وفي غير من ولا غرور،وفي غير حسرة ولا أسف.وهم على يقين أنهم يفعلون ما قدر اللّه لهم أن يفعلوه وأن ما يريده اللّه هوالذي يكون،وأن كل أمر مرهون بوقته وأجله المرسوم.
إنه الاستسلام المطلق ليد اللّه تقود خطاهم،وتصرف حركاتهم وهم مطمئنون لليد التي تقودهم،شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين،سائرون معها في بساطة ويسر ولين.
وهم - مع هذا - يعملون ما يقدرون عليه،ويبذلون ما يملكون كله،ولا يضيعون وقتا ولا جهدا،ولا يتركون حيلة ولا وسيلة.ثم لا يتكلفون ما لا يطيقون،ولا يحاولون الخروج عن بشريتهم وما فيها من خصائص،ومن ضعف وقوة ولا يدعون ما لا يجدونه في أنفسهم من مشاعر وطاقات،ولا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا،ولا أن بقولوا غير ما يفعلون.
وهذا التوازن بين الاستسلام المطلق لقدر اللّه،والعمل الجاهد بكل ما في الطاقة،والوقوف المطمئن عند ما يستطيعون..هذا التوازن هوالسمة التي طبعت حياة تلك المجموعة الأولى وميزتها وهي التي أهلتها لحمل أمانة هذه العقيدة الضخمة التي تنوء بها الجبال!

---
[256] - الأرب :الغاية والقصد والهدف

واستقرار ذلك المقوم الأول في أعماق الضمائر هوالذي كفل لتلك الجماعة الأولى تحقيق تلك الخوارق التي حققتها في حياتها الخاصة،وفي حياة المجتمع الإنساني إذ ذاك.وهوالذي جعل خطواتها وحركاتها تتناسق مع دورة الأفلاك،وخطوات الزمان،ولا تحتك بها أوتصطدم،فتتعوق أوتبطئ نتيجة الاحتكاك والاصطدام.وهوالذي بارك تلك الجهود،فإذا هي تثمر ذلك الثمر الحلوالكثير العظيم في فترة قصيرة من الزمان.
ولقد كان ذلك التحول في نفوسهم بحيث تستقيم حركتها مع حركة الوجود،وفق قدر اللّه المصرف لهذا الوجود..كان هذا التحول في تلك النفوس هوالمعجزة الكبرى التي لا يقدر عليها بشر إنما تتم بإرادة اللّه المباشرة التي أنشأت الأرض والسماوات،والكواكب والأفلاك ونسقت بين خطاها ودوراتها ذلك التنسيق الإلهي الخاص.
وإلى هذه الحقيقة تشير هذه الآيات الكثيرة في القرآن..حيث يقول اللّه تبارك وتعالى:«إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ»..أويقول:«لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ»..أويقول:«إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ»..فذلك هوالهدى بحقيقته الكبيرة ومعناه الواسع.هدى الإنسان إلى مكانه في هيكل هذا الوجود وتنسيق خطاه مع حركة هذا الوجود.ولن يؤتي الجهد كامل ثماره إلا حين يستقيم القلب على هدى اللّه بمعناه وتستقيم حركة الفرد مع دورة الوجود ويطمئن الضمير إلى قدر اللّه الشامل الذي لا يكون في الوجود أمر إلا وفق مقتضاه.
ومن هذا البيان ينجلي أن هذا النص القرآني:«وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»..أشمل وأوسع وأبعد مدى من

أي حادث خاص يكون قد نزل فيه.وأنه يقرر كلية أساسية،أوالكلية الأساسية،في منهج الإسلام!.[257]

**23- تَكْفُل لمعتنقيها الحياة الكريمة:**

ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة ؛ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله،ووجوب إفراده بالعبادة دون من سواه،وذلك-بلا شك - سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين ؛فالأمن قرين الإيمان،وإذا فقد الإيمان فقد الأمن،قال تعالى:( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ )[الأنعام:82].

فأهل التقـوى والإيمـان لهم الأمن التـام،والاهتـداء التـام في العاجل والآجــل،وأهل الشــرك والمعصــية هم أهل الخــوف وأولى النــاس بــه،فهم مهــددون بالعقوبــات والنقمات في سائر الأوقات.

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ مَنْ هُوالحَقِيقُ بِالأَمْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ فَقَالَ:الذِينَ أَخْلَصُوا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً،وَلَمْ يَخْلِطُوا إِيمَانَهُمْ ( يَلْبِسُوا ) بِظُلْمٍ،وَلاَ كُفْرٍ،وَلاَ شِرْكٍ بِاللهِ،فَهَؤُلاءِ هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخُلُودِ فِي العَذَابِ،وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.[258]

وإذا كان الشرك بالّله مصدر المخاوف والأوهام،فلا غرابة في أن المشركين يعيشون دائما في قلق واضطراب وخوف من مغيبات القدر والمستقبل.أما المؤمنون الموحدون فلهم الأمن المطلق بشرط وجود الوصفين:وهما الإيمان،وهوكمال القوة النظرية،وعدم الإيمان بالظلم،وهوكمال القوة العملية.والمراد من الظلم هنا:هوالشرك لأنه الظلم الأكبر،ولقوله تعالى حكاية عن لقمان،إذ قال لابنه وهويعظه:يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ

---

[257] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3627]

[258] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 872)

بِاللَّهِ،إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ والمراد هنا:الذين آمنوا باللّه،ولم يثبتوا للّه شريكا في العبادة.[259]

**24- تعترف بالعقل وتحدد مجاله:**

فالعقيدة الإسلامية تحترم العقل السوي،وترفع من شأنه،ولا تحجر عليه،ولا تنكر نشاطه،والإسلام لا يرضى من المسلم أن يطفئ نور عقله،ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها،قال تعالى:{ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوأَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوالْأَلْبَابِ } [الرعد:19]

لا يَسْتَوِي المُهْتَدِي مِنَ النَّاسِ،الذِي يَعْلَمُ أَنَّ الذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ هُوالحَقُّ،الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ،مَعَ الضَّالِّ،الذِي لاَ يَعْلَمُ ذَلِكَ،لأَنَّهُ يَكُونُ كَالأَعْمَى لاَ يَهْتَدِي إِلَى خَيْرٍ،وَلاَ يَفْهَمُهُ،وَلَوفَهِمَهُ مَا انْقَادَ إِلَيْهِ،وَلاَ صَدَّقَ بِهِ وَلاَ انْتَفَعَ.؟ فَالذِينَ يَتَّعِظُونَ وَيَعْتَبِرُونَ هُمْ أَصْحَابُ العُقُولِ السَّلِيمَةِ،وَالبَصَائِرِ المُدْرِكَةِ ( أُولُوالأَلْبَابِ )[260].

فـالعمى وحـده هوالـذي ينشئ الجهل بهـذه الحقيقة الكـبرى الواضـحة الـتي لا تخفى إلا على أعمى.والنـاس إزاء هـذه الحقيقة الكبـيرة صـنفان:مبصـرون فهم يعلمـون،وعمي فهم لا يعلمـون! والعمى عمى البصيرة،وانطماس المدارك،واستغلاق القلـوب،وانطفـاء قبس المعرفة في الأرواح،وانفصـالها عن مصـدر الإشعاع..«إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبـابِ»..الـذين لهم عقـول وقلـوب مدركة تـذكر بـالحقّ فتتـذكر،وتنبه إلى دلائله فتتفكر[261].

**25- تعـترف بـالعواطف الإنسـانية،وتوجهها الوجهة الصحيحة:**

فالعواطف أمر غريزي،ولا يتجرد منه أي إنسان سوي،والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة

---

[259] - التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ج 7،ص :275
[260] - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص 1727]
[261] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2695]

جامدة،بل هي عقيدة حيَّة،تعترف بالعواطف الإنسانية،وتقدرها حق قدرها،وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها،بل تُقوِّمها،وتسموبها،وتوجهها الوجهة الصحيحة،التي تجعل منها أداة خير وتعمير،بدلاً من أن تكون معولَ هدمٍ وتدمير.

**26- العقيـــــدة الإســـــلامية كفيلة بحل جميع المشكلات:**

سواء مشكلات الفرقة والشـتات،أومشـكلات السياسة والاقتصـاد،أومشـكلات الجهل والمـرض والفقـر،أوغـير ذلك.

فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة،والأهواء المتفرقة،وأغنى بها المسلمين بعد العَيْلَة،وعلّمهم بها بعد الجهل،وبصّرهم بعد العمى،وأطعمهم من جوع،وآمنهم من خوف،قال تعالى:{ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[الأنفال:26]

يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ إِلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الوَفِيرَةِ،فَقَدْ كَانُوا قَلِيلِي العَدَدِ،مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ،يَعْتَدِي عَلَيْهِمُ النَّاسُ،خَائِفِينَ مِنْ مُجْرِمِي قُرَيْشٍ،فَقَوَّاهُمْ وَآوَاهُمْ،وَنَصَرَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ،وَكُلُّ هَذِهِ النِّعَمِ التِي أَنْعَمَ بِهَا اللهُ عَلَيْهِمْ تَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا،فَاللهُ تَعَالَى مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ مِنْ عِبَادِهِ [262].

والعصبة المسلمة التي تجاهد اليوم لإعادة إنشاء هذا الدين في واقع الأرض وفي حياة الناس قد لا تكون قد مرت بالمرحلتين،ولا تذوقت المذاقين..ولكن هذا القرآن يهتف لها بهذه الحقيقة كذلك.ولئن كانت اليوم إنما تعيش في قوله تعالى:«إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ»..فأولى لها أن

---

[262] - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص 1187]

تستجيب لدعوة الحياة التي يدعوها إليها رسول اللّه وأن تترقب في يقين وثقة،موعود اللّه للعصبة المسلمة،موعوده الذي حققه للعصبة الأولى،ووعد بتحقيقه لكل عصبة تستقيم على طريقه،وتصبر على تكاليفه..وأن تنتظر قوله تعالى:«فَآواكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ،وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».وهي إنما تتعامل مع وعد اللّه الصادق - لا مع ظواهر الواقع الخادع - ووعد اللّه هوواقع العصبة المسلمة الذي يرجح كل واقع!![263]

فاللّه يحقق لمن امتثل أوامره سعادة الدنيا،وعزة السلطان،والتمكين في الأرض،والأمن من المخاوف،والنصر على الأعداء،ويمنحهم أيضا الفوز والنجاة والرضوان في الآخرة.فإن تنكروا للأوامر الإلهية ولم يشكروا النعم،كحال المسلمين اليوم،صاروا أذلة ضعافا.وسنة الله في ذلك هي:إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ،وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [الأعراف 7/ 128].[264]



---

[263] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2025]

[264] - التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج - (9 / 296)

# الباب الرابع
# فوائد الإيمان وثمراته

كم للإيمان الصحيح من الفوائد والثمرات العاجلة والآجلة،في القلب والبدن والراحة،والحياة الطيبة،والدنيا والآخرة.وكم لهذه الشجرة الإيمانية من الثمار اليانعة،والجني اللذيذ،والأكل الدائم،والخير المستمر،أمور لا تحصى،وفوائد لا تستقصى.ومجملها أن خيرات الدنيا والآخرة،ودفع الشرور كلها من ثمرات هذه الشجرة.

إن منْ حكمة الله الربانيةِ أن جعل قلوبَ عباده المؤمنين تحسُّ وتتذوق وتشعر بثمرات الإيمان لتندفع نحومرضاته والتوكل عليه سبحانه وتعالى.فإنَّ شجرة الإيمانِ إذا ثبتتْ وقويتْ أصولها وتفرعت فروعُها،وزهتْ أغصانُها،وأينعت أفنانها عادت على صاحبها وعلى غيره بكلِّ خيرٍ عاجلٍ وآجل في الدنيا والآخرة.[265]

وثمارُ الإيمان وثمراتهِ وفوائدهِ كثيرةٌ قد بينها الله سبحانه وتعالى في كتابهِ الكريم.

**فمن أعظم هذه الفوائدَ والثمار:**

**أولاً:الاغتباطُ بولاية الله الخاصةِ التي هي أعظمُ ما تنافس فيه المتنافسون،وتسابق فيه المتسابقون،وأعظم ُما حصل عليه المؤمنون.**

قال تعالى:أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64 [يونس/62-64].

فكلُّ مؤمن تقي،فهولله وليٌّ ولايةً خاصةً،من ثمراتها ما قاله الله عنه:{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ

---

[265] - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:85)

يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (257) سورة البقرة.
أي:يخرجهم من ظلماتِ الكفر إلى نورِ الإيمان،ومن ظلماتِ الجهل إلى نور العلم،ومن ظلماتِ المعاصي إلى نورِ الطاعة،ومن ظلماتِ الغفلةِ إلى نور اليقظةِ والذكر،وحاصلُ ذلك:أنه يخرجُهم من ظلماتِ الشرورِ المتنوعةِ إلى ما يرفعُها من أنوارِ الخير العاجلِ والآجلِ.وإنما حازوا هذا العطاءَ الجزيلَ:بإيمانهمُ الصحيحِ،وتحقيقهم هذا الإيمان بالتقوى،فإنَّ التقوى من تمامِ الإيمان.[266]

**ثانياً:الفوزُ برضى اللهِ ودارِ كرامته:**

قال تعالى:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) }[التوبة/71،72].
فنالوا رضا ربهم ورحمته،والفوزَ بهذه المساكن الطيبة:بإيمانهم الذي كمّلوا به أنفسهم،وكمّلوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فاستولوا على أجلِّ الوسائلَ،وأفضلِ الغاياتِ وذلك فضلُ الله.[267]

**ثالثا:أن الله يدفعُ عن المؤمنينَ جميع المكارهِ،وينجّيهم من الشدائدَ:**

كما قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (38) سورة الحـج.
أي:يدفع عنهم كلَّ مكروه،يدفع عنهم شرَّ شياطين الأنس وشياطين الجن،ويدفع عنهم الأعداءَ،ويدفع عنهم المكارهَ قبل نزولها،ويرفعها أويخففها بعد نزولها.

---

[266] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:85)
[267] -انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:86)

ولما ذكر تعالى ما وقع فيه يونس عليه السلام وأنه (...فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[الأنبياء:من الآية87] قال:(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: 88].إذا وقعوا في الشدائد،كما نجّينا يونس عليه السلام .

وعَنِ سَعْدٍ،قَالَ:مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَمَلأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلامَ،فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ،فَقُلْتُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،هَلْ حَدَثَ فِي الْإِسْلامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ قَالَ:لَا.وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ:قُلْتُ:لا.إِلاَّ أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ آنِفًا فِي الْمَسْجِدِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي،ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلامَ.قَالَ:فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَدَعَاهُ،فَقَالَ:مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَى أَخِيكَ السَّلامَ؟ قَالَ عُثْمَانُ:مَا فَعَلْتُ قَالَ سَعْدٌ:قُلْتُ:بَلَى.قَالَ:حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ،قَالَ:ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ،فَقَالَ:بَلَى،وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آنِفًا،وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،لَا وَاللهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلا تَغَشَّى بَصَرِي وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ،قَالَ:قَالَ سَعْدٌ:فَأَنَا أُنْبِئُكَ بِهَا:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ،ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَشَغَلَهُ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ،ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ،فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ:فَقَالَ:" مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ؟ " قَالَ:قُلْتُ:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.قَالَ:" فَمَهْ ".قَالَ:قُلْتُ:لَا وَاللهِ،إِلا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَشَغَلَكَ،قَالَ:" نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ:{لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء:87] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتَجَابَ لَهُ " [268].

[268] - مسند أحمد ط الرسالة (3/ 65)(1462 ) صحيح = النون :الحوت

وقال تعالى:(...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) [الطلاق:من الآية4].
فالمؤمنُ المتقي ييسر الله له أمورَه وييسره لليسْرى،ويجنبه العسرى:ويسهلُ عليه الصعاب،ويجعل له من كلِّ همٍّ فرجاً،ومن كل ضيقٍ مخرجاً،ويرزقُه من حيثُ لا يحتسبُ.وشواهدُ هذا كثيرة من الكتاب والسنة.[269].

**رابعاً:أن الإيمان والعمل الصالح – الذي هوفرعه – يثمر الحياة الطيبة في هذه الدار،وفى دار القرار:**

قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوأُنثَى وَهُومُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (97) سورة النحل
وذلك أنه من خصائصِ الإيمان،أنه يثمر ُطمأنينةَ القلبِ وراحته،وقناعتَه بما رزقَ الله،وعدم تعلقِه بغيره،وهذه هي الحياةُ الطيبةُ.فإنَّ أصل الحياةِ الطيبة:راحةُ القلب وطمأنينتُه،وعدمُ تشويشه مما يتشوشُ منه الفاقدُ للإيمانِ الصحيح.[270]
فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعثا وغاية.فتجعل الخير أصيلا ثابتا يستند إلى أصل كبير.لا عارضا مزعزعا يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل. وأن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض.لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال.فقد تكون به،وقد لا يكون معها.وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثيرِ تطيب بها الحياة في حدود الكفاية:فيها الاتصال باللّه والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه.وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة،وسكن البيوت ومودات القلوب.وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة..وليس المال إلا عنصرا واحدا يكفي منه القليل،حين يتصل القلب بما

---
[269] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:87)
[270] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:89)

هوأعظم وأزكى وأبقى عند اللّه.وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة.
وأن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا،ويتضمن هذا تجاوز اللّه لهم عن السيئات.فما أكرمه من جزاء!.[271]

**خامساً:إن جميعَ الأعمالِ والأقوال إنما تصحُّ وتكملُ بحسب ما يقوم بقلبِ صاحبِها من الإيمانِ والإخلاص:**

ولهذا يذكر الله هذا الشرط الذي هوأساس كلِّ عمل،مثل قوله:{فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُومُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} (94) سورة الأنبياء.
أي لا يجحدُ سعيه ولا يضيعُ عملُه،بل يُضاعفُ بحسب قوة إيمانهِ.
وقال تعالى:{وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُومُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} (19) سورة الإسراء.
والسعيُ للآخرة:هوالعملُ بكل ما يقرِّب إليها،ويدني منها،منَ الأعمالِ التي شرعَها اللهُ على لسان نبيهِ محمدٍ -ﷺ- فإذا تأسستْ على الإيمانِ،وانبنتْ عليه:كان السعيُ مشكوراً مقبولاً مضاعفاً،لا يضيعُ منه مثقال ذرة.[272]
هذا هوقانون العمل والجزاء..لا جحود ولا كفران للعمل الصالح متى قام على قاعدة الإيمان..وهومكتوب عند اللّه لا يضيع منه شيء ولا يغيب.
ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته،بل ليثبت للعمل الصالح وجوده.ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته،بل لتثبت للإيمان حقيقته.
إن الإيمان هوقاعدة الحياة،لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود،والرابطة التي تشد الوجود بما فيه

---
[271] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2850]
[272] - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:89)

ومن فيه إلى خالقه الواحد،وترده إلى الناموس الواحد الذي ارتضاه،ولا بد من القاعدة ليقوم البناء.والعمل الصالح هوهذا البناء.فهومنهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته.
والعمل الصالح هوثمرة الإيمان التي تثبت وجوده وحيويته في الضمير.والإسلام بالذات عقيدة متحركة متى تم وجودها في الضمير تحولت إلى عمل صالح هوالصورة الظاهرة للإيمان المضمر..والثمرة اليانعة للجذور الممتدة في الأعماق.
ومن ثم يقرن القرآن دائما بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء.فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر.ولا على عمل منقطع لا يقوم على الإيمان.
والعمل الطيب الذي لا يصدر عن إيمان إنما هومصادفة عابرة،لأنه غير مرتبط بمنهج مرسوم.ولا موصول بناموس مطرد.وإن هوإلا شهوة أونزوة غير موصولة بالباعث الأصيل للعمل الصالح في هذا الوجود.وهوالإيمان بإله يرضى عن العمل الصالح،لأنه وسيلة البناء في هذا الكون،ووسيلة الكمال الذي قدره اللّه لهذه الحياة.فهوحركة ذات غاية مرتبطة بغاية الحياة ومصيرها،لا فلتة عابرة،ولا نزوة عارضة،ولا رمية بغير هدف،ولا اتجاها معزولا عن اتجاه الكون وناموسه الكبير.[273]
وأما إذا فقدَ العملُ الإيمانَ،فلواستغرق العاملُ ليلهُ ونهاره فإنه غير مقبول ٍقال تعالى:(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً) [الفرقان:23]
ذلك أنه لم يقم على الإيمان،الذي يصل القلب باللّه،والذي يجعل العمل الصالح منهجا مرسوما وأصلا قاصدا،لا خبط عشواء،ولا نزوة طارئة،ولا حركة مبتورة لا قصد لها ولا غاية.فلا قيمة لعمل مفرد لا يتصل

[273] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3091]

بمنهج،ولا فائدة لحركة مفردة ليست حلقة من سلسلة ذات هدف معلوم.إن وجود الإنسان وحياته وعمله في نظرة الإسلام موصولة كلها بأصل هذا الكون،وبالناموس الذي يحكمه،والذي يصله كله باللّه.بما فيه الإنسان وما يصدر عنه من نشاط.فإذا انفصل الإنسان بحياته عن المحور الرئيسي الذي يربطه ويربط الكون،فإنه يصبح لقي ضائعا لا وزن له ولا قيمة،ولا تقدير لعمله ولا حساب.بل لا وجود لهذا العمل ولا بقاء.والإيمان هوالذي يصل الإنسان بربه فيجعل لعمله قيمة ووزنا،ويجعل له مكانه في حساب هذا الكون وبنائه.وهكذا تعدم أعمال أولئك المشركين.تعدم إعداما يصوره التعبير القرآني تلك الصورة الحسية المتخيلة:«وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً»..[274]

وقال تعالى:قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) [الكهف/103-107]،فهم لما فقدوا الإيمانَ،وأحلوا محلَّه الكفرَ بالله وآياته – حبطتْ أعمالهُم قال تعالى:(...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...) [الزمر:من الآية65].

ولهذا كانتِ الرِّدةُ عن الإيمانِ تحبطُ جميعَ الأعمالِ الصالحة،كما أنَّ الدخولَ في الإسلامِ والإيمانِ يجُبُّ ما قبله من السيئاتِ وإن عظُمتْ.

فالتوبةُ من الذنوبِ المنافيةِ للإيمان،والقادحةِ فيه،والمنقصَةِ له – تجُبُّ ما قبلها.قال تعالى مبينا صفات عباده الصالحين:{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ

---

[274] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3279]

الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) [الفرقان/68-70] }.[275]

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ،كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» (أخرجه ابن ماجة)[276].

**سادساً:أنَّ صاحبَ الإيمان يهديه اللهُ إلى الصراط المستقيم،ويهديه إلى علم الحقِّ،وإلى العمل به وإلى تلقي المحابَّ بالشكر،وتلقِّي المكارهَ والمصائبَ بالرضا والصبر:**

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (9) سورة يونس.

الذين آمنوا فأدركوا أن هناك ما هوأعلى من هذه الحياة الدنيا،وعملوا الصالحات بمقتضى هذا الإيمان،تحقيقا لأمر اللّه بعمل الصالحات،وانتظارا للآخرة الطيبة..وطريقها هوالصالحات..هؤلاء.«يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ»..يهديهم إلى الصالحات بسبب هذا الإيمان الذي يصل ما بينهم وبين اللّه،ويفتح بصائرهم على استقامة الطريق،ويهديهم إلى الخير بوحي من حساسية الضمير وتقواه..هؤلاء يدخلون الجنة.«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ»..وما يزال الماء ولن يزال يوحي بالخصب والري والنماء والحياة..فما همومهم في هذه الجنة وما هي شواغلهم،وما هي دعواهم التي يحبون تحقيقها؟ إن همومهم ليست مالا ولا جاها،وإن شواغلهم ليست دفع أذى ولا تحصيل مصلحة.لقد كفوا شر ذلك كله،ولقد اكتفوا فما لهم من حاجة من تلك الحاجات،ولقد استغنوا بما وهبهم اللّه،ولقد ارتفعوا عن مثل هذه الشواغل والهموم.

---

[275] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:89)

[276] - [سنن ابن ماجه 2/ 1419]( 4250 ) صحيح لغيره

إن أقصى ما يشغلهم حتى ليوصف بأنه «دعواهم» هوتسبيح اللّه أولا وحمده أخيرا،يتخلل هذا وذاك تحيات بينهم وبين أنفسهم وبينهم وبين ملائكة الرحمن:«دَعْواهُمْ فِيها:سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ.وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ.وَآخِرُ دَعْواهُمْ:أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»..
إنه الانطلاق من هموم الحياة الدنيا وشواغلها والارتفاع عن ضروراتها وحاجاتها،والرفرفة في آفاق الرضى والتسبيح والحمد والسلام.تلك الآفاق اللائقة بكمال الإنسان.)[277].
وقال تعالى:{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (11) سورة التغابن.
عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ،قَالَ:كُنَّا عِنْدَ عَلْقَمَةَ،فَقُرِئَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةُ:{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:11] فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ،فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،فَيُسَلِّمُ ذَلِكَ وَيَرْضَى.[278].
إنه الإيمان الذي يرد كل شيء إلى اللّه،ويعتقد أن كل ما يصيب من خير ومن شر فهوبإذن اللّه.وهي حقيقة لا يكون إيمان بغيرها.فهي أساس جميع المشاعر الإيمانية عند مواجهة الحياة بأحداثها خيرها وشرها.كما يجوز أن تكون هناك مناسبة حاضرة في واقع الحال عند نزول هذه السورة.أوهذه الآية من السورة،فيما كان يقع بين المؤمنين والمشركين من وقائع.
وعلى أية حال فهذا جانب ضخم من التصور الإيماني الذي ينشئه الإسلام في ضمير المؤمن.فيحس يد اللّه في كل حدث،ويرى يد اللّه في كل حركة،ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء.يصبر للأولى ويشكر للثانية.وقد يتسامى إلى آفاق فوق هذا،فيشكر في السراء وفي الضراء إذ يرى في الضراء كما في السراء

---

[277] - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (23/ 12) صحيح
[278] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 2395]

فضل اللّه ورحمته بالتنبيه أوبالتكفير أوبترجيح ميزان الحسنات،أوبالخير على كل حال.
وفي الحديث الصحيح عَنْ صُهَيْبٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ،فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ،صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».[279]
«وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ»..وقد فسرها بعض السلف بأنها الإيمان بقدر اللّه والتسليم له عند المصيبة.وعن ابن عباس يعني يهدي قلبه هداية مطلقة.ويفتحه على الحقيقة اللدنية المكنونة.ويصله بأصل الأشياء والأحداث،فيرى هناك منشأها وغايتها.ومن ثم يطمئن ويقر ويستريح.ثم يعرف المعرفة الواصلة الكلية فيستغني عن الرؤية الجزئية المحفوفة بالخطأ والقصور.ومن ثم يكون التعقيب عليها:«وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»..فهي هداية إلى شيء من علم اللّه،يمنحه لمن يهديه،حين يصح إيمانه فيستحق إزاحة الحجب،وكشف الأسرار..بمقدار..[280]
"ولولم يكنْ من ثمرات الإيمان،إلا أنهُ يسلّي صاحبَه عن المصائبِ والمكارهِ التي تعترض كلَّ أحدٍ في كلِّ وقتٍ،ومصاحبةُ الإيمانِ واليقين أعظمُ مسلٍّ عنها،ومهونٍ لها وذلك:لقوةِ إيمانه وقوة توكله،ولقوة رجائهِ بثواب ربه،وطمعه في فضله؛فحلاوةُ الأجرِ تخففُ مرارةَ الصبر قال تعالى:{وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (104) سورة النساء ." [281]

---

[279] - [صحيح مسلم 4/ 2295] 64 - (2999)
[280] - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:91)
[281] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 4472]

إنهن كلمات معدودات.يضعن الخطوط الحاسمة،ويكشفن عن الشقة البعيدة،بين جبهتي الصراع..
إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة..ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يحتملونه..إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح واللأواء..ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء..إن المؤمنين يتوجهون إلى اللّه بجهادهم،ويرتقبون عنده جزاءهم..فأما الكفار فهم ضائعون مضيعون،لا يتجهون للّه،ولا يرتقبون عنده شيئا في الحياة ولا بعد الحياة..
فإذا أصر الكفار على المعركة،فما أجدر المؤمنين أن يكونوا هم أشد إصرارا،وإذا احتمل الكفار آلامها،فما أجدر المؤمنين بالصبر على ما ينالهم من آلام.وما أجدرهم كذلك أن لا يكفوا عن ابتغاء القوم ومتابعتهم بالقتال،وتعقب آثارهم،حتى لا تبقى لهم قوة،وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين للّه.
وإن هذا لهوفضل العقيدة في اللّه في كل كفاح.فهناك اللحظات التي تعلوفيها المشقة على الطاقة،ويربوالألم على الاحتمال.ويحتاج القلب البشري إلى مدد فائض وإلى زاد.هنالك يأتي المدد من هذا المعين،ويأتي الزاد من ذلك الكنف الرحيم.
ولقد كان هذا التوجيه في معركة مكشوفة متكافئة.معركة يألم فيها المتقاتلون من الفريقين.لأن كلا الفريقين يحمل سلاحه ويقاتل.
ولربما أتت على العصبة المؤمنة فترة لا تكون فيها في معركة مكشوفة متكافئة..ولكن القاعدة لا تتغير.
فالباطل لا يكون بعافية أبدا،حتى ولوكان غالبا! إنه يلاقي الآلام من داخله.من تناقضه الداخلي ومن صراع بعضه مع بعض.ومن صراعه هومع فطرة الأشياء وطبائع الأشياء.

وسبيل العصبة المؤمنة حينئذ أن تحتمل ولا تنهار.وأن تعلم أنها إن كانت تألم،فإن عدوها كذلك يألم. والألم أنواع.والقرح ألوان..«وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ»..وهذا هوالعزاء العميق.وهذا هومفرق الطريق..«وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً»..يعلم كيف تعتلج المشاعر في القلوب.ويصف للنفس ما يطب لها من الألم والقرح..)[282].

وبهذا التصوير يفترق طريقان ويبرز منهجان ويصغر كل ألم،وتهون كل مشقة.ولا يبقى مجال للشعور بالضنى وبالكلال..فالآخرون كذلك يألمون.ولكنهم يرجون من اللّه ما لا يرجون! ويرسم هذا الدرس - بجملة الموضوعات التي يعالجها،وبطرائق العلاج التي يسلكها - ما كان يعتمل في جسم الجماعة المسلمة،وهي تواجه مشاق التكوين الواقعية ومشكلات التكوين العملية.وما كان يشتجر في النفوس من عوامل الضعف البشري ومن رواسب الماضي الجاهلي،ومن طبيعة الفطرة البشرية وهي تواجه التكاليف بمشاقها وآلامها مع ما يصاحب هذه المشاق والآلام من أشواق ومن تطلع إلى الوفاء كذلك يستثيرها المنهج الحكيم،ويستجيشها في الفطرة لتنهض بهذا الأمر العظيم.[283].

ولهذا تجد اثنين تصيبهم مصيبة واحدة أو متقاربة - وأحدهما عنده إيمان،والآخر فاقد له - تجد الفرق العظيم بين حاليهما،وتأثيرها في ظاهرهما وباطنهما.وهذا الفرق راجع إلى الإيمان والعمل بمقتضاه.

وكما أنه يسلي عند ورود المصائب والمكاره،فإنه يسلي عند فقد المحاب.فإذا فقد المؤمن حبيبه الذي تمكن حبه من قلبه - من أهل وولد،ومال،وصديق،وشبهها -

---

[282] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1109]

[283] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1095]

تسلى بحلاوة إيمانه،والإيمان خير عوض للمؤمن عن كل مفقود،كما هو مشاهد مجرب.
وفقد المحبوب - في الحقيقة - معدود من المصائب.ولولا أن يعقوب -عليه الصلاة والسلام- عنده من الإيمان ما يهون عليه مصيبته في فقد يوسف مع شدة حبه العظيم،بحيث قال لإخوته - لما طلبوا منه بعض يوم،أن يذهب معهم ليرتع ويلعب - {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ} [سورة يوسف:13] فأخبر أن المانع له من إرساله؛ أنه لا يصبر على فراقه ولا ساعة من نهار.ولكنهم عالجوه،وذكروا له الأسباب التي توجب له أن يرسله معهم؛ فأرسله {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [سورة الأنفال:42] .فمن هذه حاله،وهذا حبه البليغ الذي لا يمكن المعبر أن يعبر عنه - هل يدخل في الذهن أنه يبقى هذه المدة الطويلة على الوجود؟ ! بل يغلب على الظن أن الحب يفتت كبده بأسرع وقت.ولكن قوة الإيمان،وقوة الرجاء بالله - أوجب له أن يتماسك كل هذه المدة،حتى جاء الله بالفرج الذي وعد به المؤمنون.
وكذلك؛ أم موسى - حين ذهبت اليم بموسى،وأصبح فؤادها فارغا من كل شيء إلا من الحزن على موسى - لولا أن الله ربط على قلبها بالإيمان،وعلمت أن وعد الله حق - لكادت تبدي بما في قلبها،وتصرح بمصيبتها.ولكن هو الإيمان،المثبت عند الشدائد،المسلي عند المصائب،المقوي إذا وهنت القوى،المعزي إذا عز العزاء.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ،يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[284].
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ قَالَ:فَقَالَ:«يَا غُلَامُ،احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،وَاحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ،تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي

[284] - أمالي ابن بشران - الجزء الثاني (ص:212)(1365 ) صحيح

الشِّدَّةِ،وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ،وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ،وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ،أَوْ يَمْنَعُوكَ شَيْئًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ،وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ جَفَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،فَإِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ اللَّهَ،وَإِذَا اعْتَصَمْتَ فَاعْتَصِمْ بِاللَّهِ،وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ،وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ،وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يَسِّرًا»[285].

أي:تعرف إلى الله بالإيمان وأعمال الإيمان - وأنت صحيح غني قوي - يعرفك الله في الشدة ويقويك الله على مباشرتها،ويعينك على معالجتها.وأعظم شدة - تنزل بالمؤمن - شدة الموت وسكراته.

فهذا الحديث بشرى لكل مؤمن - قد تعرف إلى ربه في رخائه - أن يعينه في ذلك المقام الحرج،والشدة المزعجة،وضعف القوى،وتكاثف الشياطين الذين يريدون أن يحولوا بين العبد وبين ختم حياته بالخير.فإن الله يعينه بتأييده،وروحه ورحمته،ولا حول ولا قوة إلا بالله.[286].

**سابعاً:ومن ثمراتِ الإيمان ولوازمه حبُّ الله لهم :**

قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً) [مريم:96] أي بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان،يحبُّهم اللهُ ويجعلُ لهم المحبةَ في قلوب المؤمنينَ.ومَنْ أحبَّه اللهُ وأحبَّه المؤمنونَ من عبادهِ حصلتْ له السعادةُ والفلاحُ والفوائدُ الكثيرةُ من محبَّةِ المؤمنين من الثناءِ والدعاءِ له حياً وميتاً،والاقتداءِ به وحصولِ الإمامةِ في الدِّينِ .[287]

وللتعبير بالود في هذا الجو نداوة رخية تمس القلوب،وروح رضى يلمس النفوس.وهوود يشيع في

---

[285] - الآداب للبيهقي (ص:307)(758 ) صحيح
[286] - انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:91)
[287] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:93)

الملأ الأعلى،ثم يفيض على الأرض والناس فيمتلىء به الكون كله ويفيض.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ،قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ،فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ،وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ،قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ،ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ،قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ،ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ " [288]..
وعَنْ نَافِعٍ،قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،وَتَابَعَهُ أَبُو عَاصِمٍ،عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ،قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ،عَنْ نَافِعٍ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: " إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ،فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ،فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ " (أخرجه البخاري)[289].
وعجبا لقوم يمرون على هذا كله،ليقولوا:إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف،يصور العلاقة بين اللّه والإنسان علاقة قهر وقسر،وعذاب وعقاب،وجفوة وانقطاع...لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن اللّه وأقنوم الإله،فيربط بين اللّه والناس،في هذا الازدواج!
إن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية،لا تجفف ذلك الندى الحبيب،بين اللّه والعبيد،فهي علاقة الرحمة كما أنها علاقة العدل،وهي علاقة الود كما أنها علاقة التجريد،وهي علاقة الحب كما أنها علاقة التنزيه..إنه

---

[288] - [صحيح مسلم 4/ 2030]157 - (2637) - وانظر في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 3011]
[289] - [صحيح البخاري 4/ 111](3209 ) و[صحيح مسلم 4/ 2030]157 - (2637)
[(القبول في الأرض) المحبة في قلوب من يعرفه من المؤمنين ويبقى له ذكر صالح وثناء حسن ]

التصور الكامل الشامل لكل حاجات الكينونة البشرية في علاقتها برب العالمين[290]..

ومن أجلِّ ثمرات الإيمان:أنْ يجعل َالله للمؤمنين الذين كمّلوا إيمانهم بالعلم والعمل – لسانَ صدقٍ – ويجعلُهم أئمةً يهتدونَ بأمرهِ كما قال تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (24) سورة السجدة.

فبالصبر واليقين - اللذين هما رأس الإيمان وكماله - نالوا الإمامة في الدين.[291]

قال ابن القيم رحمه الله :" وقوله تعالى {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} إرشاد إلى منصب الإمامة في قوة الدين كقوله تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ} فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

والصبر نوعان نوع على المقدور كالمصائب ونوع على المشروع وهذا النوع أيضا نوعان صبر على الأوامر وصبر عن النواهي فذاك صبر على الإرادة والفعل وهذا صبر عن الإرادة والفعل فأما النوع الأول من الصبر فمشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر لا يثاب عليه لمجرده إن لم يقترن به إيمان واختيار قال النبي ﷺ في حق ابنته "مرها فلتصبر ولتحتسب" وقال تعالى {إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} وقال تعالى {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} وقال {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور وقال تعالى {فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون} فأمره أن يصبر ولا يتشبه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر فإنهم لعدم يقينهم عدم صبرهم

---
[290] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1308]

[291] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:93)

وخفوا واستخفوا قومهم ولو حصل لهم اليقين والحق لصبروا وما خفوا ولا استخفوا فمن قل يقينه قل صبره ومن قل صبره خف واستخف فالموقن الصابر رزين لأنه ذو لب وعقل ومن لا يقين له ولا صبر عنده خفيف طائش تلعب به الأهواء والشهوات كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف والله المستعان [292].

وقال أيضا :" فبالصبر وَالْيَقِين تنَال الْإِمَامَة فِي الدّين،فَقيل بِالصبرِ عَن الدُّنْيَا،وَقيل بِالصبرِ على الْبلَاء،وَقيل بِالصبرِ عَن المناهي،وَالصَّوَاب أَنه بِالصبرِ عَن ذَلِك كُله بِالصبرِ على أَدَاء فَرَائض الله وَالصَّبْر عَن مَحَارمه وَالصَّبْر على أقداره وَجمع سُبْحَانَهُ بَين الصَّبْر وَالْيَقِين إِذْ هما سَعَادَة العَبْد وفقدهما يفقده سعادته فَإِن الْقلب تطرقه طوارق الشَّهَوَات الْمُخَالفَة لأمر الله وطوارق الشُّبُهَات الْمُخَالفَة لخبره فبالصبر يدْفع الشَّهَوَات وباليقين يدْفع الشُّبُهَات فَإِن الشَّهْوَة والشبهة مضادتان للدّين من كل وَجه فَلَا ينجو من عَذَاب الله إِلَّا من دفع شهواته بِالصبرِ وشبهاته بِالْيَقِينِ وَلِهَذَا أخبر سُبْحَانَهُ عَن حبوط أَعمال أهل الشَّهَوَات والشبهات فَقَالَ تَعَالَى {كَالَّذِين من قبلكُمْ كَانُوا أَشد مِنْكُم قُوَّة وَأكْثر أَمْوَالًا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كَمَا استمتع الَّذين من قبلكُمْ بخلاقهم وخضتم كَالَّذي خَاضُوا} فَهَذَا الِاسْتِمْتَاع بالخلاق هُوَ إستمتاعهم بنصيبهم من الشَّهَوَات ثمَّ قَالَ {وخضتم كَالَّذي خَاضُوا} وَهَذَا هُوَ الْخَوْض بِالْبَاطِلِ فِي دين الله وَهُوَ خوض أهل الشُّبُهَات ثمَّ قَالَ {أُولَئِكَ حبطت أَعْمَالهم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَأُولَئِكَ هم الخاسرون} فعلق سُبْحَانَهُ حبوط الْأَعْمَال والخسران بِاتِّبَاع الشَّهَوَات الَّذِي هُوَ الِاسْتِمْتَاع بالخلاق وباتباع الشُّبُهَات الَّذِي هُوَ الْخَوْض بِالْبَاطِلِ "[293].

**ثامناً:رفعُ مكانتهِم في الدارين:**

---

[292] - التبيان في أقسام القرآن (ص:87) وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:72)

[293] - رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص:16)

قال تعالى:{..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..} (11) سورة المجادلة.
فهم أعلى الخلقِ درجةً عند الله وعندَ عبادهِ في الدنيا والآخرة،وإنما نالوا هذه الرفعةَ بإيمانهم الصحيح وعملِهم ويقينِهم،والعلمُ واليقينُ من أصولِ الإيمان.[294]
عَنْ قَتَادَةَ،قَوْلُهُ:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة:11] :إِنَّ بِالْعِلْمِ لِأَهْلِهِ فَضْلًا،وَإِنَّ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ حَقًّا،وَلَعَمْرِي لِلْحَقِّ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَالِمُ فَضْلٌ،وَاللَّهُ مُعْطِي كُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ،وَكَانَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ يَقُولُ:فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ،وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ،وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطَرِّفٍ يَقُولُ:إِنَّكَ لَتَلْقَى الرَّجُلَيْنِ أَحَدَهُمَا أَكْثَرُ صَوْمًا وَصَلَاةً وَصَدَقَةً،وَالْآخَرَ أَفْضَلَ مِنْهُ بَوْنًا بَعِيدًا،قِيلَ لَهُ:وَكَيْفَ ذَاكَ؟ فَقَالَ:هُوَ أَشَدُّهُمَا وَرَعًا لِلَّهِ عَنْ مَحَارِمِهِ "[295].
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ " {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة:11] قَالَ:يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِدَرَجَاتٍ "[296].
وعن عِكْرِمَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة:11] قَالَ:«يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُؤْتَوُا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»[297].
وعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ،أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ،لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ،وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ،فَقَالَ:مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي،فَقَالَ:ابْنَ أَبْزَى،قَالَ:وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ:مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا،قَالَ:فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ:إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَإِنَّهُ عَالِمٌ

---
[294] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:93)
[295] - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (22/ 481) صحيح مقطوع
[296] - سنن الدارمي (1/ 368)(365 ) صحيح
[297] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 523)(3793 ) صحيح

بِالْفَرَائِضِ،قَالَ عُمَرُ:أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺقَدْ قَالَ:«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا،وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[298].

**تاسعاً:حصولُ البشارةِ بكرامةِ الله والأمنِ التامِّ منْ جميعِ الوجوهِ:**

كما قال تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة البقرة:223] فأطلقها؛ ليعم الخير العاجل والآجل،وقيدها في مثل قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [سورة البقرة:25] فلهم البشارة المطلقة والمقيدة.

ولهم الأمن المطلق في مثل قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [سورة الأنعام:82] .

ولهم الأمن المقيد في مثل قوله تعالى:{فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة الأنعام:48] .فنفى عنهم الخوف لما يستقبلونه،والحزن مما مضى عليهم.وبذلك يتم لهم الأمن.

فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة،أمن من سخط الله وعقابه،وأمن من جميع المكاره والشرور.وله البشارة الكاملة بكل خير،كما قال تعالى:{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [سورة يونس:64] .ويوضح هذه البشارة قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [سورة فصلت:30 - 32] .

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة الحديد:28] .

---

[298] - صحيح مسلم (1/ 559) 269 - (817)

فرتب على الإيمان حصول الثواب المضاعف،وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته،ويمشي به يوم القيامة {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [سورة الحديد:12].فالمؤمن يمشي في الدنيا بنور علمه وإيمانه،وإذا طفئت الأنوار يوم القيامة،مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم.وكذلك رتب المغفرة على الإيمان،ومن غفرت سيئاته سلم من العقاب،ونال أعظم الثواب..[299]

**عاشراً:حصولُ الفلاح - الذي هو:إدراكُ غاية الغاياتِ،فإنه إدراكُ كلِّ مطلوبٍ،والسلامةُ من كلِّ مرهوبٍ،والهدَى الذي هوأشرفُ الوسائلَ.**

كما قال تعالى- بعد ذكره المؤمنين بما أنزل على محمد  وما أنزل على من قبله،والإيمان بالغيب،وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللتين هما من أعظم آثار الإيمان- قال: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة البقرة:5] .

فهذا هو الهدى التام،والفلاح الكامل.

فلا سبيل إلى الهدى والفلاح - اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما - إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله الله،وبكل رسول أرسله الله.فالهدى أجل الوسائل،والفلاح أكمل الغايات.[300]

وهؤلاء المحسنون هم الذين يكون الكتاب لهم هدى ورحمة لأنهم بما في قلوبهم من تفتح وشفافية يجدون في صحبة هذا الكتاب راحة وطمأنينة ويتصلون بما في طبيعته من هدى ونور،ويدركون مراميه وأهدافه الحكيمة،وتصطلح نفوسهم عليه،وتحس بالتوافق والتناسق ووحدة الاتجاه،ووضوح الطريق.وإن هذا القرآن ليعطي كل قلب بمقدار ما في هذا القلب من حساسية وتفتح وإشراق وبقدر ما يقبل عليه في حب

---

299 - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:94)

300 - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:95)

وتطلع وإعزاز.إنه كائن حي يعاطف القلوب الصديقة،ويجاوب المشاعر المتوجهة إليه بالرفرفة والحنين! وأولئك الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم يوقنون بالآخرة..«أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ،وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» .ومن هدي فقد أفلح،فهو سائر على النور،واصل إلى الغاية،ناج من الضلال في الدنيا،ومن عواقب الضلال في الآخرة وهو مطمئن في رحلته على هذا الكوكب تتناسق خطاه مع دورة الأفلاك ونواميس الوجود فيحس بالأنس والراحة والتجاوب مع كل كائن في الوجود.[301]

**الحادي عشر:الانتفاعُ بالمواعظ والتذكيرُ بالآيات.**

قال تعالى:{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الذرايات:55]،{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} [سورة الحجر:77] .

وهذا؛ لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علما وعملا.وكذلك معه الآلة العظمة،والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة والآيات الدالة على الحق،وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق،ولا من العمل به.

وأيضا فالإيمان يوجب سلامة الفطرة،وحسن القصد.ومن كان كذلك انتفع بالآيات.

ومن لم يكن كذلك،فلا يستغرب عدم قبوله للحق،واتباعه له.ولهذا يذكر الله - في سياق تمنع الكافرين من تصديق الرسول،وقبول الحق الذي جاء به - السبب الذي أوجب لهم ذلك،وهو الكفر الذي في قلوبهم.يعني؛ لأن الحق واضح وآياته بينة واضحة،والكفر أعظم مانع يمنع من اتباعه.أي فلا تستغربوا هذه الحالة،فإنها لم تزل دأب كل كافر..[302].

**الثاني عشر:ومنها أن الإيمانُ يقطعُ الشكوكَ التي تعرض لكثير من الناس فتضر بدينهم**

---

[301] - في ظلال القرآن (5/ 2784)

[302] - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:96)

قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (15) سورة الحجرات.

أي:دفعَ الإيمانُ الصحيحُ -الذي معهم -الريبَ والشكَّ الموجودَ،وإنزالهُ بالكليةِ،وقاومُ الشكوكَ التي تلقيها شياطينُ الإنسِ والجنِّ،والنفوسُ الأمّارةُ بالسوءِ.فليس لهذه العللِ المهلكةِ دواءٌ إلا تحقيقَ الإيمانِ.

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ،فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا،فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ .[303]

وفي رواية وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ،أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ،فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ " (أخرجه مسلم )[304].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ،فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ " قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ،فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ،هَذَا اللهُ،فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ،ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي"(أخرجه مسلم )[305].

وبهذا بينَ ﷺ الدواءَ النافع لهذا الداء المهلكِ،وهي ثلاثة أشياء:

1- الانتهاءُ عن الوساوس الشيطانيةِ 2- والاستعاذةُ من شرِّ مَن ألقاها وشبّهَ بها؛ليضلَّ بها العباد 3- والاعتصامُ بعصمةِ الإيمان الصحيحِ الذي مَنِ اعتصم به كانَ من

---

303 - [صحيح مسلم 1/ 119] 212 - (134)

304 - [صحيح مسلم 1/ 120]214 - (134)

[ش (فليستعذ بالله ولينته) معناه إذا عرض له الوسواس فيلجأ إلى الله تعالى في دفع شره وليعرض عن الفكر في ذلك وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان وهو إنما يسعى بالفساد والإغراء فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها والله أعلم]

305 - [صحيح مسلم 1/ 121](135)

الآمنين.وذلك:لأنَّ الباطل يتضحُ بطلانُه بأمورٍ كثيرة أعظمُها:العلمُ أنه منافٍ للحقِّ،وكلُّ ما ناقضَ الحقَّ فهوباطلٌ،قال تعالى {فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} (32) سورة يونس.[306]

**الثالث عشر:أن الإيمانَ ملجَأُ المؤمنينَ في كلِّ ما يلمُّ بهم:من سرورٍ وحزنٍ وخوفٍ وأمنٍ،وطاعةٍ،ومعصيةٍ،وغير ذلك من الأمور التي لابدَّ لكل أحد منها:**

فيلجؤونَ إلى الإيمانِ عند الخوفِ فيطمئنونَ إليه فيزيدهُم إيماناً وثباتاً،وقوة وشجاعةً،ويضمحلُّ الخوفُ الذي أصابهُم،فعند المحاب والسرور،يلجأون إلى الإيمان فيحمدون الله،ويثنون عليه،ويستعملون النعم فيما يحب المنعم،وعند المكاره والأحزان يلجأون إلى الإيمان من جهات عديدة يتسلون بإيمانهم وحلاوته،ويتسلون بما يترتب على ذلك من الثواب،ويقابلون الأحزان والقلق براحة القلب،والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان والأتراح.

ويلجأون إلى الإيمان عند الخوف فيطمئنون إليه،ويزيدهم إيمانا وثباتا،وقوة وشجاعة ويضمحل الخوف الذي أصابهم،كما قال تعالى عن خيار الخلق: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ} [سورة آل عمران:173 - 174].

لقد اضمحل الخوف من قلوب هؤلاء الأخيار وخلفه قوة الإيمان وحلاوته،وقوة التوكل على الله،والثقة بوعده.

ويلجأون إلى الإيمان عند الأمن فلا يبطرهم،ولا يحدث لهم الكبرياء بل يتواضعون،ويعلمون أنه من الله،ومن فضله وتيسيره.فيشكرون الذي أنعم بالسبب والمسبب

---

306 - وانظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:98)

الأمن وأسبابه.ويعلمون أنه إذا حصل لهم ظفر بالأعداء وعز،أنه بحول الله وقوته وفضله،لا بحولهم وقوتهم.
ويلجأون إلى الإيمان عند الطاعة والتوفيق للأعمال الصالحة،فيعترفون بنعمة الله عليهم بها،وأن نعمته عليهم فيها أعظم من نعم العافية والرزق.وكذلك يحرصون على تكميلها،وعمل كل سبب لقبولها،وعدم ردها أو نقصها.ويسألون الذي تفضل عليهم بالتوفيق لها أن يتم عليهم نعمته بقبولها،والذي تفضل عليهم بحصول أصلها أن يتمم لهم منها ما انتقصوه منها.
ويلجأون إلى الإيمان إذا ابتلوا بشيء من المعاصي بالمبادرة إلى التوبة منها،وعمل ما يقدرون عليه من الحسنات لجبر نقصها،قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [سورة الأعراف:201] .
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ،يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ.وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ،فَأَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الْأَتْقِيَاءَ،وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ»[307].
كذلك المؤمن يجول ما يجول في الغفلة والتجرؤ على بعض الآثام،ثم يعود سريعا إلى الإيمان الذي بنى عليه أموره كلها.
فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان،ومفزعهم إلى تحقيقه،ودفع ما ينافيه ويضاده.وذلك من فضل الله عليه،ومنه.[308].
إن اختتام الآية بقوله:«فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» ليضيف معاني كثيرة إلى صدر الآية.ليس لها ألفاظ تقابلها

---

[307] - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (1/ 24)(73 ) وشعب الإيمان (13/ 343)(10460) وصحيح ابن حبان - محققا (2/ 381) (616 ) حسن لغيره -الآخية :عروة تثبت في أرض أو حائط تربط فيها الدابة= السَّهْوُ في الشيء :تَرْكُه عن غَيرِ علْم.والسَّهوُ عنه تَرْكُه مع العِلْم
[308] - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:99)

هناك..إنه يفيد أن مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة.ولكن تقوى اللّه ومراقبته وخشية غضبه وعقابه..تلك الوشيجة التي تصل القلوب باللّه وتوقظها من الغفلة عن هداه..تذكر المتقين.فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم وتكشفت الغشاوة عن عيونهم:«فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ»..

إن مس الشيطان عمى،وإن تذكر اللّه إبصار..إن مس الشيطان ظلمة،وإن الاتجاه إلى اللّه نور..إن مس الشيطان تجلوه التقوى،فما للشيطان على المتقين من سلطان ...[309]

**الرابع عشر :أن الإيمان الكامل يمنع من دخول النار،والإيمان - ولو قليلا - يمنع من الخلود فيها.**

فإن من آمن إيمانا - أدى به الواجبات،وترك المحرمات - فإنه لا يدخل النار.كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي  - في هذا الأصل.كما تواتر عنه أنه «لا يخلد في النار من في قلبه شيء من الإيمان ولو يسيرا.» [310]

قال ابن القيم :" لِهَذَا لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ،وَجَعَلَ جَانِبُ الْفَضْلِ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ،وَجَانِبُ الْعَدْلِ السَّيِّئَةَ فِيهِ بِمِثْلِهَا وَهِيَ مُعَرَّضَةٌ لِلزَّوَالِ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ "[311]

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،عَنِ النَّبِيِّ  قَالَ:«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ،وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ ـ يَعْنِي ـ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»،قَالَ:فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ:إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا وَنَعْلِي حَسَنَةً،قَالَ:«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الجَمَالَ،وَلَكِنَّ الكِبْرَ مَنْ بَطَرَ

---

[309] - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص 1897]

[310] - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:99)

[311] - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص:260)

الحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ» وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الحَدِيثِ:«لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»،إِنَّمَا مَعْنَاهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ[312]
قَالَ الإِمَامُ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ،رَحِمَهُ اللَّهُ:اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الإِيمَانِ بِارْتِكَابِ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ إِبَاحَتَهَا،وَإِذَا عَمِلَ شَيْئًا مِنْهَا،فَمَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ،لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ،كَمَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ،بَلْ هُوَ إِلَى اللَّهِ،إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ،وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ،ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ.." [313]

**الخامس عشر :أن الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء،والصبر في حالة الضراء،وكسب الخير في كل أوقاته.**

عَنْ صُهَيْبٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ،فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ،صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[314]

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" الْمُؤْمِنُ كُلُّ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ:إِنْ أَصَابَهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ اللَّهَ فَلَهُ أَجْرٌ،وَإِنْ أَصَابَهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ فَلَهُ أَجْرٌ،فَكُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِ خَيْرٌ "[315]

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الْمُؤْمِنُ كُلٌّ لَهُ فِيهِ خَيْرٌ،وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،إِنْ أَصَابَهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ اللهَ فَلَهُ أَجْرٌ،وَإِنْ أَصَابَهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ فَلَهُ أَجْرٌ،فَكُلُّ قَضَاءِ اللهِ لِلْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ".[316]

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ:صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ،فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ إِلَيْنَا بِوَجْهِهِ ضَاحِكًا،فَقَالَ:«أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ ضَحِكْتُ؟» قَالُوا:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

---

312 - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 361) (1999 ) صحيح
313 - شرح السنة للبغوي (1/ 103)
314 - صحيح مسلم (4/ 2295) 64 - (2999)
315 - الآداب للبيهقي (ص:292) (713 ) صحيح
316 - السنن الكبرى للبيهقي (3/ 526)(6554 ) صحيح

قَالَ:«عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ الْمُسْلِمِ،إِنَّ كُلَّ مَا قَضَى اللَّهُ لَهُ خَيْرٌ،وَلَيْسَ كُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ خَيْرًا إِلَّا لِلْعَبْدِ الْمُسْلِمِ»[317]
والشكر والصبر هما جماع كل خير،فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته،رابح في كل حالاته.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:" مَا يُصِيبُ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ،وَلَا وَصَبٍ،وَلَا هَمٍّ،وَلَا حُزْنٍ،وَلَا غَمٍّ،وَلَا أَذًى،حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا،إِلَّا كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "[318]
وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ،مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ،وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ،حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا،إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[319]
وعن عَائِشَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺطَرَقَهُ وَجَعٌ،فَجَعَلَ يَشْتَكِي وَيَتَقَلَّبُ عَلَى فِرَاشِهِ،فَقَالَتْ عَائِشَةُ:لَوْ صَنَعَ هَذَا بَعْضُنَا لَوَجِدْتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ،وَإِنَّهُ لَا يُصِيبُ مُؤْمِنًا نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ،فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ،إِلَّا حُطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ،وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً "[320]
فيجتمع للمؤمن عند النعم والسراء،نعمتان:نعمة حصول ذلك المحبوب،ونعمة التوفيق للشكر الذي هو أعلى من ذلك.وبذلك تتم عليه النعمة.ويجتمع له عند الضراء،ثلاث نعم:نعمة تكفير السيئات،ونعمة حصول مرتبة الصبر التي [هي] أعلى من ذلك،ونعمة سهولة الضراء عليه.لأنه متى عرف حصول الأجر والثواب،والتمرن

---

[317] - المعجم الأوسط (7/ 242) (7390 ) صحيح
[318] - مسند أحمد ط الرسالة (14/ 147) (8424 ) صحيح -النَّصب :التعب =الوصب :الألم والسقم الدائم
[319] -صحيح البخاري (7/ 114) (5641 ) [(نصب) تعب (وصب) مرض (هم) كره لما يتوقعه من سوء (حزن) أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي (أذى) من تعدي غيره عليه (غم) ما يضيق القلب والنفس (خطاياه) ذنوبه]
[320] - مسند أحمد ط الرسالة (42/ 157) (25264 ) صحيح - قال السندي:قولها:لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه:لقلة صبره،فبيَّن أنه ليس من قلة الصبر،وإنما هو من اشتداد المرض،والله تعالى أعلم.

على الصبر،هانت عليه وطأة المصيبة،وخف عليه حملها.[321]
وقال ابن القيم رحمه الله :" فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب المسخوط له( يعني إبليس ) من محبوب له تبارك وتعالى يتصل في حبه ما حصل به من مكروهه والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه إذا كان طريقا إلى حصول ذلك المحبوب ووجود الملزوم بدون لازمه محال فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من السرور والمعاصي ما حصل فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله ومخالفة هوى النفس وشهوتها له ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته وأحب شيء للحبيب أن يرى محبه يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته:

من أجلك قد جعلت خدي أرضا ...للشامت والحسود حتى ترضا

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ:" أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ:بِعَيْنَيَّ مَا يَتَحَمَّلُ الْمُتَحَمِّلُونَ مِنْ أَجْلِي،وَمَا يُكَابِدُ الْمُكَابِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِي،فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا صَارُوا إِلَى دَارِي،وَتَبَحْبَحُوا فِي رِيَاضِ رَحْمَتِي،هُنَالِكَ فَلْيُبْشِرِ الْمُصَفُّونَ لِلَّهِ أَعْمَالَهُمْ بِالنَّظَرِ الْعَجِيبِ مِنَ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ،أَتُرَانِي أَنْسَى لَهُمْ عَمَلًا،فَكَيْفَ وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَجُودُ عَلَى الْمُوَلِّينَ عَنِّي،فَكَيْفَ بِالْمُقْبِلِينَ عَلَيَّ،وَمَا غَضِبْتُ عَلَى شَيْءٍ كَغَضَبِي عَلَى مَنْ أَخْطَأَ خَطِيئَةً فَاسْتَعْظَمَهَا فِي جَنْبِ عَفْوِي،لَوْ تَعَجَّلْتُ بِالْعُقُوبَةِ أَحَدًا،وَكَانَتِ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِي،لَعَجَّلْتُ لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي،وَلَوْ رَآنِي خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ أَسْتَوْهِبُهُمْ مِمَّنِ اعْتَدَوْا عَلَيْهِ،ثُمَّ أَحْكُمُ لِمَنْ وَهَبَهُمْ بِالْخُلْدِ الْمُقِيمِ،مَا اتَّهَمُوا فَضْلِي وَكَرَمِي،فَكَيْفَ وَأَنَا الدَّيَّانُ الَّذِي لَا تَحِلُّ

[321] - انظر :التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص:96)

مَعْصِيَتِي،وَأَنَا الدَّيَّانُ الَّذِي أُطَاعُ بِرَحْمَتِي،وَلَا حَاجَةَ لِي بِهَوَانِ مَنْ خَافَ مَقَامِي،وَلَوْ رَآنِي عِبَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَيْفَ أَرْفَعُ قُصُورًا تَحَارُ فِيهَا الْأَبْصَارُ فَيَسْأَلُونِي لِمَنْ ذَا؟ فَأَقُولُ:لِمَنْ رَهِبَ مِنِّي،وَلَمْ يَجْمَعْ عَلَى نَفْسِهِ مَعْصِيَتِي وَالْقُنُوطَ مِنْ رَحْمَتِي،وَإِنِّي مُكَافِئٌ عَلَى الْمَدْحِ،فَامْدَحُونِي "[322]

فلله ما أحب إليه احتمال محبيه إذا أعدائه لهم فيه وفي مرضاته،وما أنفع ذلك الأذى لهم وما أحمدهم لعاقبته وماذا ينالون به من كرامة حبيبهم،وقربه قرة عيونهم به ولكن حرام على منكري محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة،أو يدخلوا من هذا الباب أو يذوقوا من هذا الشراب:

فقل للعيون العمى للشمس أعين ...سواك يراها في مغيب ومطلع
وسامح يؤسا لم يؤهل لحبهم ...فما يحسن التخصيص في كل موضع[323]

---

[322] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (4/ 60) و(9/ 255) و(10/ 80) و(10/ 92) وحسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص:97)(90 ) وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:46) صحيح مقطوع

[323] - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص:239)

# المراجع والمصادر


1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
2- أيسر التفاسير لأسعد حومد
3- التفسير الميسر
4- الدر المنثور في التفسير بالمأثور
5- تفسير ابن أبي حاتم،الأصيل - مخرجا
6- تفسير ابن كثير ت سلامة
7- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير
8- تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر
9- التفسير المنير للزحيلي (معاصر)
10- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (1376)
11- في ظلال القرآن للسيد قطب-ط1 - ت- علي بن نايف الشحود
12- أحاديث إسماعيل بن جعفر (180)
13- أمالي ابن بشران - الجزء الأول (430)
14- أمالي ابن بشران - الجزء الثاني (430)
15- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (840)
16- إتحاف المهرة لابن حجر (852)
17- إثبات عذاب القبر للبيهقي (458)
18- الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (287)
19- الآداب للبيهقي (458)
20- الأدب المفرد مخرجا (256)
21- الأسماء والصفات للبيهقي (458)
22- البعث والنشور للبيهقي (458)
23- الترغيب والترهيب للمنذري (656)
24- الدعاء للطبراني (360)
25- الدعوات الكبير (458)
26- الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (181)
27- السنن الكبرى للبيهقي (458)
28- السنن الكبرى للنسائي (303)
29- القدر للفريابي مخرجا (301)
30- المستدرك على الصحيحين للحاكم (405)
31- المسند الجامع (معاصر)
32- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (852)
33- المعجم الكبير للطبراني (360)
34- المعجم الكبير للطبراني جـ 13،14 (360)

35- المعجم الكبير للطبراني من جـ 21 (360)
36- بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي
37- جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى
38- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (430)
39- دلائل النبوة للبيهقي محققا (458)
40- سنن أبي داود (275)
41- سنن ابن ماجه (273)
42- سنن الترمذي ت شاكر (279)
43- سنن الدارمي (255)
44- شرح السنة للبغوي (516)
45- شرح مشكل الآثار (321)
46- شرح معاني الآثار (321)
47- شعب الإيمان (458)
48- صحيح ابن حبان - مخرجا (354)
49- صحيح البخاري (256)
50- صحيح مسلم (261)
51- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (807)
52- مسند أحمد ط الرسالة (241)
53- مسند أبي داود الطيالسي
54- مسند البزار = البحر الزخار (292)
55- مسند الشاميين للطبراني (360)
56- مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة
57- مصنف عبد الرزاق الصنعاني (211)
58- معرفة الصحابة لأبي نعيم (430)
59- موسوعة السنة النبوية
60- موطأ مالك ت عبد الباقي (179)
61- فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة
62- شرح السيوطي على مسلم (911)
63- شرح النووي على مسلم (676)
64- شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره (911)
65- المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي
66- صحيح الجامع للألباني
67- فتاوى الشبكة الإسلامية
68- الإصابة في معرفة الصحابة
69- تاريخ دمشق لابن عساكر
70- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
71- البداية والنهاية ط هجر
72- تاريخ الرسل والملوك للطبري

73- الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي
74- الخلاصة في أشراط الساعة للمؤلف
75- صفة الجنة في القرآن والسنة للمؤلف
76- صفة النار في القرآن والسنة للمؤلف
77- الله يتجلى في عصر العلم -المؤلف :كريسى موريسون -المترجم :محمود صالح الفلكي
78- العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني
79- الرد على الجهمية للدارمي
80- صحيح ابن خزيمة
81- الرد على الجهمية لابن منده
82- معجم الغني- عبد الغني أبو العزم
83- تهذيب الآثار مسند عمر
84- الاستعداد للموت للمؤلف
85- الخلاضة في أشراط الساعة الكبرى للمؤلف
86- عون المعبود وحاشية ابن القيم
87- شرح العقيدة الواسطية
88- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة
89- الإيمان بيوم القيامة وأهواله للمؤلف
90- تحفة الأحوذي للمباركفوري
91- الزهد لأسد بن موسى
92- الجواب الكافي لابن القيم
93- قصر الأمل لابن أبي الدنيا
94- المجالسة وجواهر العلم
95- الرقة والبكاء لابن قدامة
96- تاج العروس للزبيدي
97- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير
98- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية
99- منهاج السنة النبوية لابن تيمية
100- سير أعلام النبلاء للذهبي
101- المفصل في عوامل النصر والهزيمة للمؤلف
102- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان
103- التبيان في أقسام القرآن
104- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين
105- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه
106- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
107- حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا
108- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين

109- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل
110- المكتبة الشاملة 3

# الفهرس العام